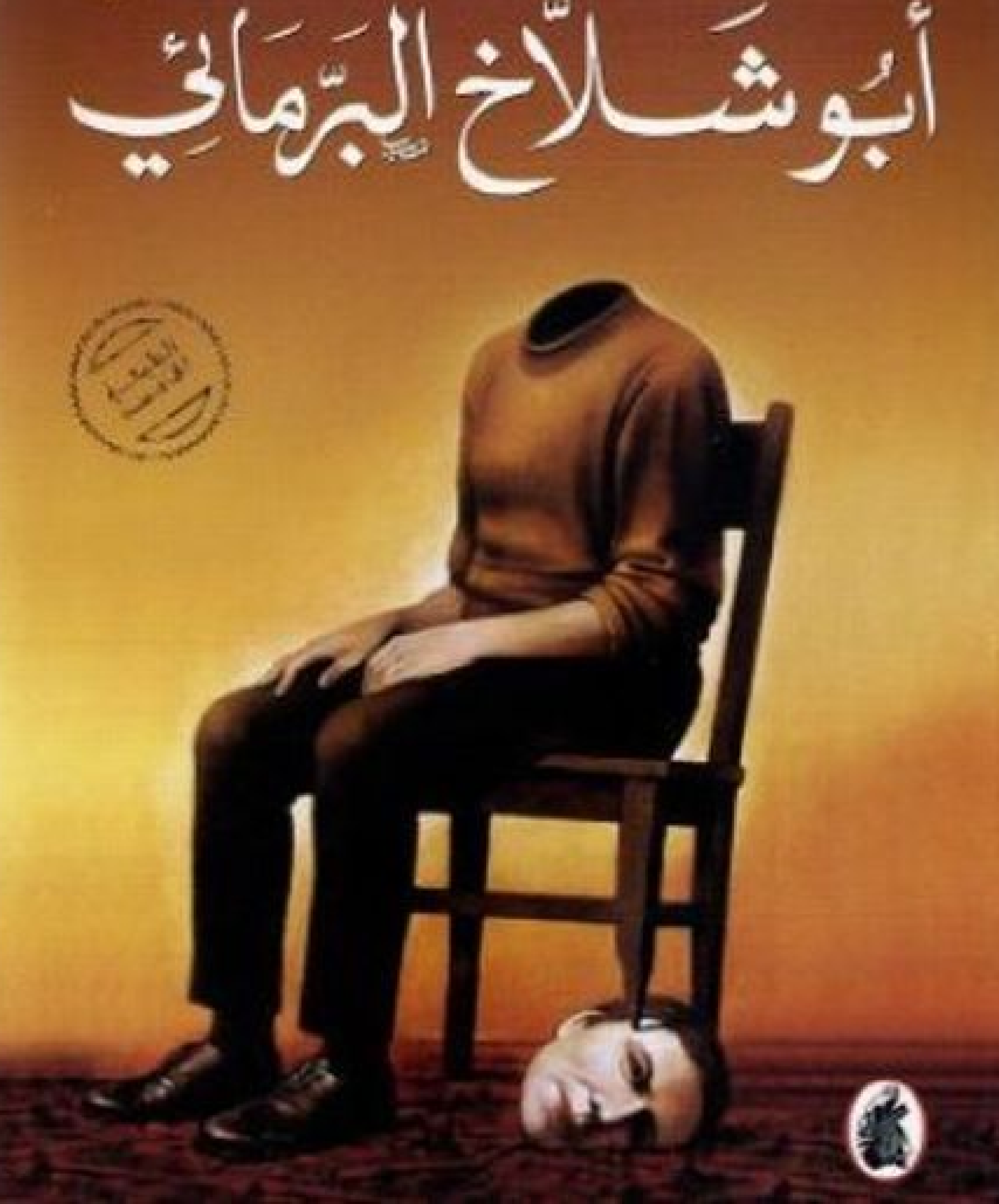
GHAZI AL-GOSAIBI

رواية
NOVEL

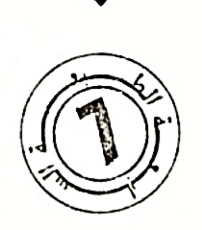
غازي بن عبدالرحمن القصيبي

أبو شلاّخ البرمائي




NOVEL


غازي بن عبد الرحمن القصيبي
أبو شلاخ البرمائي





أبو شلاّخ البرّمائيّ / رواية عربيّة
غازي بن عبد الرحمن القصيبي / مؤلّف من السعوديّة
الطبعة السابعة ، 2011



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب :5460-11 ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : 751438 / 752308
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب : 9157 ، هاتف : 5605432 ، هاتفاكس : 5685501
E-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :

سيتي سيبي ®

لوحة الغلاف : **ميشيل باركس / فرنسا**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذالطباعيّ : **ديمو برس / بيروت ، لبنان**

ISBN 978-9953-36-935-6

من مؤلفات الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

❋ ورود على ضفائر سناء	شعر
❋ عقد من الحجارة	شعر
❋ سحيم	شعر
❋ قراءة في وجه لندن	شعر
❋ الأشج	شعر
❋ بيت	مختارات شعرية
❋ الإلمام بغزل الفقهاء الاعلام	مختارات شعرية
❋ أبو شلاخ البرمائي	رواية
❋ سلمى	رواية
❋ سعادة السفير	رواية
❋ مع ناجي ومعها	نقد
❋ الخليج يتحدث شعراً ونثراً	نقد
❋ الغزو الثقافي ومقالات أخرى	مقالات
❋ صوت من الخليج	مقالات
❋ الأسطورة (ديانا)	نص
❋ حياة في الإدارة	سيرة
❋ الوزير المرافق	سيرة
❋ التنمية الأسئلة الكبرى	بحث
❋ أمريكا والسعورية	فكر سياسي

الاهداء

إلـــــى
عمــــران

فـمـا كـان ذلك مـدحـاً لـــــــه

ولكنّه كـــان هجـــــــو الورى

المتنبي

مدخل

وأخـلاق كـافـورٍ . . . إذا شئتُ مدحـه
وإن لـم أشـــأ . . . تملي عليَّ وأكـــتبُ

المتنبي

سعادة الأستاذ عثمان الخضيري
رئيس تحرير جريدة الشرق الأوحد

بعد التحيّة ،

يسرّني أن أرفق لكم طيّه الجزء الأول من الكتاب الذي كلفتموني بإعداده ، والمبني على مقابلات مطوّلة مع السيد يعقوب المفضّخ الشهير بأبو شلاّخ البرمائي ، آملاً أن أتمكن من موافاتكم بالأجزاء الباقية في أقرب فرصة .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،

المخلص
توفيق خليل توفيق
المسؤول عن الصفحة الثقافية

الفصل الأول

بدايات النبوغ

لو طَابَ مــــولدُ كلِّ حيٍّ مـــثلـه
ولَدَ النســـاءُ . . . ومـــا لهنّ قـــوابلُ

المتنبي

توفيق – هل يمكن أن نبدأ بالسؤال التقليدي ؟

أبو شلاّخ – ما هو السؤال التقليدي؟

توفيق – في أيّ سنة وُلِدتَ ؟

أبو شلاّخ – لا ، لا يمكن ! هذا السؤال يدل على جهل وعلى نقصان في اللباقة . والجهل يأتي من وجهين . الأوّل ، أنه في منطقتنا من العالم لم تكن توجد شهادات ميلاد ولا حتّى روزنامة . . .

توفيق – روزنامة ؟!

أبو شلاّخ – تقويم ، يا عزيزي ، تقويم . كلمة أصلها فارسي . مثل شاهنامه . الظاهر أن نامه معناها كتاب بالفارسية .

توفيق – كنت أسألك . . .

أبو شلاّخ – وكنت أقول لك إنه لم توجد شهادات ميلاد ولا حتّى روزنامه . ولا كانت هناك ذاكرات حديديّة كالتي كانت موجودة في العصر الجاهلي تشفط المعلّقات شفطاً وتقول : «هل من مزيد؟» . والوجه الثاني لجهلك أنك سألت عن السنة ولم تحدد التقويم . فهل كنت تقصد الهجري أو الميلادي أو الفارسي أو اليهودي ؟

توفيق – الفارسي واليهودي؟!

أبو شلاّخ – نعم . الفارسي . غيّرنا اسم الخليج من الفارسي إلى العربي بغير وجه حق . ونخاف ، الآن ، أن نعترف بهذا الخطأ حتى لا نتّهم بالشعوبية . هل تريد أن نغيّر التقويم الفارسي بدوره ؟ أن نسمّيه التقويم العربي؟ أمّا التقويم اليهودي فيجب علينا أن نحفظه كلّنا ، من المحيط الأطلسي ، ومن الغريب أننا لم نسمّه المحيط العربي ، إلى الخليج العَرسي ، وهذه كلمة توفيقية من اختراعي تستهدف إزعاج الطرفين معاً . ألسنا في العصر اليهودي ؟ أجبني بصراحة ، ألسنا في العصر اليهودي ؟

توفيق – كنت أسألك . . .

أبو شلاّخ – وكنت أوضّح لك جهلك . . .

توفيق – مادمت لا تذكر السنة فليس من الضروري . . . .

أبو شلاّخ – كون الجواب غير معروف لا يعفي السائل من تحري الدّقة في صياغة السؤال . أمّا بالنسبة لموضوع اللباقة فكان عليك أن تتذكّر أنه لا يجوز أن تسأل رجلاً تجاوز السبعين عن عمره ، ولا امرأة تجاوزت الأربعين ، خصوصاً إذا لاحظت عملية شد الوجه وزرع الشعر وسحب الشحم واستعمال الخضاب و . . . .

توفيق – أعتذر عن . . .

أبو شلاّخ – تعتذر ؟! لا تعتذر ، رحم اللّه والديك! أنا لا أكره شيئاً قدر كرهي للاعتذارات ، خاصة أن ٩٩٪ منها غير

صادقة . لو اعتذرنا لكل من أسأنا إليه لما بقيتْ في العمر ثانية واحدة لعمل أيّ شيء آخر . خذ ، مثلاً ، أصدقاءنا الإنجليز . استعمروا كل شعوب الدنيا تقريباً . ماذا لو قرّر أصدقاؤنا الإنجليز الاعتذار لكل شعب احتلّوه وأذلّوه واستغلوه ومصّوه مصّ الهمباية ؟ تصوّر شاباً إفريقياً جاء إلى بريطانيا للدراسة . يستقبله موظف الجوازات في هيثرو بالقبلات الحارّة صارخاً : «أعتذر ، يا صديقي ، عن النساء اللواتي اغتصبناهن في ديرتكم» . ما إن يقبل صاحبنا اعتذار الموظف ويذهب إلى البوابة الخارجية حتى يقفز سائق التاكسي ويحتضنه وهو يقول : «أعتذر ، يا عزيزي ، عن الأموال التي نهبناها من ديرتكم» . بمجرد وصول صاحبنا إلى الفندق المتواضع الذي اختاره لسكناه يهبّ موظف الاستقبال ويصافحه بحب ويهمس : «أعتذر ، يا حبيبي ، عن الشهداء الذين سقطوا برصاصنا في مظاهرات الاستقلال» . تصور ما يجرّ إليه الاعتذار . بالمناسبة ، يا أخ توفيق ، ما اسم الولد ؟

توفيق – أيّ ولد ؟

أبو شلاّخ – ولدك .

توفيق – ليس عندي أولاد . عندي لمياء وحسناء .

أبو شلاّخ – اللّه يحفظهم . والوالد ؟

توفيق – ماذا عن الوالد ؟

أبو شلاخ – ما اسم الوالد ؟

توفيق – خليل .

أبو شلاّخ – تخيّل ، يا أبو خليل ، ما . . .

توفيق – عفواً ، يا شيخ . . . .

أبو شلاّخ – شيخ ؟! لا تسمّني شيخاً ، رجاءً . أنا لست شيخاً . لا بالمعنى الديني . ولا بالمعنى القبلي . ولا بالمعنى الفنتازي . ولا بأيّ معنى .

توفيق – المعذرة ! ماذا . . . .

أبو شلاّخ – ألم أقل لك إني أكره الاعتذارات ؟

توفيق – طيّب . أفضّل ، إذا تكرمّت ، أن تسميني أبو لمياء .

أبو شلاّخ – لا مانع . بكل سرور . تخيل يا أبو لميا . . .

توفيق – لمياء . بالهمزة .

أبو شلاّخ – تخيّل ، يا أبو لمياء ، لو قرر أصدقاؤنا الأمريكان الاعتذار لكل الذين أساءوا إليهم . ولو قرروا أن يبدأوا بالاعتذار ، حسب التسلسل التاريخي ، للهنود الحمر . يتعيّن على كل واحد من أبناء العم سام أن يتوجه إلى كل واحد من سلالة الهنود الحمر الذين أبادهم أصدقاؤنا الأمريكان ويقبّل يديّه ورجليه . لو حصل هذا ، فمن أين يجد أصدقاؤنا الأمريكان الوقت لفتح محلات «الماكدونالد» ومدّ شبكات «الانترنت» ودعم السرسرية في إسرائيل ؟

توفيق – طيّب . نترك موضوع ولادتك ، إذن ونتحدث عن . . .

أبو شلاّخ – لا! لا! كيف نترك موضوع ولادتي ؟ أريد لهذا الكتاب القيّم أن يبدأ من الولادة .

توفيق - ولكنك سبق أن طلبت مني . . .

أبو شـلاّخ - سـبق أن طلبت منك ألاّ تسـألني عن السنة التي ولدت فيها ، ولم أطلب منك ألاّ تسألني عن الولادة .

توفيق - حدثنيّ ،إذن ، عن ولادتك يا شيخ . . .

أبو شـلاّخ - ألم أقل لك إني لا أحب أن أخـاطَبْ ، بيـا شيخ . . .

توفيق - يا أستاذ ؟!

أبو شلاّخ - ولا أستاذ . ولا سيّد . ولا دكتور . ولا السيد الأستاذ الدكتور . ولا حجّي . ولا معالي . ولا سعادة . ولا سيادة . ولا مولانا . ولا سيدنا . ولا يا الطيّب . ولا يا البدر . ولا يا بعد حييّ . ولا . . .

توفيق - ماذا أسميّك ، إذن ؟

أبو شلاّخ - سمّني أبو شلاخ . أبو شلاخ حاف . هل تعرف معنى أبو شلاّخ ؟

توفيق - الحقيقة . . . الحقيقة . . .

أبو شـلاّخ - الحقيقة إنك لا تعرف . والجهل داء دواؤه السؤال . شلخة في منطقتنا تعني مبالغة عظيمة وفشرة خطيرة وكذبة عوْدة . وأبو شـلاّخ هو صاحب الشلخات الدائمة المتكرّرة . أبو لمعة المحلي . وقد أُطلقْ عليّ هذا اللقب من باب السخرية ، وسوف تأتيك السالفة . سرعان ما انتشر هذا اللقب وأصبح جميع الذين أعرفهم يسمّونني أبو شلاّخ . تعودت على اللقب وأصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيتي . أصبحت أحبه

إلى درجة كدت أن أنسى معها اسمي الأصلي . . .

توفيق – اسمك الأصلي يعقوب المفصّخ .

أبو شلاّخ – قلت أكاد أن أنساه ولم أقل نسيته . هل تعرف معنى المفصّخ؟

توفيق – الحقيقة . . . الحقيقة . . .

أبو شلاّخ – الحقيقة إنك لا تعرف . المفصّخ معناها العريان . سُلْط ملّط! وللاسم قصة لا تخلو من طرافة . كان جدّي الرابع مشهوراً بالأناقة في الملبس حتى إنه سُمّي «البيسان» ، وسُمّي الفرع كلّه آل لبيسان . ذات يوم ، بينما كان جدي الرابع يجوب البراري والوديان وهو في كامل أناقته تصدى له قوم وبدلاً من أن ينهبوه ، مباشرة ، تحدّاه رئيس القوم إلى لعبة «ستريب بوكر» . هل تعرف معنى «الستريب بوكر» ؟

توفيق – لا .

أبو شلاّخ – معناها أن على المنهزم بعد كل لعبة أن ينزع قطعة من ملابسه . اتضح أن رئيس الحنشل كان لاعب بوكر من الطراز الأول ، كاريه ورا فلاش ورا حكم ورا صن ورا سِرْا ورا فُل هاوسْ . مع كل هزيمة ، كان جدي المسكين ينضو عنه قطعة من ثيابه . بدأ بخلع العقال وانتهى بخلع ملابسه الداخلية . عاد إلى الديرة وهو عريان تماماً . منذ ذلك الحين أصبح لقبه المُفصّخ وتوارثنا نحن اللقب كابراً عن كابر .

توفيق – هل يمكن أن نعود إلى إلى ولادتك ؟

أبو شلاّخ – ولادتي كانت متعسّرة جداً ، جداً جداً . يبدو

أنني كنت متردداً في الخروج إلى العالم . لم تكن هناك مستشفيات ولادة . لم يكن هناك سوى القابلة الحمارة . وأمسكت القابلة برأسي تسحبه سحباً وبيلا . إلاّ أنه تبيّن أنها لم تكن تمسك برأسي بل ببيضة تقع في الجانب الآخر من الجسم . خلطت بنت الحرام بين الرأس والبيضة . بعد ساعات طويلة من السحب خرجتُ والبيضة في حجم الرأس . من العجب العجاب أنني لم أمت . ولم أفقد البيضة . ساعتها خطر ببالي . . .

توفيق – خطر ببالك ؟! وأنت طفل حديث الولادة ؟!

أبو شلاّخ – نعم! نعم! خطر ببالي أن العناية أنقذتني من الموت لأنها تهيّىء لي مستقبلاً عظيماً . هذا أمر مألوف بين العظماء . ذكر الرئيس السادات في مذكراته أنه وقع في الترعة وهو طفل صغير لا يستطيع أن يسبح ومع ذلك نجا لأن القدر كان يدّخره للزعامة . حال ولادتي التفتُ إلى القابلة ، وقلت لها :«تُف عليك ! ما تعرفين صَدرْ من تُفَر ؟!» بعد ذلك التفت إلى الوالدة ، وقلت لها :«سُوريْ مامي! أتعبتك قليلاً .» . لم تفهم القابلة ولا الوالدة شيئاً ، بطبيعة الحال . أعدتُ الكرّة وبصقتُ على القابلة من جديد . لاحظ أحد الكبار هذه العدوانية المبكّرة في تصرفاتي ، وقال : «هذا الولد كأنه من أولادي الحواريّ» . فهمت أنا لفرط ذكائي المفرط ، ما قال ، ولكن يجب أن تتذكر ، يا أخي أبو لمياء ، أني كنت طفلاً صغيراً جداً ولم يسبق لي أن رأيت حارة . أطرقت أفكّر في

معنى أولاد الحواري . مع أطراقي وتفكيري ، امتنعت عن النطق . كان الإضراب عن الكلام ، وقتها ، ممنوعاً في منطقتنا ، ورفع الكبار الأمر للسلطات المختصة . بعد ساعات ، جاء طفل يكبرني بشهرين وبدأ يحقّق معي بلغة الأطفال التي لم يفهمها أحد سوانا . كان الطفل ضابطاً من رتبة رويقيب . قال : «لماذا أضربت عن الكلام يا ولد؟ هل تقصد أن تسبّ الحكومة بالصمت؟» قلت : «لا ، والله ، يا سيادة الرويقيب» . لاحظ ، يا أبو لمياء ، إني ولدت وفي فمي ملعقة من النفاق الذي يستخدم عند الضرورة . قال الرويقيب : «لماذا ، إذن ، أضربت عن الكلام؟» . قلت : «كنت ، في الحقيقة ، أفكّر» . قال : «تفكر في إيش .؟» قلت : «في أولاد الحواري . هل تعرف معنى أولاد الحواري؟» أطرق الطفل الرويقيب ، بدوره ، مفكراً ، فرفع أمره ، بدوره إلى السلطات المختصة التي أرسلت طفلاً أكبر قليلاً برتبة . . .

توفيق – أعتقد أننا غطّينا موضوع الولادة وما صاحبه . . .

أبو شلاّخ – الحقيقة أن الطفل الضويبط الصغير الجديد أقنعني بالعودة إلى النطق عندما قال : «ولماذا لا تفكر أثناء الكلام ؟» كانت هذه نصيحة ذهبية ، يا أبو لمياء . عدتُ إلى الكلام ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أتكلّم وأفكّر في الوقت نفسه . خذوا الحكمة! بمجرد استئناف الكلام التفتُ إلى الوالدة ، وقلت : «سُوري مامي! أتعبتك قليلاً !» حقيقة الأمر ، إن الوالدة توفيت ، في اليوم التالي ، رحمها الله . ماتت متأثرة

بالعناء الشديد الذي لاقته خلال ولادتي . كنتُ طفلاً خارقاً ، قُدّر وزني ، يوم ولادتي ، بعشرين رُبعَة .

توفيق- رُبعة ؟!

أبو شلاّخ - الرُبعة وزن كان شائعاً في منطقتنا ، أيامها ، ومقداره ٤ أرطال .

توفيق - كان وزنك يوم ولادتك ٨٠ رطلاً ؟!

أبو شلاّخ - كنتُ ، يا أخي أبو لمياء ، طفلاً استثنائياً من جميع الوجوه ، ووزني هذا مجرد تقدير . لم يكن هناك ، في تلك الفترة ، دكاترة أطفال ، ولا موازين لقياس الأطفال . المهم أن الوالدة ماتت بسببي . وربما كان لغباء القابلة بعض الأثر . بمجرد وفاة الوالدة بدأت مشكلة تغذيتي . أيامها ، لم يكن هناك حليب مُعبّأ في زجاجات لاستعمال الأطفال . قرّر الكبار أن يكلفوا القابلة التي ولّدتني بإرضاعي مع طفلها إلاّ أنني رفضت بإباء وشمم . الواقع أني بصقت عليها مجدداً ، وكرّرت قولتي المأثورة : «(تُفْ عليك يا الخايسة ! ما تعرفين صدر من تفر؟!» بحثوا عن مُرضع ثانية وجاءوا بها إلا أنني رفضت التقام ثديها ، رغم أن ثديها كان لا بأس به . كنت ، يا أبو لمياء ، مصاباً باكتئاب نفسي ناشىء عن عقدة ذنب مصدرها أني سبب وفاة الوالدة . قررت الإضراب عن الطعام حتى الموت . كان الإضراب عن الطعام ، وقتها ، ممنوعاً في منطقتنا ، وقرر الكبار رفع الأمر للسلطات المختصة ، قسم الأطفال الرضّع المضربين عن الطعام . توقعت أن يأتي طفل صغير في عمري

نفسه كالمرّة الماضية ، إلاّ أن السلطات المختصة كانت ذهينة وتلبس لكل حالة لبوسها . فوجئت بولد شقيّ في العاشرة من عمره يتقن لغة الأطفال الصغار . دخل يجرّ بيد عنزاً ضرعها ممتلىء بالحليب كالبقشة ، وباليد الأخرى تيساً له قرنان ينطحان السقف . وقف أمامي وقال : «عمى ! بزر وزنه ٢٠ ربعة ؟!» . قلت : «عمى يعميك! قل لا إله إلاّ اللّه» . قال : «لا إله إلا اللّه .» قلت :«قل ما شاء اللّه ، تبارك اللّه» قال : «ما شاء اللّه ، تبارك اللّه . وراك ما تاكل؟» . قلت : «أنا مصاب باكتئاب نفسي ناشىء عن عقدة ذنب مصدرها شعوري أنني سبب وفاة الوالدة وقد قررت أن أجوع حتى الموت» . قال : «إسمع عاد يا سمينان! يا ترضع هالحين من هالعنز يا أخلّي هالتيس أبو قرون جريئة ينطحك ويشق بطنك» . فكرّت في الموقف وتبيّنت لي خطورته . بدأ التيس ينظر إليّ نظرة لا تختلف عن نظرة أيّ جنرال إسرائيلي إلى جماعة سلام الشجعان . يجب أن تعرف ، يا أخي أبو لمياء ، أنني بعد أن قلّبت الأمر على وجوهه المختلفة قررّت أنني إذا بدأت حياتي بالاستسلام للتهديد والرضوخ للابتزاز فلن يكون بوسعي تحقيق شيء من الأمجاد التي تنتظرني . نظرتُ إلى التيس بازدراء ، ونظرت إلى العنز بكبرياء ، ونظرت إلى الولد الشقيّ بقرف ، وقلت : «ما يهم! خلّ التيس ينطحني . أموت وأرتاح وتزول عقدة الذنب ، رضي من رضى وغضب من غضب» . كنت أعدّ نفسي لمعركة حاسمة يائسة مع التيس عندما فُوجئت بولد السلطات المختصة

يضحك ، ويقول : «بُصرْك! أنت متين ولا يضرّك الجوع» . ما إن قال قولته هذى ، يا أخي أبو لمياء ، حتى شعرت بالدم يصعد إلى رأسي . يبغي يموّتني من الجوع ، ابن الحرام! تقلبّت حتى وصلت إلى ديْد العنز المنتفخ وأخذت أمصّه وتدفق حليب لذيذ كأنه آيسكريم إلى فمي . واصلتُ المصَّ حتى صرختْ العنز من الألم وبدأت تظهر عليها علامات الإعياء الشديد . قال ولد السلطات المختصة : «وجعْ! بسْ! ذبحت أمك وتبي تذبح عنزنا؟» قلت : «انقلع أنت وعنزك . وخذ تيسك معك ، يا تويسان!» . قال : «في أمان طويق ، يا سمينان!» ذهب ولد السطات المختصة بالعنز والتيس وبقيت جائعاً . قررّ الكبار إطلاقي في الزريبة . كنت أنتهي من بقرة وأنتقل إلى الثانية . بدأ وزني يزيد ، وصحتي تتحسّن ، وتلاشى الانتفاخ الذي سببته القابلة الخايسة . أخذ الكبار يفكرون في مسألة تربيتي . يجب أن تعرف ، يا أخي أبو لمياء ، أننا كنا أسرة ميسورة تملك الكثير من النخيل والمزارع والدكاكين والدِبشْ . . . .

توفيق – الدِبشْ؟!

أبو شلاّخ – الأنعام . لم تكن هناك مشاكل مالية تحول دون تربيتي تربية راقية متطورة . قرّر الكبار جلب مربيّة فيلبينية تشرف على تربيتي مكان المرحومة الوالدة .

توفيق – كانت لديكم مربيات فيلبينيات في السنة التي وُلدت فيها ؟!

أبو شلاّخ– لا ، يا أخي أبو لمياء . كنت أنا ، ولا فخر ، أول

من أدخل المربيات الفيلبينيات إلى المنطقة . تستطيع أن تعتبرني المكتشف الحقيقي للفيلبين . تمت الإجراءات الروتينية المعتادة وجاءت إيميلدا . أتذكر جيّداً أنها كانت مزيونة ، وأحضرت معها كميّة لا يستهان بها من الأحذية . اجتمع الكبار ووضعوا لإيميلدا برنامجاً مريحاً يتمشّى مع آخر مقررات منظمة العمل الدولية بشأن معاملة العمّال معاملة إنسانية . من الرابعة إلى السابعة صباحاً : تقوم إيميلدا بتنظيف الزريبة وحلب البقر . من السابعة إلى الثامنة صباحاً : تحضر ايميلدا لي الحليب في سطل وتقوم بتسليتي أثناء استهلاكه . من الثامنة إلى العاشرة صباحاً : تقوم إيميلدا بتحضير الفطور لكبار العائلة وخدمتهم أثناء الأكل . من العاشرة إلى الحادية عشر صباحاً : تقوم ايميلدا بغسل ما تراكم من ثياب قذرة ، خاصة ثيابي ، في الطشت المخصّص لهذا الغرض . من الحادية عشرة إلى منتصف النهار : تحضر ايميلدا غدائي الذي يتكون ، عادة ، من ٦ بيضات أومليت وطبق رطب وطاسة دبس ، وتتولى تسليتي أثناء الأكل . من الظهر إلى الثانية بعد الظهر : تحضّر إيميلدا طعام الغداء لكبار العائلة وتقوم بخدمتهم أثناء الأكل ثم تنظف الأطباق عن طريق اللحس . من الثانية الى الرابعة : تعود إيميلدا إلى الزريبة لتنظيفها وحلب البقر . من الرابعة إلى السادسة : فترة تربية بدنية تجري خلالها إيميلدا وأجري أنا خلفها وألشطها بالخيزرانة . من السادسة إلى الثامنة : تغسل إيميلدا ما تجمع من ثياب قذرة ، خاصة ثيابي . من الثامنة إلى العاشرة : تقوم

إيميلدا بتسلية كبار الأسرة الراغبين في التسلية ، وذلك عن طريق المداعبات الجنسية والمساج والكبوس . من العاشرة إلى منتصف الليل : تقوم إيميلدا بغسل البقر بالماء والصابون والكولونيا . من منتصف الليل إلى الثانية صباحاً : تتولى إيميلدا كوي الثياب التي تراكمت من الثانية صباحاً إلى . . . .

توفيق – ما هذا؟! هذا برنامج . . .

أبو شلاّخ – صدقت! هذا برنامج مريح جداً وترك لإيميلدا الكثير من الفراغ . والفراغ كما تعرف يا أخي أبو لمياء ، يجلب معه الأفكار السوداء والوساوس . هذا ما دفع ايميلدا إلى الانتحار حليباً .

توفيق – الانتحار حليباً؟

أبو شلاّخ – نعم ، شربت حليب البقر كله ، دفعة واحدة ، فانفجرت أمعاؤها وماتت مأسوفاً عليها . الحقيقة ، أنني بعد موتها أصبت بكآبة نفسية لأنني لم أجد أحداً ألشطه بالخيزرانة . اجتمع الكبار لمناقشة مشكلتي وقرروا حلّها بشراء عبد أفريقي صغير أمارس فيه مواهبي الخيزرانية . ذهب الكبار إلى سوق العبيد وجاءوا بعبد في الخامسة . اجتمع الكبار ووضعوا للعبد الصغير برنامجاً يتمشىّ مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان . من السادسة إلى العاشرة صباحاً : ينظّف العبد الصغير الزريبة ويحلب البقر . من العاشرة إلى منتصف النهار : فترة التربية البدنية الأولى ، يجري العبد الصغير وأجري أنا خلفه وألشطه بالخيزرانة . من منتصف النهار الى الثالثة بعد

الظهر : يذهب العبد الصغير إلى الفيافي والوديان ويأتي بحاجتنا اليومية من حطب الغضى ، قرابة ١٠٠ رُبعة ، محمولة على رأسه . من الثالثة بعد الظهر إلى الثامنة مساء : ينظّف العبد الصغير المنزل وينزح البواليع ودورات المياه . من الثامنة إلى العاشرة : فترة التربية البدنية الثانية ، ويقوم خلالها الكبار بتكفيخ العبد الصغير لتنشيط دورته الدموية وتنمية قدرته على التحمّل . من العاشرة إلى منتصف الليل : يغسل العبد الصغير الثياب ويقوم بكويها . من منتصف الليل إلى . . .

توفيق – هذا برنامج . . .

أبو شلاّخ – صدقت ! صدقت! هذا برنامج مريح ويترك مجالاً كبيراً للهواجس غير الصحية ، وقديماً قال الشاعر بحق :

إن الشباب والفراغ والجدةْ
مفسدة للمرء أي مفسدةْ

فسد العبد الصغير وقرر الانتحار بالعقارب .

توفيق– بالعقارب ؟! كيف ؟!

أبو شلاّخ – أكل جميع العقارب التي وجدها ترعى في الزريبة ، قرابة ٩٠ عقرباً ، ومات مسموماً مأسوفاً عليه . الحقيقة ، أنني عانيتُ بعد موته من فراغ هائل أدّى إلى إصابتي بكآبة نفسية . وهنا خطرت للكبار فكرة رائعة : شراء حيوانات منزلية صغيرة أتسلّى بها .

توفيق – ألم يكن هناك أقارب من سنّك تتسلّى معهم ؟

أبو شلاّخ – اسمع ، يا أخي أبو لمياء . هذا الكتاب عني

وليس عن أقاربي . ولماذا تذكرت الأقارب عند الحديث عن العقارب؟ مجرد مصادفة؟ أم لأن الشيء بالشيء يذكر؟ لا يهم . عندما أريد أن أتحدث عن قريب أو صديق فسوف أتحدّث عنه وعندما لا أريد لا تسألني . بإمكان الأقارب أن يؤلفوا كتباً عن حياتهم ، مثل هذا الكتاب ، إذا شاءوا .

توفيق - كنا نتحدّث عن الحيوانات الأليفة .

أبو شلاّخ - فعلاً ، وبدأنا بحمل ظريف رضيع . في بداية الأمر كنت أرضعه معي من حليبي . ثم اكتشفت أنه يصرخ بشدّة عندما ألشطه بالخيزرانة . وبدأنا التسلية : شفطة حليب ولشطة خيزرانة . بمرور الوقت ، تعوّد الحمل على اللشط ولم يعد يصرخ . بدأت أبحث عن تسلية أخرى . بعد تفكير طويل عميق وجدت أن حملاً صغيراً مثله لا يحتاج إلى عينين . تكفيه عين واحدة . أدخلت مسماراً في عينه اليمنى وقلعتها . الغريب أنه كان يضحك أثناء القلع . بعدها ، أصبح اسمه الأعور ، بعد أن كان بلا اسم . استظرفت حكاية قلع العين . قلعت عينه الأخرى ، وأصبح اسمه الأعمى . ذات يوم ، ولسببٍ لا أعرفه ، قرّر الكبار ذبح الحمل وأكله . كنت صغيراً وقتها لا آكل اللحوم وأصبت بكآبة نفسية شديدة . قرّر الكبار حلّ مشكلتي عن طريق الحمام . اشتروا قرابة ٤٠ حمامة وأطلقوها في المنزل . إلاّ أن الحمام كان قادراً على الطيران ويصعب لشطه . بدأت أنثر الحب للحمام ، وأختفي وأنقضّ على الحمامة وهي تأكل وألشطها . في تلك الفترة ، لاحظتُ في

نفسي نزعات علمية كامنة . أصابني حبّ الاستطلاع العلمي . قررّتُ إجراء عملية جراحية لكل حمامة أصطادها . كانت العملية تتكون من نتفها وتشريحها بسكين المطبخ والتعرّف على أعضائها الداخلية . بعد ٦ عمليات جراحية من هذا النوع قرّر الكبار ذبح الحمام وأكله . عملية إبادة عنصرية شاملة! أُصبت بكآبة نفسية حادة لم يخلصني منها إلاّ وصول الجحش الذي اشتراه الكبار لتسليتي . الحقيقة ، إني قضيت مع الجحش أوقاتاً من أسعد أوقات حياتي . كنت ألشط الجحش وكان يرد بنهيق معتدل مشوب بشيء من القهقهة . وكنت أنطّ على ظهره فيمشي مختالاً بي . كان متعلقاً بي غاية التعلّق ، وكان الشعور متبادلاً . لاحظت ، ذات يوم ، إن ذيله مليء بالذباب ، وأن المسكين كان متضايقاً جداً من وجود هؤلاء الضيوف الفضوليين . أردت مساعدته فأحضرت مقّصاً وحاولت قطع ذيله ، إلا أنه خلال المحاولة عاجلني برفسة في بيضتي أدّت إلى انتفاخها من جديد . استغلّ الجحش فرصة الذهول الذي انتابني وانطلق هارباً ولم يره أحد بعدها . أُصبت بكآبة نفسية شديدة إلا أن الكبار رفضوا شراء المزيد من الحيوانات . لم تفارقني الكآبة النفسية إلاّ عندما رأيت ، ذات صباح ، قطاً أسود صغيراً في الزريبة . سرعان ما أصبح القط الصغير صديقي ، وكنت أقضي معه الكثير من الوقت . قررّتُ تعليمه السباحة . ربطته من رقبته في حبل وأنزلته في القليب .

توفيق – القليب ؟!

أبو شلاّخ – البئر . أيامها ، يا أخي أبو لمياء ، لم تكن هناك شبكة مياه ولا صنابير وكان كل منزل تقريباً يحتوي على بئر . المهمّ أنني أنزلت قطي الأسود الصغير في القليب وأنا أصيح : «اسبح ، يا قطيوي ، اسبح!» . عندما أخرجته من القليب فوجئت أنه أصبح جثة هامدة . بغيناها طبّه وصارت غيصه . بكيت كثيراً وأُصبت بكآبة نفسية شديدة . أضربت عن الكلام والطعام ولم يأبه أحد ، فاستحسنت العودة إليهما . ذات ليلة ليلاء ، قرّر الكبار أن الوقت قد حان لإرسالي إلى المطوّعة . وهنا بدأت . .

توفيق – المطوّعة ؟!

أبو شلاّخ – المطوّعة موزة كانت امرأة عجوزاً طيبة تسكن حيّنا وتعرف القليل من مبادىء القراءة والكتابة وبعض قصار السور ، ويتلقى الطلبة والطالبات العلم عندها . هنا بدأت الدموع تسيل من عينيّ لأنني أدركت أنني انتقلت من طور إلى طور : من فترة اللعب واللهو والعبث إلى فترة الجد والانضباط والمسؤولية .

توفيق – كم كان عمرك وقتها؟

أبو شلاّخ – كنت بين السادسة والثامنة . إلاّ أنه يصعب عليك ، يا أخي أبو لمياء ، أن تعرف وضعي من عمري . كنت طفلاً عبقرياً . البعض ، هذه الأيام ، يستخدم تعبير الطفل المعجزة ، ولكنني إنسان متواضع وتكفيني صفة العبقرية . كنت أبدو وأتصرّف كما لو كنت أكبر من عمري الحقيقي بكثير .

والغـــريب أنني حين بلغت سن الأربعين انعكست الآية . أصبحت أبدو وأتصرّف كما لو كنت أصغر من عمري الحقيقي بكثير . يبدو ، واللّه أعلم ، أن هذه الظاهرة من طبائع النبوغ . لا تكثـر ، يا أخي أبو لميـاء ، من السـؤال عن عـمري فـمـثل هذه الأسئلة لا تخدم أي غرض ، وقـد تضلّل القـارىء الكريم الذي يجهل سمات النبوغ المبكّر .

توفيق – لن أسال عن العمر إلا عند الضرورة القصوى .

أبو شـلاّخ – شكراً! في صباح اليـوم المشـهود زودّني الكبـار بلوح صغير أسود ، ومعه قلم صغير أسود إلاّ أنه يكتب باللون الأبيض ، أرقى أنواع التقنية التربوية وقتها . كما سلّمني الكبار مبلغ ريالين وطلبوا مني بمجرد دخول منزل المطوعّة موزة تقبيل يدها وإعطاءها المبلغ . أوصلني أحـد الكبـار إلى منزل المطوّعـة وتنحنح ، وجـاء صوت المطوّعة من الداخل : «حـيّاكم اللّه» . تركني الكبير وحـدي ، وانصرف . تلكّأتُ عند البـاب ، وما إن اختـفى الكبير حتى وضعت طرف ثوبي في أسناني وأطلقتُ ساقيّ للريح متجـهاً إلى السـوق . كان المبلغ ثروة حـقيقـية ، يا أخي أبو لميـاء ، أيامـهـا . كـان يعـادل الراتـب الشـهـري لموظف مـتوسّط في الحكومـة . تجوّلت في السـوق أبحث عن حيـوان أليف أشتريه ولكنني وجدت نفسي عاجزاً عن اتخاذ أي قرار . لاحظت شـخصـاً غريب الملامح له لحيـة سوداء مـدببّه وأظافر طويلة مدبّبة وعيون تنطلق منها أشعة غريبة يتبعني من مكان إلى مكان ولكني تجـاهلتـه . وقـفـت أسـتـريح قـرب مـحـل يبـيع

الدجاج فإذا بالرجل الغريب يقترب مني ويبتسم ، ويقول : «أنت يعقوب ؟!» . قلت : «نعم . كيف عرفت اسمي؟» قال : «أنت ، يا ابني ، معروف ومشهور في كل مكان» . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، إني شعرت بشيء من الزهو وأنا أعرف أني أصبحت معروفاً ومشهوراً في كل مكان . قال الرجل الغريب : «وهوايتك إجراء العمليات الجراحية للحمام ، وتعليم القطط السباحة» . الحقيقةإنني بدأت أرتاح للرجل وأكّدت له صحة المعلومة التي أوردها عن هوايتي . قال : «لماذا لا تجيء معي؟ عندي بستان مليء بالحمام والقطط . تستطيع تشريح الحمام وتعليم القطط السباحة» . أغرتني هذه المباهج ولكني خفت مغبّة التأخير عن المطوّعة موزة . قال : «لا تخف! عندما تتعب من اللعب مع الحمام والقطط سآخذك بنفسي إلى المطوّعة» . أردفني الرجل الغريب وراءه على حماره ومضينا نقطع شوارع الديرة حتى وصلنا منطقة البساتين . لم نقف عند أي بستان منها ، وتجاوزنا المنطقة حتى أصبحنا في البرّ . قلت : «يا عمّ! متى نصل؟» . قال : «أغمض عينيك لحظة» . أغمضت عينيّ وفتحتهما فإذا بنا فوق جبل القارة ، وإذا بالرجل يدخل ويدخلني معه من فتحة جانبية في الجبل . وجدت نفسي في سرداب هائل وحولي أشخاص لم أر مثلهم من قبل : عيونهم مشقوقة بالطول ، وأنوفهم تحتوي على ٣ فتحات ، وأرجلهم كأرجل المعيز ، وأظلافهم كأظلاف البقر ، وعلى رأس الواحد منهم قرنان حادّان طويلان . ارتجفت من الخوف ، وأغمضت

عينيّ وفتحتهما عدة مرات ، آملاً أن أكون في منتصف كابوس مزعج ، إلاّ أن المنظر لم يتغير . في طرف السرداب جلست امرأة جميلة ، من الصنف نفسه ، على كرسي ضخم شبيه بالعرش ، وتبيّن من معاملة الجميع لها أنها الزعيمة . فوجئت بالرجل الغريب الذي أحضرني وقد فقد هيئته الآدمية وأصبح كالبقية . جرّني الرجل من يدي وأوقفني أمام الكرسي الضخم ، وقال : «يا مولاتي كهرمان! يا بنت ملك ملوك الجان! طاب لك الزمان . وازدان بك الأوان» . قالت كهرمان : « أهلاً بك يا فانوس . لماذا جئت بهذا الإنسي الصغير المتعوس؟» قبّل فانوس الأرض وجلس عليها ، على الأرض ، وقال : «مولاتي كهرمان! هذا غلام من أشطن الغلمان . ارتكب جرائم يشيب لهولها أمثاله من الولدان» . قالت كهرمان : «ماذا فعل من أمور يعاقب عليها الناموس . أيها الجنّي الجاسوس؟» . بدأ فانوس يسرد على الأميرة الجنيّة تاريخ حياتي من لحظة وصول المربيّة حتى لحظة عثوره عليّ في السوق . عندما انتهى ، ضحكت كهرمان وقالت : «هذه شقاوة عيال . وأفعال جُهّال . فلماذا تشغلني بها يا رجّال؟ أليس لديّ ما يكفيني من أعمال؟» . قال فانوس : «فاتني ، يا مولاتي ، أن أقول إن البسّ الذي أغرقه في البير . هو في الحقيقة طفلٌ جني صغير . واسمه شمرشير بن شمر دير» . وهنا وقفت كهرمان وصرخت صرخة اهتزّ منها السرداب ، وذعُرَ الجلاوزة والأعوان ، وقالت : «هل هذا صحيح يا فانوس؟ هل فعلها هذا الإنسي روث الجاموس؟» . قبل أن يتكلّم فانوس

تقدّمت امرأة جنية من عرش كهرمان وأخذت تبكي وتولول : «حرق كبدي . وأغرق ولدي . وأريد ، الآن ، ان أشفي منه غليلي . وأقطعه قطعاً أصرّها في منديلي» . التفتتْ إليّ كهرمان وصَرختْ : «ماذا تقول يا أرذل الإنسْ . يا من لا تساوي بيزة ولا بنِس؟» . سالت الدموع من عينيّ ، إلاّ أنني استجمعت أطراف شجاعتي ، وقلت : «سيدتي الأميرة الجنية! عليك بالحنّيةْ . فأنا طفل يتيم . بل إنني طفل لطيم . فقدتُ أبي الذي مات قبل ولادتي . وفقدت أمي بسبب بدانتي وبلادتي» . قالت كهرمان : «قصّ عليّ ما كان . يا أقذر الورعان» . قلت : «يا أميرة الجان! بدلاً من أن أظهر برأسي كبقية البزران . ظهرت بالجزء الذي فيه البيضتان» . ضحكت كهرمان ، وقالت : «يا لك من ولد مشؤوم . أنحس من الغربان والبوم» . وهنا تقدمّت أمّ شمرشير وقالت : «ماذا ستفعلين ، يا مولاتي ، بهذا المجرم الخطير؟ وهل سيذهب هدراً دم طفلي الصغير؟» . نظرتْ كهرمان إليّ وصاحت : «تكلم يا بعرة البعير! لماذا فعلت ما فعلت بشمرشير؟» قلت : «مولاتي الجّنية! عليك بالمفهومية . كيف أعرف أنه من الجان . وليس عليه أي نيشان؟ وشكلة شكل قط كباقي القطط . وأنا معذور في هذا الغلط» . ليتني اكتفيت بهذا القدر ، يا أخي أبو لمياء ، ولكنني مضيت في جمل غير مفيدة :«كنتُ ، يا مولاتي ، حسن النيّة . سليم الطويّة . وكان قصدي تعليم القط السباحة . لكي يكثر في الأنهار السياحة . ولو كانت أمّه ذكية . لعلمته التربية البدنية .

وجعلته يسبح في البرك التحتية» . هنا تطاير الشرر من عيني كهرمان ، وصرخت : «من تكون أيها الإنسي الوكيح . لتعلّم الجان أسلوب التربية الصحيح؟» . ثم التفتتْ إلى الجلاوزة والأعوان ، وصاحت :«خذوه إلى مقصورة العذاب . وافرموه فرم الكباب . وخلّوا عيشته زيّ الهباب» . أخذني الجلاوزة القساة إلى سرداب ثان تحت السرداب الأصلي وأدخلوني غرفة لا تكاد تتسع لي . في مقصورة العذاب هذه قضيتُ شهراً كاملاً عانيتُ خلاله من جميع أنواع التعذيب التي ابتكرها العقل الجنيّ . بعد انقضاء الشهر جاءني جنّي عبوس غِلسْ وجرّني جراً من مقصورة العذاب وأخذني إلى مخدع كهرمان في الطابق الأول من جبل القارة . وجدت المخدع شبيهاً كل الشبه بجناح بن جوريون في ذلك الفندق الواقع بجنيف ، والذي يعشقه العربان من أنصار الخيار السلمي الاستراتيجي . هناك كانت كهرمان تنتظرني ، وقد ارتدت غلالة نوم رقيقة ، وصبغت قرنيها باللون الأشقر ، وحلقتْ ساقيها ، وزينّتْ أظلافها بطلاء قرمزي . خطر ببالي ، فوراً ، أنها تنوي التحرش بي . قلت : «مولاتي كهرمان! أذكّرك أني من الورعان . وأنا طفل صغير . رغم هذا الحجم الكبير . والتحرشّ بالقاصرين . جريمة في كل القوانين .» ضحكت كهرمان ، وقالت : «يا ذا السحنة القبيحة! هل تظن أني من أجلك وضعت الزينة والريحة؟» . قلت : «إذن من أجل من تتزينين . وله ترشين العطور ، وتخلعين وترتدين؟» . قالت : «اسمع ياوجه الخنفوز .

أنا أتجمل من أجل حبيبي توم كروز» قلت : «وماذا عني؟ وهل غفرت ما بدر مني؟» فجأة ، وضعتْ كهرمان يدها على رأسي ، وتمتمت بكلام غيرمفهوم ، فإذا بي أتحوّل إلى قط أسود صغير . ضحكت كهرمان وقالت : «الآن أيها البزْر الصفيق . ستعرف شعور البسّ الصغير الغريق» . أخذتني وذهبت بي إلى حمّام المخدع ووضعتني في بانيو مليء بالماء الفاتر . شعرت ، يا أخي أبو لمياء ، أني أختنق وأن رئتي على وشك الانفجار . بدأت أطبش في الماء وأرافس وأعافس طيلة الليل لأستطيع البقاء طافياً . عند الصباح أقبلت كهرمان وحملتني من عنقي وأنا نصف ميت ورمت بي على أرض الحمام . في المساء ، رجعتْ ووضعتني في البانيو . ظللت على هذه الحال سنة كاملة و . . .

توفيق – سنة كاملة؟!

أبو شلاّخ – سنة كاملة ، البانيو في الليل وأرض الحمام في النهار . ذات يوم قالت كهرمان : «أيها الولد الصفيق! عرفت الآن شعور البسّ الغريق . وسوف تعرف شعور العبد الصغير غير العتيق» . وضعتْ يدها على رأسي وهمهمتْ وتمتمتْ بكلمات غير مفهومة ، فإذا بي أعود إلى هيئتي البشرية ، مع شيء من الامتداد ، أفقياً وعمودياً . ثم همهمتْ وتمتمتْ من جديد ، ودفعتْ بي في الهواء فإذا بي أنطلق كالزهبة . . .

توفيق – الزِهبة ؟!

أبو شلاّخ – الطلقة . الرصاصة . أنطلق كالزهبة وأحط على ظهر بوم مبحر . . .

توفيق – بوم ؟!

أبو شلاّخ – مركب شراعي ضخم متعدد الأشرعة . لم أكد أحطّ على ظهر البوم المبحر في عرض البحار حتى جاءني رجل أسود بليّة وجرّني إلى عرش ذهبي في صدر البوم جلس عليه أضخم رجل رأيته في حياتي . كان الرجل شديد السواد ، عظيم البطن ، وعلى رأسه تاج من الذهب الخالص . ما إن رآني حتى صرخ صرخة جمّدت الدماء في عروقي : «أنت يعقوب معذّب الأطفال العبيد الصغار؟!» . قلت : «نعم يا سيدي . وقد كان ذلك أيام الجهل والجحوشية أما الآن فقد نموت ونضجت فكرياً» . ضحك الرجل ضحكة طويلة استرختْ على وقعها أعصابي ، واستعدتُ رباطة جأشي ، وقلت : «اسمح لي ، يا سيدي ، أن أسألك : من أنت؟ وما شأنك؟ ومن هؤلاء الرجال؟ وما هذا البوم ؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟» . ضحك الرجل مرة أخرى ، وقال : «يا لك من وليد أبيض ملقوف ملغوب . اعلم ، يا جحش ! ، إني كريشان أبو كريشة ملك القرامطة . وهؤلاء الذين تراهم حولك من العبيد سابقاً ، الأحرار القرامطة ، الآن . واعلم ، يا جحش ! ، إننا قمنا بثورة في البصرة قضت على الإقطاع الذي هو أعلى مراتب الامبريالية ، وأبادت الطبقة البورجوزاية ، وأقامت مجتمع العدل والكفاية» . قلت : « للّه درّكم! هل تتحدث ، يا مولاي ، عن ثورة الزنج؟» . قال : «هي بعينها . ولكننا نفضّل أن نسميها ثورة القرامطة» . قلت :«إلى أين أنتم ، بسلامة اللّه ، متجهون؟» .

قال كريشان أبو كريشة القرمطي : «نحن متجهون إلى الولايات المتحدة لتحرير العبيد واستئصال شأفة الرأسماليين وإقامة دولة قرمطية شعارها لكل بحسب حاجته ومن كل بحسب طاقته» .
قلت : «نعم الهدف! ونعم الشعار! وأنا ، مولاي صاحب الجلالة القرمطية ، ما موضعي من الإعراب؟» . قال : «الأسماء ممنوعة من الصرف» . وضحك . قلت «سبحان اللّه! ولماذا لا تُصرف؟ هل هي عُملة سهلة ؟» ، ضحك مجدداً وضحكت معه . فجأة ، تجهّم وجه ملك القرامطة وقال : «هل تذكر العبد الأسود الصغير الذي دفعته إلى الانتحار بأكل العقارب؟» .
قلت : «مولاي المهيب المهاب المهيوب! أنا كنت أعامله معاملة الأخ الشقيق وألشطه بالخيزرانة بين الحين والحين من باب المداعبة والتسلية» . قال : «حان ، الآن ، وقت دفع الحساب» .
قلت : «أي حساب ، وأنا لم أطلب أيّ غداء أو عشاء؟» .
ضحك أبو كريشه حتى اهتزّت كريشته واهتزّ معها البوم ، وقال : «انعكست الآية . أنت ، الآن ، عبدنا الصغير الأبيضاني ، وقد وضعت لك برنامجاً يومياً حافلاً . تصحو في الرابعة صباحاً ، وتنظف البوم من أقصاه إلى أدناه . وفي السابعة ، تحضّر لنا الفطور وتخدمنا أثناء تناوله . ومن التاسعة إلى منتصف النهار ، تتسلّق الحبال وتقف على أعلى جزء من الصارية ومعك دربيل تتأمل الآفاق وتحذّرنا من مراكب القراصنة . وفي منتصف النهار ، تأخذ ساعة للنوم والراحة .
ومن الواحدة إلى الثالثة ظهراً ، تنزل إلى الطابق السفلي من

البوم وتنظفه بالديتول وتتأكد من نظافة الشراشف والبطانيات . ومن الثالثة إلى الخامسة ، تهتّم بشباك الصيد وتنظفها وتخيط ما يحتاج إلى خياطة . ومن الخامسة إلى الثامنة ، تعد لنا العشاء وتخدمنا أثناء الأكل . ومن الثامنة إلى العاشرة ، تنظف القدور والأطباق عن طريق اللحس وتتأكد من خلو المطبخ من الفيروسات . ومن العاشرة إلى منتصف الليل ، تمرّ على القرامطة واحداً واحداً لترى إذا كان بينهم من يحتاج إلى مساج أو كبوس . ومن منتصف الليل إلى الثالثة صباحاً ، تصطاد السمك بالسنارة لنأكله طازجاً في الإفطار . ومن الثالثة إلى الرابعة ، فترة نوم واسترخاء . ما إن سمعت كلام أبو كريشة حتى أُغمي عليّ . صبّ علي القرامطة سطلاً من ماء البحر وعندما أفقت قلت : «مولاي صاحب الجلالة القرمطية! هذا البرنامج سوف يجيب خبري . ألتمس الرحمة من الجناب العالي» . قال أبو كريشة : «ومن قال لك إننا نؤمن بالرحمة ؟ نحن نؤمن بالعدل والكفاية . وما نكلفك به عدل ، ونعتقد أنه كفاية» . قلت : «مولاي أبو كريشة! تذكر أنني طفل صغير يتيم لطيم . وقد قضيت سنة كاملة أقاوم الغرق في بانيو . قال أبو كريشة : «في بانيو وانت كُبْر البعير؟!» قلت : «كنت على هيئة قط أسود صغير ، يا مولاي» . قال : «قط في بانيو؟! حقاً إنك أبو شلاّخ» . وهكذا ترى ، يا أخي أبو لمياء ، أن كريشان أبو كريشة ملك القرامطة هو أوّل من أطلق عليّ هذا اللقب المحبّب إلى نفسي . قلت في نشوة فرحتي باللقب : «وإلى متى ،

مولاي ، سوف أستمر في هذا البرنامج الممتع؟» . قال : «إلى أن نصل إلى الولايات المتحدة .» قلت : «ومتى سوف نصل؟ .» قال : «تستغرق الرحلة من سنة إلى سنتين» . قلت : «مولاي! أرجو .» . إلاّ أن أبو كريشة قاطعني وصرخ في القرامطة : «بدأ البرنامج! أعطوه الدربيل ودعوه يتسلق الصارية» . لا أطيل عليك ، يا أبو لمياء ، مرت الأيام وأنا أمارس هذه الأعمال الشاقة ، بعد ٦ شهور ، أو ربما أكثر قليلاً ، كنت وحدي على ظهر البوم بعد منتصف الليل مشغولاً بالحداق . . .

توفيق – الحداق ؟!

أبو شلاّخ – صيد السمك بالسنارة . اصطدت سمكة كبيرة من فئة بنت النوخذة . .

توفيق – بنت النوخذة؟!

أبو شلاّخ – هذه سمكة جميلة متعددة الألوان يطلق عليها البحّارة اسم بنت النوخذة إعجاباً بملاحتهاوبهائها أما اسمها الحركي فهو فسكرة . نظرت إلى هذه السمكة الجميلة وقلت لنفسي : «يا نفسي! حرام أن تصبح هذه السمكة الباهية في بطون القرامطة اللئام» . وافقتْ نفسي على الفور . رميتُ السمكة في البحر قائلاً : «انطلقي ، سالمة غانمة ، إلى أهلك» . غاصتْ السمكة في الماء . فجأة بدأ البحر يغلي ويفور ، وانشق عن حورية حسناء نصفها الأعلى جسم امرأة ، ونصفها الأسفل ذيل سمكة . قلت : «سبحان الخالق! من أنت أيتها الحورية ؟» . قالت بلسان فصيح : «أنا التي مننتُ عليها بإطلاق

سراحها وإنقاذ حياتها . أنا أصداف بنت ملك ملوك الجان» . قلت : «لا حول ولا قوة إلاّ باللّه ! خلصنا من القوم طحنا في السريّة! كنت أظن أن كهرمان عشيقة توم كروز هي بنت ملك ملوك الجان» . ضحكت أصداف ، وقالت : «كهرمان بنت عمي . وأبوها ملك ملوك الجان البرية ، وأبي ملك ملوك الجان البحرية» . قلت : «أهلاً وسهلاً . تشرّفنا» . قالت : «لك ٣ طلبات أحققها مقابل إنقاذ حياتي . اطلب ما شئت» . قلت : «اتركي لي مجالاً للتفكير . الحاجات متناهية والطمع لا يتناهى» . قالت : «صدقت! أمامك ٣ دقائق» . فكرت قليلاً ، وقلت : «الطلب الأول أن ترجعيني معززاً مكرّماً إلى أسرتي في الهفوف» . قالت : «سهل ميسور» . قلت : «والطلب الثاني أن تحضري لي جحشاً أصيلاً ظريفاً لا يعض ولا يرفس أذهب عليه إلى المطوعة وأفوشر به على الأقران والأنداد» .» قالت : «سهل ميسور ، والطلب الثالث؟ .» قلت : «الطلب الثالث أن تحدثي ثقباً هائلاً في قعر هذا البوم بحيث يغرق بمن فيه من سرابيت سمرمد» . قالت أصداف : «هذا طلب صعب» . قلت : «لماذا يا صاحبة السموّ الجني البحري؟» . قالت : «ما ذنب هؤلاء الناس؟ .» قلت : «اعلمي ، سيدتي الأميرة الجنية البحرية ، إن هؤلاء من الزنج القرامطة وقد أشعلوا ثورة في البصرة حررّت العبيد ، وقوّضت النظام الاجتماعي الاقتصادي السياسي القائم» . قالت : «عمل فظيع ولكنه لا يكفي لإغراقهم» . قلت : «واعلمي ، سيدتي الأميرة ، أنهم ينوون

تحرير العبيد في الولايات المتحدة» . قالت : «مالي أنا وللولايات المتحدة ؟» . قلت : «اعلمي ، سيدتي الأميرة ، إن مصلحة الدنيا بأسرها تقتضي بقاء العبودية في أمريكا» . قالت : «ليش؟ .» قلت : «لأنه بمجرد تحرير العبيد سوف يستدير الأمريكان على العالم ويستعبدونه ويسّمون هذه العبودية النظام الدولي الجديد» . أطرقت أصداف تفكرّ ، ومضيت : «سيدتي الأميرة! ألا يوجد لديكم عبيد جنانوه ؟» . قالت : «كثير» . قلت : «هل تحبيّن أن يحررهم أحد؟» . قالت : «اقتصاد الجان بأكمله قائم على العبيد» . قلت : «إذن ، سيدتي الأميرة ، أنقذي الجن والإنس من شر هؤلاء القرامطة الراديكاليين الأصوليين الإرهابيين المتمسّحين بشعارات إسلامية» . قالت : «حسناً ! تعلّق بذيلي» . تعلّقتُ بذيلها وانطلقت تشق البحر بحيزومها . حانت مني التفاتة إلى الوراء فوجدت بوم القرامطة يغوص إلى الأعماق . ضحكتُ وقلت : «خلّي كريشة أبو كريشة تنفعه الآن» . قالت أصداف : «اسكت! وأغمض عينيك !» ، أغضمت عيني وفتحتهما فإذا بي أمام منزل الأسرة في الهفوف ممتطياً جحشاً وسيماً فارهاً قوة ٨٠٠ حصان . ما إن رأتني الأسرة حتى هبّت هبّة إنسان واحد ، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، نحوي ، وكدت أغرق في بحر الدموع والسعادة والسناسين . .

توفيق - السناسين ؟!

أبو شلاّخ - السائل المخاطي الذي ينساب من الأنف في

لحظات الانفعال الشديد . سألتني الأسرة عن سبب غيابي الطويل وذكرت الحقيقة . رويت القصة كاملة . بين الحين والحين ، كنت أسمع كلمة «أبو شلاّخ» تتردد ، وكنت أطرب لسماعها . اجتمع الكبار وقرروا إقامة احتفال تاريخي من شقيّن ، شق رجوعي سالماً وشق ختاني . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، إن ختاني كان أكبر حدث في تاريخ الديرة الحديث . استُقدم نقيب الختّانين من بنجلادش ، وأقيمت الولائم الشهية . ذُبح ٧٠ بعيراً ، مأكول مشايخ البدوان ، و٧٠ عجلاً مأكول مشايخ الفلاليح ، و٧٠ تيساً مأكول مشايخ الجنوب ، و٥٠٠ دجاجة مأكول الحضران والزكرتيه . أقيمت الزينات وأقواس النصر في كل الدواعيس . .

توفيق – الدواعيس ؟!

أبو شلاّخ – الأزقة الضيقة ، الزرانيق . وأعلنت مدرسة الديرة اليتيمة عطلة يوم واحد لطلابها . أقيمت العرضات في كل مكان . الأهم من هذا كله أن يوم ختاني كان يوماً تاريخياً لأنه اليوم الذي زارني فيه ، لأول مرة ، شيطان الشعر ، أقصد شعر النبط ، واسمه ، بالمناسبة : نبيطان . جاءني ، فجأة ، وبدون مقدمات . كنت بعد الختان في حالة من الألم الشديد عندما قفز شويعر نبط من أهل الديرة اسمه عنيبان أبو الكرز ، وأنشد :

يا أبو شلاّخ . . الذي شلخه عجيبي

كلّنا نزفنْ على دقّ الدفوفي

في ختانك عِزْ . . يا الطفل الحبيبي

يا خضيري الجدّ . . . يا فَخر الهُفوفي

يصدحُ البلبوُل على الغصن الوريفي

وتصفّقْ لك قلوبٍ في الكفوفي

يُومْ إنْ خِتنَتْ . . فاح الجوُ طيبي

واشتهتْ نَعجَة . . وبوسَّها الخروفي

هنا ، يا أخي أبو لمياء ، تقمصّني نبيطان فهببتُ واقفاً وأنشدت على البديهة :

شاعرٍ موصوفْ بالقول المصيبي

يومْ نظمت القاف . . . أطربت الضيوفي

ختنّوني . . موقف صعب عصيبي

محنة واجهتها . . وما بي كسوفي

الخِتانْ عندي كما أكل الزبيبي

فاتح عيني . . وأقلبّها . . وأشوفي

لا تَحط البنَجْ فوقه يا الطبيبي

ما يحطّ البنج على سيف السيوفي

احتفلتْ الأسرة احتفالاً ثالثاً بنبوغي الشعري ، وعُلّقت هذهالأبيات الأربعة على باب الزريبة ، إلا أن بقرة جائعة التهمتها على الفور . بعد انتهاء فترة النقاهة قرّر الكبار إعادتي إلى المطوعة موزة . ذهبت ممتطياً جحشي الوسيم الذي أطلقت

عليها اسم الفلاحي تيّمنا بالفلاح وافتخاراً بالفلاليح . دخلت بيت المطوّعة فوجدته مزدحماً بالصغار والصغيرات . لم يكن الاختلاط بين الأطفال ممنوعاً في منطقتنا ، وقتها . كانت المطوعة موزة دردبيساً فانيه في يدها خيزرانه لم أر في حياتي أطول منها ولا أجمل ، أعني الخيرزانه لا المطوعة ، وهي طايحه لشط في الطلبة والطالبات . اقتربت من المطوّعة وقبلّت رأسها ويديها ، وارتجلت على الفور :

يا مطوّعة مُوزة! . . - ولا أدرى وِشْ المُـوْز-

حيّيتيْ يا شيخة بعصاة طويلةْ

هذي معي الصوغه . . حنيْني على لوزْ

بالصّحة! . . . يا ذِيكَ الفتاةَ الجميلة

ما إن رأت المطّوعه موزه الصوغـة . .

توفيق - الصوغة؟!

أبو شلاّخ - الهديّة . ما إن رأت الصوغة وسمعت وصفي لها بالفتاة الجميلة حتى وقعتُ في قلبها موقعاً حسناً . أدركتُ لحظتها ، ولم أنس ، قطّ ، تأثير الشعر الغزلي على النساء من جميع الأعمار . انصرفتْ المطوّعة إليّ بكلّيتها وأهملتْ بقية الطلبه والطالبات . خلال شهر واحد عرفتُ كل ما كانت المطوعة تعرفه ، وحفظت كل السور التي كانت تحفظها . عندها ، أدركتُ أن فرصتي قد حانت . بدأت أحضر لها معي بيضاً من الزريبة كل صباح ، وأغريها بأكله ، وأخذ غفوة بعد الطعام ، أتولّى أنا خلالها التدريس . أعجب هذا الترتيب

المطوّعة موزة التي أصدرت قراراً إدارياً بتفويضي كلّ صلاحياتها التعليمية والتأديبية ، وأخذتْ تقضي وقتها في الأكل والنوم . استلمت الخيزرانة الصقيلة الطويلة الجميلة وطحت لشط في الأولاد والبنات بسبب وبلا سبب . كانت فترة من أجمل فترات حياتي إلا أنها ، يا أخي أبو لمياء ، لم تطل . أدى اللشط المستمر بالخيزرانة إلى ظهور قروح وجروح وندوب في أجسام البنات والأولاد . ضجّ الآباء بالشكوى إلى السلطات المختصة التي قررّت إرسال مفتش للتحقيق في الأمر على الطبيعة . صبيحة قدوم المفتّش لبدت في الداعوس المؤدي إلى بيت المطوّعة وما إن رأيته حتى تقدّمت اليه ومنحته صُرّة مليئة بما لذّ وطاب من الطعام ، ثم نظرت إليه والدموع تنهمر من عينيّ بغزارة وأنشدت :

يا المفتش . . يا البطل . . يا ابن الكرامي
اسمع القصّة . . وخذ مني العلومي
ها العجوز العفنة ذي . . نسل اللئامي
تضرب الأطفال ضربْ . . بلا لزومي
خيزرانهْ تشتغلْ . . صُبْح وظلامي
وإن بكينا . . ما لها قلبٍ رحومي
ما بقي فينا لُحومْ . . ولا عِظامي
انصف المظلوم . . من بنت الرخومي

ارتأى المفتش البطل أن هذه الأبيات البليغة تغنيه عن عناء

التفتيش ، وكتب تقريراً مطولاً جاء فيه أن المطوعة «مصابة بنزعات سادية حادّة زادها حدة مرض آلزهايمر .» وأنتهى التقرير إلى أن «المصلحة العامة تتطلب إغلاق مطوّعيتها فوراً .» وهذا ما حدث . وإن دلّ هذا على شيء ، يا أخي أبو لمياء ، فإنما يدلّ على خطورة اللامركزية وجنون المفوِّضين . بعد إقفال المطوّعية اجتمع الكبار وقرروا إرسالي إلى الشيخ مشعاب أبو مشعاب ، وهو رجل حازم يرفض مبدأ الاختلاط حتى بين الصغار . تشاءمت من الإسم ، وتشاءمت أكثر عندما سمعت أن الشيخ مشعاب لا يستعمل خيزرانه ، وإنما يضرب بغصن رمان منقوع في الخل والملح والزرنيخ . ذهبتُ في اليوم المقرّر ، حاملاً الصوغة المعتادة ، وما إن رأيت الشيخ مشعاب حتى قبلت رأسه ويديه وأعطيته الصوغة ، وبدأت أنشد :

هلا . . هلا . . بالشيخ مشعاب عمّي زين المشايخ . . .

فاجأني الشيخ بصفعة على وجهي زلزلزت كياني وقطعت حبل أفكاري الشعرية . فتح الصُرّة التي تحتوي على سمن ودبْس وصبَّ محتوياتها على رأسي . ضحك الطلاب ، ونظر الشيخ مشعاب إليّ شزراً وقال : «أيها الغويلم الأبيله! تحسبني المطوّعة موزاء؟ أتحاول رشوتي بالمعسول من طعام وكلام؟ هيهات! أهيهات! أبسط يدك ألشطك» . انهال غصن الرمان المسموم حتى كدت أطقع العافية . بقيت شهراً عند الشيخ الذي كان ينتهز أي فرصة للشطي حتى أصيبت أطرافي بتقرحات وأورام ، وانتفخت رجلي وكادت تُصاب بالغرغرينا .

شكوت حالي إلى الكبار الذين قرّروا أن الوقت قد حان لإدخالي مدرسة الديرة اليتيمة المكوّنة من ٦ فصول . أجريَ لي اختبار شفوي وتحريري وتقرّر إدخالي الفصل الثالث . أصبحت زعيم الطلبة عن طريق لشط الصغار ، وعضّ الكبار ، وتدبير المقالب للمُدرّسين . كان مُدرّس اللغة العربية شرهاً يحب الطعام ، أحضرت له ذات يوم عقيلي محشوّاً . . .

توفيق – عقيلي؟!

أبو شلاّخ – نوع من الكيك المحلّي غير المُطوّر ، ويُقالَ إنه سُمّي العقيلي نسبة الى قبيلة العقيلات التي اخترعته . المُهم أن العقيلي كان محشواً بالحبحر . . .

توفيق – الحبحر؟!

أبو شلاّخ – الفلفل الحارّ ، ولعلّ أصل الكلمة ، واللّه أعلم ، أحبّ الحار ثم اختصرتْ في الاستعمال الدارج وأصبحت حبحر . المهم أن العقيلي كان محشواً بالحبحر وزيت الخروع ، ولم يكتشف الأستاذ النهم الحقيقة إلا بعد أن قضى على نصف العقيلي . وكان أستاذ التاريخ كفيفاً ، وكنتُ أُخلي الفصل قبل قدومه وكان يدرّس للهواء ، وكان مدرّس الجغرافيا . . .

توفيق – ألم يعاقبك أحد على هذه التصرفات؟

أبو شلاّخ – من يعاقبني؟! كنت ، كل صباح ، أبدأ يومي بالسلام على المدير ثم أقدم له ما تيسّر : الرطب في موسم الرطب ، والتمر في بقية أوقات السنة ، والسمن البرّي بين

الحين والحين . كان هذا ، يا أخي أبو لمياء ، في مرحلة ما قبل النفط ، وكان الجوع هو الوضع الطبيعي لمعظم الناس . يجب أن تعرف أن السنوات الثلاث التي قضيتها في المدرسة كانت أسعد سنوات حياتي على الإطلاق . لم أكن أفكر في مال أو حب أو سياسة أو مسؤولية . كنت أقضي الويك إند في تسلية بعد تسلية . كنت أمتطي الفلاحي وأنطلق به إلى البساتين الخيس ، وكنت أنتقل من بستان إلى بستان ، من «الثليثية» إلى «المُحرّمة» ، ومن «الشغيبيه» إلى «المنيزله» ، ومن «المهرام» إلى «أم حمّير» ومن «العشراوى» إلى «الصقيهيه» . وكنت أسبح وأصطاد العفاطي في العيون : «أم الخيس» ، و«عين نجم» ، و«أم سبعة» . كانت هوايتي المفضلة صيد العصافير والبلابيل . ذات يوم اصطدت ٥٠ عصفوراً برمية واحدة . . .

توفيق – رمية من بندقية؟!

أبو شلاّخ – لا ، يا أبو لمياء ، بحجر من نبّاطة ، أو نبّالة ، أو نقيفة .

توفيق – ٥٠ عصفوراً بحجر واحد؟

أبو شلاّخ – هذا ما حدث . كان العصافير في حالة اشتباك جنسي وكانت الضربة قوية وموفقة . ومرّت الأيام كأنها حلم لذيذ دافئ . في نهاية السنة الثالثة حصلت على الشهادة الابتدائية وكان ترتيبي الأول على طلاب القطر وعددهم ستة . وكان ترتيب صديقي تميرين أبو الحش الثاني .

توفيق – تميرين أبو الحش؟!

أبو شلاّخ – سوف أحدثك عنه ، بالتفصيل ، لاحقاً . أقيم احتفال عظيم بنجاحي يكاد يشابه احتفال ختاني ، وأُنشدتْ قصائد عصماء في الحفل ، وارتجلتُ قصيدة قلتُ فيها . . .

توفيق – هل من الضروري أن أسمع القصيدة؟

أبو شلاّخ– لا! لا! يكفي أن تعرف أنها مليئة بالتواضع وتمجيد الذات . في هذه اللحظة الذهبية من حياتي ضرب القدر ضربته المفاجئة القاسية ، وفقدتْ الأسرة كل ما تملك .

توفيق– ماذا حدث؟!

أبو شلاّخ – جنون البقر .

الفصل الثاني

مرحلة الصمود والتصدّي

وقطعتُ في الدنيَا الفَلا . . . وركائبي
فيها ووقتيَّ : الضُحى والَموهِنا

المتنبي

توفيق – جنون البقر ؟! ماذا تقصد ؟

أبو شلاّخ – القصة طويلة ومعقّدة ولكنني سأحاول اختصارها . كانت الزريبة تضم ، بالإضافة إلى البقر ، مخلوقات حيوانية كثيرة مختلفة . كانت هناك العقارب والحيّات . وكان هناك الدجاج اللاحم والبيّاض والمتقاعد . وكانت هناك كل أصناف الوزغ . هذا غير هوّام كثيرة بعضها لم يُصنّف ، علمياً ، بعد . ولا تنس الصراصير . لسبب عجز العلم عن اكتشافه ، تحول بقر الزريبة من التهام الأطعمة النباتية إلى التهام الأطعمة الحيوانية . بدأ البقر يأكل الحيّات والوزغ والدجاج الفاطس والصراصير . شيئاً فشيئاً ، بدأ الجنون يتسرّب إلى البقر دون أن يلاحظ أحد . كان طعام الأسرة الرئيسي مكوناً من لحم البقر وانتقل جنون البقر إلى الأسرة ، إلى كبارها على أيّة حال . بدأ الكبار يتصرّفون تصرفات غريبة لم يكن لها أي تفسير ، وقتها ، وأعرف ، الآن ، أن سببها جنون البقر الذي أدى إلى جنون البشر . بدأ الإخوان يتنازعون ويتشاتمون ويتضاربون ، ووزّعت الأملاك ، وبيعت الأراضي والدكاكين والبساتين بأبخس الأثمان . خلال شهور قليلة أصبحت الأسرة الثريّة على

الحديدة . أصبحنا مفصّخين حقيقة لا مجازاً . عندها ، وكنت على أبواب المراهقة ، أدركت أن فترة جديدة صعبة من حياتي قد بدأت . لم يعد بوسعي الاعتماد على مال الأسرة وجاهها ونفوذها . لم يعد بوسعي شق طريقي بالصوغات والهدايا . كان عليّ أن أشق طريقي بالجهد والعمل . قرّرت الالتحاق بشركة «وكمارا» التي كانت قد بدأتْ التنقيب عن البترول في المنطقة . ذات فجر ضبابي حزين ، حزمت ثيابي في البقشة ، وودعت كبار العائلة الذين لم يتمكن أحد منهم من معرفتي بسبب جنون البشر . بعدها خلوتُ بالفلاحي في الدهليز أودّعه ، ودون أن أشعر انهمرت الدموع من عينيّ ، وأنشدت على البديهة :

يا الفلاحي !يا الفلاحي! يا الفلاحي!
من فراقك قطّعتْ قلبي جراحي
يا الحمارًا! اللّي صديقي قبلُ خوي
مخلصٍ في مودّته .. نايمْ وصاحي
ما رِفسْ مرّة .. ولا مرّة .. صِقل
يتهادى مهفهفٍ في كل صباحي
إن بغيته بهونْ يمشي طاوعك
وإن رِكضْ ما تسبقه بنت الرياحي
يا الفَحل! كم من جحيشه غازلتك
وأنت تتدلّل .. ولا ترضى اللِقاحي

الكدالك منْكْ غــارت .. وازعــلـتْ
والونْيتْ من الحـــسـد زَاد النُواحي
يا سليلَ الجـان .. يا شيــخَ الحـميـر
السُمـوحـة منك نبـغي .. والسـمـاحي

ما إن سـمع الفـلاحي هذه الأبيـات الرقيـقـة حتى سـالت الدموع من عـينيـه بغـزارة حتى امـتـلأ الدهليـز وكـدنا نغـرق . اقترب مني وقبّلني مراراً ثم قال : «يا أبو شلاّخ الحبيب !» . . .

توفيق – حمار يتكلم؟!

أبو شلاّخ – حمار جنّي ، يا أبو لمياء . هل نسيت أن أصداف بنت ملك ملوك الجن البحرية هي التي أحضرته؟ هل تظن أنها اشترته من سوق الحمير؟

توفيق – ولماذا لم يتكلم طيلة الفترة الماضية؟!

أبو شـلاّخ – علمي علمك . المهم إنه قـبل الفـراق تكلم وقـال :«يا أبو شـلاّخ الحـبـيب! عندي لك ٣ حِكمْ أرجـو ألا تنسـاها أبداً . أرجـو أن تحطّهـا حلق بإذنك» . قلت : «يا الفلاحي! وشْ ها الكلام؟! أنا ألبس حلق أنا ؟!» . قال : «أجل حطّها خاتم بإصبعك» . قلت : «هات!» . قال : «غِنى الأغنياء سببه غباء الفقراء» قلت : «هم راي!» . قال : «وقوة الأقوياء سـبـبـهـا ضـعف الضـعـفـاء» . قلت : «مـاشـي! .» قـال : «وبلا الرجاجيل من النساوين» ، قلت : «سوف نرى!» . قال : «اسمحْ لي الآن ، يا عـزيزي ، أن أضـرب الأرض بحـافـري وأخـتـفي

فيها» . قلت : «تكفى يا الفلاحي! وِشْ رايك توصلني كمب الشركة قبل أن تضرب الأرض وتختفي ؟» . قال : «نُط!» ، نطيت على ظهره ، وفي خلال ثانيتين كنت واقفاً في الطابور أمام مكتب التوظيف في كمب ٣ المخصص للحيوانات والمواطنين . وجدت في الطابور ٧ أشخاص من عمري أو يكبرونني قليلاً . بدأنا الحديث والتعارف ، تبيّن أن أحدهم اسمه ركيضان لأنه أسرع الناس في الركض . واتضح أن الثاني اسمه دليلان لأنه يقفو الأثر ويدل كل الطرق . أما الثالث فاسمه ثويران وهو يعتز بهذا اللقب لأنه مشتق من قوة الثور لا من غباوته . وكان اسم الرابع نحيتان ، لأنه كان أنحت الناس . . .

توفيق – ينحت تماثيل؟!

أبو شلاّخ – لا ، يا أخي أبو لمياء . ينحت يعني ينضل ، يعني يحسد ، يعني يحتّ الطير الطاير . أما الخامس ، فكان اسمه طريبان لأنه جميل الصوت يطرب الناس إذا غنّى . وكان اسم السادس طبيبان لأنه نابغة في الطب الشعبي ورث أسراره أباً عن جد . أما السابع ، فكان اسمه ضحيكان لأنه نكتي ومهرّج لا يكف عن الضحك والإضحاك . انتظرنا حتى أدخلونا على الهندي المسؤول عن توظيف الحيوانات والمواطنين ، فاستقبلنا بوجه مكفهر مغسول بمرق وأخبرنا أن رئيس الشركة يودّ مقابلتنا . رئيس الشركة مرة واحدة !

توفيق – في أيّ سنة حدث هذا ؟

أبو شلاّخ - لا حول ولا قوة إلاّ باللّه ! في سنة الرحمة ! في سنة الطبعة! رئيس الشركة يريد رؤيتنا؟ مفاجأة سارة . أخذنا الموظّف الهندي إلى مكتب رئيس الشركة في كمب رقم١ المخصّص لعمامنا الأمريكان . دخلنا المكتب فوجدناه كيلو في كيلو ، وفيه كنديشن . لأول مرة في حياتنا نرى الكنديشن .

توفيق - كنديشن؟!

أبو شلاّخ - مكيف هواء . كلمة محرفة من «إيركندشنر» . واعلم ، يا أخي أبو لمياء ، إننا ، في ديرتنا ، سبقنا كل مجامع اللغة إلى تعريب المصطلحات الأجنبية . اخترعنا كلمات مثل مُوْتر وكَبَتْ وسيده ورويِسْ وجلاص ورونْ سيد و يفنّش . . .

توفيق - كنت تتكلم عن لقائكم بمدير الشركة .

أبو شلاّخ - نعم . رحّب بنا المستر بانكر وأمر لنا بقهوة أمريكي ، سانكا . ثم وقف فينا خطيباً وقال بعربية فصيحة لا تخلو من لكنة تكسانية خفيفة : «أهلاً وسهلاً . انتو أول واحد يعني عرب مثقف يشتغل في شركة . شركة هذي «وكمارا» شركة الأمريكاني ، ولكن يعني يحبّ شغّل مواطن عرب بدو عشان مواطن عرب بدو راتب رخيص . أمريكان راتب واجدْ واجدْ . وشركة حَبّ سوّي تدريب . دروري تدريب . عشان بعدين في البلد سير تنمية ، سير انتو جوهر تنمية ومحورها . بعدين يطلع بترول كتير كتير . سير انتو غني . سير الأمريكان غني أكتر . بترول زين تمام حق مواطن بدو وحق أمريكان . مفهوم هذا كلام؟» . قلنا بصوت واحد : «مفهوم ، يا

ريّس! .» واصل بانكر توجيهاته : «الحين انتو روح مركز تدريب .ست شهر زايد قاصر . علّم انجليزي . علّم حساب . علّم شويّ بترول . علّم شويّ ديسيبلين» . همس طبيبان في أذني : «وِشْ الديسبلين؟!» . سمع المستر بانكر الهمسة ، وابتسم ، وقال : «ديسبلين يعني موظف صغير يسمع كلام موظف كبير . كلام بُوسْ . يعني صبح نوم ما في . شغل كتير في . بدري نوم ليل . بدري شغل صبح . بكرة روح مركز تدريب . سي يو ليترا!» . أخذنا الموظف الهندي إلى كمب رقم ٣ حيث قضينا الليل في كوخ صفيحي نائمين على الأرض العراء . في الصباح أخذنا إلى مركز التدريب ، وكان عبارة عن فصول خشبية بريفاب . . . .

توفيق – بريفاب ؟!

أبو شلاّخ – جاهزة الصنع . ألواح خشبية تُصْنع في أمريكا وتُركّب فتصبح بيوتاً ومدارس ومستشفيات . كنّا أول دفعة يتلقّاها مركز التدريب ، وكان المدرّبون من عمامنا الأمريكان .أخذنا من كل علم بطرف . الواقع ، يا أخي أبو لمياء ، أننا نسينا شدّة الحياه في كمب رقم ٣ بسبب اندماجنا في الدراسة وبسبب دفء الصداقة التي نشأت بيننا . مرت الأيام سريعة خفيفة ودون أن نشعر أنهينا الدورة التدريبية وكنت ، بطبيعة الحال ، الأول . استدعينا ، مرة ثانية ، إلى مقابلة المستر بانكر الذي سلّمنا شهادات التخرج موقعاً عليها من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

توفيق – الرئيس شخصياً ؟!

أبو شلاّخ – شخصياً . بعد ذلك وقف المستر بانكر فينا خطيباً ، وقال : «أنتو أول شباب مواطن بدو تدريب خلاص ، تمام تمام . بكره انتو روح مُدّوا خط «تابلاين» . خط هذا بعدين يمشي فيه بترول كتير ، سوّي تصدير كتير ، سوّي فلوس كتير . سي يو ليتر !» .

توفيق – كلفكم بمد خط «التابلاين» ؟!

أبو شلاّخ – نعم .

توفيق– أنتم الثمانية فقط ؟!

أبو شلاّخ – تبيّن أنه كان هناك تاسع ، الطباخ الهندي برشوتم .

توفيق – أنتم التسعة كُلّفتمْ بمد خط «التابلاين» ؟!

أبو شلاّخ – نعم ، يا أخي أبو لمياء ، نعم . وكانت ملحمة خالدة من ملاحم النضال العربي لا تقل في روعتها عن ملحمة السد العالي وعن مهرجانات الشروق . بأذرعنا أقمنا المشروع . روينا الصحراء بعرقنا ودموعنا ودمائنا . هذه ، يا أخي ابو لمياء ، القصة الحقيقية الكاملة لخط «التابلاين» تُروى هنا لأول مرّة . انطلقنا ، نحن التسعة ، ذات صباح ضبابي حزين من رأس تنورة . بدأنا نتوغل في أحشاء الصحراء الملتهبة ونمدّ الخط . لم تكن لدينا سوى ٣ خيام : واحدة للمطبخ والأكل ، وواحدة للنوم ، وثالثة للمؤن . ولم يكن معنا سوى ٥ بعارين هزيلة تحملنا أحياناً ونحملها معظم الوقت . مرّة في أول كل

شهر إفرنجي كان يجينا كنورْ يحمل المؤن والرواتب . . .

توفيق - كنورْ ؟!

أبو شـلاّخ - هذه من الكلمـات التي عـرّبناها ، أصلهـا «كُونورث» ، سيارة كبيرة جداً . لوري هائل . يصل أول الشهر مع المؤن والرواتب وما نحتاج إليه من أنابيب . كانت رواتبنا ضخمة بمقاييس ما قبل الثورة والثروة . كان الواحد منا يتقاضى ريالاً في اليوم ، بالإضافة إلى ريالٍ ثانٍ بدل خطر ، وريال ثالث بدل دال . . . .

توفيق - بدل دال ؟!

أبو شلاّخ - الدال هو العدس . ولمّا كانت إمكانيات الشركة محدودة ، في تلك الفترة ، فقد اقتصر طعامنا على الرز والدال ، وتقرر صرف بدلْ دال . لم يكن الطعام مشكلتنا الوحيدة . كانت الصحراء تعجّ بمختلف أنواع العقارب والحيّات السّامة والهوام . لم ينقذنا من موت محقق إلاّ طبيبان . قال لنا ، في بداية الرحلة ، إنه لا بد أن نأخذ السُمّ بكميات يومية صغيرة حتى نتعود عليه فلا يعود يؤثّر فينا . في البداية ضحكنا منه إلاّ أنه تمكن من إقناعنا . تبين أن طبيبان كان ، دون أن يعرف ، مكتشف العلم الذي سُمّي في الغرب فيما بعد ، «الهوموباثي» . بعد فترة اكتسبنا ، بالفعل ، مناعة كاملة ضد السموم بمختلف أنواعها . كان لسع العقارب بالنسبة لنا لا يختلف عن لسع الذباب ، وكانت لدغة الأفعى لا تختلف في تأثيرها علينا عن لدغة البعوضة . تستطيع اختباري ، يا أخي

أبو لمياء ، إذا شئت بإعطائي أيّ سمّ تختاره وسوف ترى بنفسك أنه لا يؤثر فيّ .

توفيق - لا مُبرّر للاختبار . أنا أصدّقك .

أبو شلاّخ - أشكرك . كان الخط يتقدم ببطء شديد . وكنا نعمل كفريق متعاون متجانس متكامل . كان ركيضان ينطلق أمامنا ويستكشف الطرق . وكان دليلان يراجع الخرائط ويحدّد مسار الخط . وكان ثويران ينقل الأنابيب ويضع الواحد بقرب الآخر تمهيداً للحمها . وعندما يصيبنا الملل كان طريبان يعزف على ربابته ويغنّي قصائد الحب التي كنت أنظمها . وكان ضحيكان مصدر بهجة وترفيه . كان بروشتم الضحية الأولى لضحيكان . كل النكت العنصرية السخيفة التي انتشرت ، فيما بعد ، عن الهنود كان مصدرها ضحيكان . النكت من نوع «واحد هندي نسي يتنفس مات» ، أو «واحد هندي باع التلفزيون واشترى فيديو» . حقيقة الأمر ، يا أخي أبو لمياء ، أن الهنود متقدمون عن العربان بسنوات ضوئية . يكفي أن لديهم قنابل ذريّة . يكفي أن لديهم من المهندسين أضعاف ما لدى أمريكا . يكفي أن لديهم ديمقراطية ناجحة رغم وجود ألف لغة وألف ديانة وألف عشيرة . يكفي أن نصف حاجة العالم من الفنيين في مجال الكومبيتر خلال العقد القادم ستُغطّى من الهند ، يكفي أن .....

توفيق - صحيح! صحيح! كنت تحدثني عن «التابلاين» .

أبو شلاّخ - كنتُ تحديداً ، أحدثك عن رفاق الطريق . تبيّن

أن برشـوتم ، الذي كنّا نظنّه أمـيّـاً مـسكيناً ، يحـمل درجـة الدكـتوراه في البـاراسـيكولوجي من جامعـة المهـاريشي . كـمـا تببيّن أن لديه مواهب روحية خارقة . لم نكتشف هذه المواهب إلاّ بعد أن لاحظنا أن ضحيكان كفَّ عن إيذاء برشوتم بالنكت السخيفة وأخذ يعامله باحترام شديد . تبيّن أن برشوتم نوّم ضحيكان مغناطيسياً وغسل مخه وأزال منه النزعة العنصرية ضد الهنود ، وإن كان أبقى النزعات العنصرية ضدّ بقيّة البشر على حالها . كان بروشتم يتفنّن في طبخ الدال ، ومع ذلك طقتّ نفوسنا ، بعد فترة ، من أكل الدال . وهنا جاء الدور التاريخي المجيد الذي لعبه نحيتان في ملحمة «التابلاين» . وهذا الدور جاء ، يا أخي أبو لمياء ، بمحض الصدفة . ذات يوم ، بينما كنتُ مشغولاً بنظم قصيدة تصف معاناة معدتي من الدال ، إذا بأسراب هائلة من الجراد المهاجر من أفريقيا إلى الجزيرة تغطي عين الشمس . بدون أن يشعر صرخ نحيتان : «هبّ يا هالجراد !» . ما إن أتمّ كلامه حتى تساقطت ملايين الجرادات ميّتة أمامنا . أكلنا حتى شبعنا ، وجفّفنا الباقي ، وعلّمنا برشوتم أكل الجراد . حقيقة الأمر أن برشوتم اخترع طبقاً سمّاه «جرادالي» ، يقوم على مزج الجراد بالدال في خلطة سريّة . حقق هذا الطبق ، فيما بعد ، شهرة عالمية وأصبح يقدم في أفخر مطاعم الدنيا . منذ ذلك الحين حُلّت مشكلتنا الغذائية . ما إن تبدو أرنب حتى يصقعها نحيتان بعينه فتضطرب وتسقط ونسرع ونذكّيها . وهكذا دخلتْ ضمن

طعامنا أطباق شهيّة كالبط والمها والجرابيع والظباء والوعول والنعام والضبّان . مرّ الشهر يتلو الشهر ، والخط يتقدّم ، والأمور تسير سيراً حسناً حتى ظهر في حياتنا بعير . . .

توفيق - بعير ؟! سبق أن قلت لي إنه كان معكم عدّة بعارين .

أبو شلاّخ - بعير ، يا أخي أبو لمياء ، ليس جملاً . هو الاسم الحركي لشخصية غريبة . ذات ليلة ، وكان القمر بدراً ، كنت على طعس من الطعوس أنظم الشعر ، وإذا برجل ملثّم على ظهر بعير هائل يقترب منّي ويحييني ، قلت : «حياك اللّه ، يا خُوي . مَنْ أنت ؟» قال : «أنا إنسان ثوري ، ولا أستطيع الإفصاح عن هويتي الحقيقية ، ولكن أصدقائي يسمّونني البدوي المُلّطم الثائر الغامض الليلي» . قلت : «والنِّعمْ ! بس أسمك ، يا خُوي ، طويل شويّ» ، قال : «تستطيع أن تستعمل اسمي الحركي» . قلت : «وما اسمك الحركي ؟» . قال : «بعير» . قلت : «حيّاك اللّه ، يا بعير . أي خدمة؟ .» تبيّن أن البدوي المُلّطم الثائر الغامض الليلي جاء يحرّضنا على الإضراب عن الطعام حتى تستجيب «وكمارا» لمطالبنا . أوضحت له أننا لم نتقدم بأي مطالب للشركة . أوضح بعير أن علينا أن نتقدم بمطالب شأننا شأن أي طليعة عمالية في العالم . المهم ، يا أبو لمياء ، أنه تمكّن من إقناعي ، وتمكنت من إقناع الفريق . قرّرنا التقدّم بمطالب للشركة ، وقرّرنا أن نضرب عن الطعام حتى نموت جوعاً إذا لم تستجب الشركة لمطالبنا . كلّفني

الزملاء بإعداد خطاب المطالب والإنذار . أعددت رسالة قلت فيها : «إلى جناب المستر بانكر رئيس «وكمارا» المبجّل . من طرفْ حِنّا يا فريق «التابلاين» لدينا مطالب وحقوق مشروعة وعلى الشركة تنفيذها فوراً ، وإلا سوف نضرب عن الطعام حتى نموت جوعاً . وهذه المطالب هي : أولاً - مضاعفة رواتبنا ١٠ مرات . ثانيا - إسكاننا في منازل بريفاب مكندشة على امتداد خط «التابلاين» . ثالثاً - إعطاؤنا قروضاً حسنة للزواج وبناء السكن . رابعاً - إلغاء كمب رقم ٣ نهائياً . ونحن في انتظار ردكم السريع الإيجابي .» عندما جاء الكنْور في أول الشهر ، كالمعتاد ، سلّمنا السائق الرسالة ورجوناه أن يضعها ، شخصياً ، في يد المستر بانكر . مرت الأيام ونحن ننتظر الجواب على أحرّ من الجمر . في مطلع الشهر التالي وصل الكنور ومعه ردّ المستر بانكر . وقد جاء فيه بالحرف الواحد : «إلى السيد يعقوب بواسطة «تابلاين» . مكتوبكم وصل والسرور حصل . من طرف مطالب بعديْن «وكمارا» . يسير فيه فلوس كتير كتير مطالب يسير تمام تمام . الحين فلوس كتير ما في ، مطالب تحقيق صعب . من طرف إضراب عن أكل نِحْنا في الأمريكا نسمّي هذا شيء ريجيم . هذا ريجيم تمام تمام . ينفع جسم إنّتو ويسوّي توفير «وكمارا» . سي يو ليترا!» . قال ضحيكان واجماً : «وِشْ يقول هالبليّة ؟ .» قلت : «أحرّ ما عندنا أبرد ماعنده . هالبليّة يقول إن مطالبنا بتحققها الشركة لين تكثر فلوسها ، أمّا الحين فتوكلّوا على اللّه واضربوا عن الأكل» . عبثاً حاول برشوتم أن

يثنينا عن عزمنا . قلنا له إن الطليعة العمّالية في كل مكان سوف تقف معنا ، وإن المظاهرات ستجتاح عواصم العالم الكبرى بمجرّد أن يشيع الخبر . قال برشوتم : «خبر كيف يشيع؟! نحنا وسط برا!» . تجاهلنا ملاحظته القيّمة ومضينا قُدُماً . بعد يوم من معاناة اللاهوب ، قررّنا أن نشرب الماء ونكتفي بالإضراب عن الطعام . بعد عدة أيام أثّر فينا الجوع حتى كدنا نفطس . لم يَشعْ الخبر ، ولم نسمع شيئاً عن الطلائع العمالية ، ولا عن مظاهرات تجتاح العواصم . حتى بعير لم يظهر لتقوية روحنا المعنوية . كنّا على وشك الهلاك لولا أن أنقذنا نحيتان . . .

توفيق – نحيتان؟! ألم يضرب معكم؟

أبو شلاّخ – أضربَ معنا ، وأنقذنا دون أن يشعر . نحت إضرابنا عن الطعام ، قال دون تفكير : «ولّ يا هالإضراب! ذبحنا!» . ما إن أتمّ قولته حتى خرَّ الإضرابُ عن الطعام صريعاً . عدنا إلى دال برشوتم والجراد المقدّد . عبثاً حاولنا أن نستعيد الرغبة في الإضراب . قرّرنا ، بعد تداول الأمر ، أن المستر بانكر على حق ، وأن علينا أن نصبر حتى يتدفق الذهب الأسود قبل التقدم بمطالب . وقررت ، يا أخي أبو لمياء ، تطهير الأرض من المفسد في الأرض بعير . كمنّا له في ليلة قمراء وراء طعس من الطعوس ، وما إن ظهر حتى صرخ نحيتان : «هَبْ يا هالبدوي الملطم الثائر الغامض الليلي!» . ما إن أكمل نحيتان جملته حتى خرّ البدوي الملطم الثائر الغامض الليلي ميّتاً ، وتركناه

للهاوي والذيب العاوي . قال نحيتان : «وش نسوّي ببعير بعير؟» قلت : «هذا البعير غنيمة حرب . أحلّ من الفقع» . عدنا بالبعير ، وحلّلناه ، وأكلنا ما تيسر من لحمه ، وملّحنا الباقي . اخترع برشوتم أكلة جديدة سمّاها «داجملي» . عادت الحياة إلى روتينها القديم الهادىء ، ومرّت الشهور تتلوها الشهور حتى حدثت العاصفة الكبرى في حياتي .

توفيق - عاصفة الصحراء؟

أبو شلاّخ - مالك لوا . عاصفة الحب ، الحبّ الأوّل . وضحا! كانت عشيرتها تخيّم قرب مسار الخط . ذات صباح بينما كنت أجمع الغضى أبصرتها ترعى شياه العشيرة . «نظرة فابتسامة» . خفق قلبي كما لم يخفق من قبل . وكان الشعور متبادلاً عنيفاً . اتفقنا ، وضحا وأنا ، على أن أتقدّم لوالدها ، شيخ العشيرة ، طالباً الزواج على سنّة اللّه ورسوله . ذهبت إليه في خيمته حاملاً هدية من الجراد المقدّد الممزوج ببودرة الكرْي ، ورحّب الرجل بي ، وسقاني القهوة المُرّة ، ولبن النُوق الطازج . قلت : «يا عمّ! أتيت أخطب وضحا على سنّة اللّه ورسوله» . قال : «أنت ،ياوليدي ، من أي قبيلة؟ .» . قلت : «يا عمّ! نحن آل المفصّخ الذين كنّا نعرف من قبل بآل لبيسان» . قال : «لم أسمع عنكم . عدّ لي جدودك» . قلت : «أنا يعقوب بن محيسن بن عميرين بن خنيفر بن رويشد الشهير ، في البداية ، بلبيسان وبعد ذلك بالمفصّخ ، بن دحيم بن خويلد بن ذويب بن حميدان بن جعيّد بن خضير» . قال أبو وضحا

باشمئزاز لم يحاول إخفاءه : «يا اللّه الخيرة! خضيري وجاي تخطب بنتي ؟! قم ، يا وليدي ، قم ، ما أنت من مواخيذنا» .
هنا ، يا أخي أبو لمياء ، تقمّصني نبيطان ، فأنشدت على الفور :

يا عمّ! خلّ عنك الخضيري وقبيلـــي
النـــاس من آدم وحـــوّا نِســـايــبْ
يــا مِنْ خضيري مِكْـــرم للنزيلــــي
نشـــمي ، وهبّــة ريحٍ ، جَـــزْل الوهايبْ
ويــا من قبيلي حِقنةٍ . . أو بخيلــــي
مـــا ينغـــزى به ، يرّد من جـاه خـايـبْ
فخـــر السِنافي بفَعلـــة المستحيلـــي
مـــا هو بسكان القـبــور الخـرايـبْ

أطرق أبو وضحا مفكراً عدة دقائق ، وعندما بدأ الأمل يراودني أنه قد يغير قراره ، أنشد فجأة :

غـشـيـتني بذا الهـرْج . . يا ذا الرزيلـي
من لا عـــرف أصلهْ . . عليــه المَعـايـبْ
وضْحا لكفوهـــا . . ما في قال وقيلي
دوّرْ خـضـيــريّه . . وخلِّ الطَلايـــبْ
حِنّـا نزوّج بنتنــا لـــك؟! يا ويلـــي!
يا حـيف! . . يا دهرٍ كـثـيـرِ العـجـايـبْ
رِحْ فـــي سبيلك رِحْ يا ابن السـبيلي
وإلاّ ترىْ بينـــي وبينـــك حَـــرايـــبْ

وهنا ، يا أخي أبو لمياءْ ، اندفعتْ وضحا إلى داخل الخيمة دون سابق انذار وأنشدتْ :

يا أبويْ على هونِكْ .. وخلّكْ ثقيلي
يا أبويْ .. يا شيخ الشيوخ العرايبْ
قلبي بغى يعقوب .. وقلبي دليلي
وإنْ ما تزوّجته حياتي مصايبْ

نظر إليها أبوها مذهولاً ، وترقرقت عيناه بالدموع ، وزفر وأنشد :

يا حيفْ! يا وضحا .. يا بنت الأصيلي
لِكْ شايبٍ .. لا تسوّدي وَجه شايبْ
الموت ، يا وضحا ، بسيف صقيلي
ولا يقولُ الناس : «خيبة .. وعايبٌ»!

عندها تنهدتُ ، ومشيتُ نحو باب الخيمة ، وقبل مغادرتها توقفت ونظرت إلى وضحا ، وأنشدت :

أبكي على وضحا نهاري وليلي
ميّر البكا ما ردّ للناس غايبْ
باصبْر على بلواي صبرٍ جميلي
وبلوايَ ، يا وضحا ، فِراق الحبايبْ

عُدّت إلى المُخيّم ، ولمتُ الرفاق الذين لم ينبّهوني إلى هذا

المطب الخطير . وتطوع برشوتم فأخبرنا أن في الهند طائفة أردى من الخضيرية هي طائفة المنبوذين الذين يرفض الناس ملامستهم . مرّ أسبوع على طردي من الخيمة ، وذات صباح فوجئنا بأبو وضحا مقبلاً على فرس شهباء تنهب الأرض نهباً وتثير الغبار . وقف أمامي وقال : «يا أزرق الظهر! وضحا ذبحت روحها بسببك . حطّتْ الداب على رقبتها وخلّته يعضّها» . كنت على وشك تقديم العزاء الحار عندما لاحظت أنه أخرج صمعا من الخرج صوّبها . . .

توفيق – صمعا ؟!

أبو شلاّخ – بندقية أثرية جداً وقاتلة جداً جداً .لم ينقذني من موت محقق إلاّ نحيتان الذي صرخ فجأة : «هَبْ يا هالبواردي!» . خرّ الشيخ ، على الفور ، ميّتاً بالسكتة القلبية ، وأرجعنا جسده إلى العشيرة . بمجرّد عودتنا إلى المخيّم كشفت للرفاق عن ظهري ، وقلت : «يا الربع! وِشْ قال ها المخرّف؟ هو ظهري صحيح أزرق؟» . ضحك الرفاق ، ولم يعلّقوا . مرّت الأيام ، والجرح الذي خلّفته التجربة في قلبي يرفض أن يندمل . كنت ، كل ليلة ، أطلب من طريبان أن يغنّي على الربابة القصيدة التي نظمتها في رثاء وضحا :

يا ونّة ونّيتها في الظلامي
دمعة على وضحا . . ولَعنه على الدّابْ
وعيني بدمعتها . . تعاف المَنامي
وقلبي كما العصفور من فوقهْ عقابْ

توفيق – هل القصيدة طويلة ؟

أبو شلاّخ – قرابة ٨٠ بيتاً .

توفيق – هل من الضروري أن نسمعها ؟

أبو شلاّخ – لا ! حقيقة الأمر ، أن الأبيات الباقية مجرد تكرار للمعنى الوارد في هذين البيتين . واعلم يا أخي أبو لمياء ، إن المثل الذي يقول : «ما أكثر كلامكم يا البدو ، قالوا من كثر ترديده» صادق ١٠٠٪ . مرّت الشهور ، واتضح أن الزمن يداوي كل الجروح . شيئاً فشيئاً بدأت ذكرى وضحا تبهت . عادت الحياة إلى وتيرتها القديمة الهادئة . بدون إنذار ، خفق قلبي بالحب مرة ثانية . صبحا! كانت صبحا ، يا أبو لمياء ، فتاة شقراء خضراء العينين . . .

توفيق – شقراء خضراء العينين في الصحراء ؟!

أبو شلاّخ – يقال إن قومها من سلالة الصليبيين ، ومن هنا جاء اللون الأخضر واللون الأشقر ، إلاّ إن معلوماتي في الأنساب لا يُعتد بها . بمجرد أن رأيتها عشقتها ، وكان العشق عنيفاً فورياً متبادلاً . بعد ساعة من اللقاء أنشدتها :

يا صبحا! يا روحي!
كِبديْ ! وبعد حَييْ
قعِدي . . ولا تروحي
قعِدي هنا زيّي

●

يـــا صـبـحـــا! قلبـــــي جَـــنّ
حِنّـــــي علـــــى الجنـــونْ
مـــا حَـــدّ علـــــيّ حَـــنّ
يــــا صـبـحــــا! . . يا أم عـيــونْ

ابتسمت صبحا ابتسامة ساحرة ، وأنشدت على البديهة :

هـــــلا . . ابــــو شـــــــلاّخْ
الفــــــــارسْ المشـــهـــــورْ
منفـــوخ . . كـمــــا المنفـــاخْ
حـــامـــــل بســـــت شـــهـــورْ!

●

اخطبنـــــي مـــــن بــــابــــا
اخطبنـــــــــي . . يــــا عُـــمـــري
وإن خِـفــــــتَ أن يـأبــــــى
كـــثّـــــر لـــــــه فـــــي مَــهْــري

ذهبت في اليوم التالي إلى خيمة والدها ، أحمل هدية من لحم البعير المُقدّد المُطعّم بالجراد ، ورحّب الرجل بي ، وسقاني القهوة المُرّة ولبن النوق الطازج . قلت : «يا عم! جيت أخطب صبحا على سنّة اللّه ورسوله ، وأنا يعقوب بن محيسن بن عميرين بن . . .» . لم يدعني العم أكمل ، وقال : «والنِعَمْ بك ، يا وليدي ، وسبعة نعوم . آل المفصخ معروفين ، معروفين في كل

مكان . يملكون نصف الهفوف ، والمثل يقول : «يبكي عليها المفصّخ وبن جبّر» . قلتُ مبتسماً : «إذن ، أنت موافق يا عمّاه؟» . أطرق أبو صبحا مُفَكّراً حتى خشيت أن ينشد قصيدة إلا أنه قال : «يا وليدي! أنت غنيّ وحِنّا على قدر الحال . أنت حضِري وحنا خِلّويْة . إنت مهندز وصبحا ما تقرا ولا تكتب . يا وليدي! صبحا مو من مواخيذكْ» . قلت : «يا عم! خطبت وضحا وقالوا «انت مو من مواخيذ وضحا» . وخطبت صبحا وتقول : «صبحا مو من مواخيذك» . يا عم! وِشْ أسوّي؟ آخذ روحي؟! . ضحك أبو صبحا ، وقال : «ما عندك بنات عمّ؟» . قلت : «يا أبا صبحا جئتك خاطباً ولم أجئك مستنصحاً» . قال : «يا وليدي! الدنيا قسمة ونصيب» . خرجت من الخيمة والدموع تهطل من عيني بغزارة تكفي لإنبات الفقع ، وأنا أنشد . . .

توفيق - هل من الضروري .

أبو شلاّخ - لا ! لا ! الحر تكفيه الإشارة . قفلتُ راجعاً إلى المخيم ، وبعد وصولي لاحظت شبحاً يومىء لي من وراء الطعس . اقتربت ، واتّضح أن الشبح هو صبحا التي تبعتني دون أن أشعر . تبادلنا العناق والقبلات والبكاء وفي لحظة من لحظات الجنون قررنا أن نهرب معاً . اتفقنا على اللقاء بعد منتصف الليل عند الطعس ، والاختفاء في الفيافي والوديان . تذكرت قول الشاعر الحكيم : «الى نويتَ إحذر تِعلمْ بطاريكْ» ، وقررت كتمان الخبر عن الرفاق ، ووضعهم أمام الأمر الواقع .

ذهبتُ إلى الطعس عند منتصف الليل ، وكان السواد يلفّ كل شيء . بعد دقائق ، شعرتُ بشبح يلتصق بي . قلت وأنا أرتعش من الشوق : «صبحا!» . ردّ عليّ صوت خشن : «خِذْها ، وأنا ولَد عم صبحا!» . كنت أفكّر في الهدية التي سآخذها عندما اكتشفت أن الهدية كانت الخنجر الذي غرسه الشبح في معدتي قبل أن يختفي . مضيت إلى المخيّم وأنا أنزف بغزارة . ما إن رآني طبيبان حتى أعلن حالة الطوارىء . صرخ : «بروشتم! تعال نوّم أبو شلاّخ تنويم مغناطيسي وخلّه مخدّر حتى ما يِحسّ بالعملية» . ثم صرخ : «ثويران! قُم إنْتف لي من ذيل الأباعر شعر وْجِبَه بسرعة» . صرخ : «ضحيكان! عقّم سكين البصل في ماي حار وجبْها» . هكذا تمت العملية الجراحية ، وخاط طبيبان الجرح بشعر الأباعر . عندما أفقت من التنويم المغناطيسي شعرت بألم شديد ، واضطر بروشتم إلى تنويمي من جديد . في هذه الأثناء كان طبيبان قد أعد وصفة طبيّة عجيبة : روثْ بعارين ، ممزوج بأجنحة جراد ، ومَخمّر في حبحر . قال إن هذا الدواء سوف يقضي على الالتهاب . هذه الخميرة ، يا أخي أبو لمياء ، هي المضّاد الحيوي الذي عرفه العالم ، فيما بعد ، باسم البنسلين . تصوّر نبوغ هذا البدوي الشاب الذي سبق علماء الغرب إلى اكتشاف هذا العقار السحري . حقاً إن «العرب ما خلوا شيّ» ، كما قال حماني ولد الرفيع . بعد أسبوعين ، استرددت كامل عافيتي ، وكأن شيئاً لم يكن . حتى أثر الجرح اختفى تماماً . قلت : «اللّه يذكرك بالخير

يا الفلاحي . صحيح أن بلا الرجاجيل من النساوين» . قرّرت الإضراب عن الحب بقية عمري ، وعادت الحياة إلى سيرها الروتيني . بعد ٣ سنوات ، بالضبط ، من انطلاقنا من رأس تنورة وصل خط التابلاين إلى نهايته على البحر الأبيض المتوسط . عدنا إلى قواعدنا في سيارة من سيارات «وكمارا» ، وحين وصلنا مقر الشركة كان هناك استقبال حافل . رحبّ بنا المستر بانكر ، وأعطى كلاً منا شهادة تقديرية موقعة من رئيس الولايات المتحدة شخصياً . عينني المستر بانكر فراشاً في مكتب مدير مركز التدريب ، وعين زملائي في مواقع عالية مماثلة . مبالغة في إكرامي ، دعاني المستر بانكر إلى منزله في كمب رقم ١ ، وليته لم يدعني . هناك قدّم لي الشاي والجاتوه ، الذي أكلته لأول مرّة في حياتي ، وعرّفني على ابنته برنيس .نظرت ، يا أخي أبو لمياء ، إلى برنيس نظرة أعقبتني ألف حسرة . بعد وضحا العجفاء وصبحا المهزوله رأيت أمامي قواماً متختخاً ملظلظاً . تعلّق قلبي بها ، وتعلّق قلبها بي . كانت في السنة النهائية من مدرسة «وكمارا» الثانوية . كنتُ ، ذات يوم ، بقرب المدرسة وما إن رأيتها قادمة حتى قفزت أمامها وأنشدت :

بَرنيس يا حُلوَتي . . يا بنت عم سامي
أفديك بأمّيّ وأبُوي . . وأخوالي وأعمامي
يا زِينه إفرنج . . يا حِلْوة من أمريكا
وأظنّها مثلّتْ في بعض الأفلامي!

ما عاد قلبي يَبـيْ وضحـا .. ولا صبحـا

كلحـا ومَلحـا .. وتشبـه هيْكل عِظامـي

جيتك من البر من حالـه مـا هـي بحالـهْ

عـقـربْ يبُـوسَنّ .. وداب يمضغْ أقـدامـي

وطبّاخنـا مـن قبيلـة هنـد .. يـا ويلـك

إذا طبخ لك كَـرْى من طعمـه الحـامـي

إذا ذكـرت الحسـا سالـت دموعي سيل

أذكـر زمـاني «بأمّ الخـيـس»و«مـهـرامـي»

يا ضَخمـة الديْـد .. يلبـطُ كِنّه سبيطـي

أنا اليـتـيم .. الرضـيع . الجـايع .. الظامـي

سُرّت برنيس بالأبيات سروراً عظيمـاً . تطوّرت العلاقة بيننا ، ونسيت قراري السابق بالإضراب عن الحب . فكرت ، جديّاً ، في خطبة برنيس إلا أنني خفت أن يكون أبوها قبلياً من تكساس ويرفض أن يعتبرني من مواخيذها . كنّا ، برنيس وأنا ، نلتقي بعد منتصف الليل ، ونتبادل القبلات في شاطىء نصف القمر . ذات ليلة قمراء ، يا أخي أبو لمياء ، كنا نرقب القمر في شاطىء نصف القمر ، وكنتُ أشبّه برنيس بالقمر ، عندما فوجئنا بطلقة نارية . خطر ببالي ، لحظتها ، أن هذا أبو وضحا يطاردني من وراء القبر . التفت فإذا بالمستر بانكر وفي يده شوزن وهو يهدّد بقتلي ، في الحال ، إذا لم أتزوج برنيس . هذا كما تعرف ، يا أخي أبو لمياء ، ما يسمى في الغرب زواج

الشوزن . وافقت ، على الفور ، ووافقت برنيس على الفور ، وتمّ الزواج في اليوم التالي . وفّر عليّ زواج الشوزن الكثير من المصاريف الهائلة والذبايح المسكينة والنفقات غير الضرورية ووجع الدماغ . إنتقلتُ ليلة الدخلة إلى مخدع برنيس في بيت المستر بانكر . مرّ كل شيء على خير ما يرام حتى فُوجئت قبل الفجر بطرق على باب المخدع . فتحت الباب ، فوجدت أمامي المستر بانكر واقفاً بالبيجامة . قلتُ : «خير يا عمّ ؟! ما جاك نوم؟! أبشّرك أن بنتك» لم يدعني المستر بانكر أخبره أن بنته كانت عذراء ، وقال : «أنت الحين روح يرجع نام في كمب رقم ٣» . قلتُ : «هاه ؟!» قال : «أنت موْ سينيور ستاف . انت عرب . نومْ لازم كمّب ٣ . أنت يجي شوف برنيس هنا لكن نوم لازم كمب ٣ . هذا ديسيبلين مال شركة» . وهكذا ، يا أبو لمياء ، بدأت أقضي معظم أوقاتي مع برنيس ولكنني أعود وقت النوم إلى كمب رقم ٣ ، وإلى تعليقات الرفاق اللاذعة . وهكذا اخترعت ، دون علمي ، زواج المسيار الذي أصبح موضة بعد ذلك التاريخ بسنوات طويلة . ذات يوم ، دخلت بيت العم فوجدته مُطرقاً يفكّر والدموع تسيل من عينيه . قلت : «خير يا عم؟! عسى الخالة ما ماتت؟!» . قال «خالة في التكساس تمام .» قلت : «وليش تصيح؟» قال : «خالة موت ما يخالف ، شركة مُوت مصيبة كبير . خسارة كتير . بترول قليل قليل . كميّة تجاري ما في . بعدين صير إفلاس . بعدين إضربْ نفسي شوزن» . قلتُ : «يا عم! عطَني كنورْ ، وعطني صويحبي

دليلان ، وخلّ الباقي عليّ» . قال العّم : «انت أبو شلاّخ سوّى شلخ كتير . انت يعرف يطلّع بترول كميّة تجاري؟!» . قلت : «نعم! وأنا رجلْ برنيس ! .» . قال : «كلّش زينْ ، تمام ، تمام» . قلت : «بس اسمع ، يا عم ، عندي شرط» . قال : «شرط إيش؟» . قلت : «تنقلني من كمب رقم ٣» . قال العم : «إنت جيب بترول تجاري وأنا سوّي إنت سينيور ستاف . عيش هنا كمب رقم١» . انطلقنا أنا ودليلان في الكنورْ . قلت : «تِكفىْ يا دليلان! في ذا حقل بترول يقال له الغوّار ولا حد قادر يدلّه . يقولون إن الجن تخفيه» . قال دليلان : «تهبا الجِنّ وتعقب!» . مضيت مع دليلان نجوب القفار والفيافي والوديان حتى تمكن دليلان بعد ٣ أسابيع من العثور على موقع الحقل . انتهت المرحلة الأولى من المشروع ، وبقيت المرحلة الثانية . انطلقنا بالكنورْ إلى الصحراء المحيطة برماح وجمعنا قرابة مليون ضبّ . عُدنا إلى موقع الحقل ، ووقفتُ في الضُبّان خطيباً . قلت : «يا معشر الضُبّان! اسمعوا وعوا! تحت أقدامكم الزواحفية يقبع أعظم حقل بترول في العالم . احفروا واحفروا حتى يتفجّر البترول . واعلموا إنه إذا ظهر البترول انتشر الرخاء وكفّ العربان عن أكلكم . اذكروا أن مستقبلاً زاهراً من الأمن والأمان والسلامة ينتظركم وينتظر أجيالكم القادمة إذا نجحتم في هذه المهمة التاريخيّة» . يؤسفني ، يا أخي أبو لمياء ، أن أعترف أن وعدي للضُبّان لم يتحقق . لم يكفّ العربان عن أكل الضبّان حتى بعد الرخاء . وليت الأمر وقف عند هذا الحد . أخذ بعض

الغلمان السرسرية يتسلّون بإبادة الضبان عن طريق إطلاق الدخان من عوادم السيارات في جحورهم . إلا أن هذه قصة أخرى . مضى الضبان يحفرون بهمّة ونشاط وما هي سوى أيام قلائل حتّى انفجر الذهب الأسود من باطن الأرض وكأنه شلالات نياجرا . هذه ، يا أخي أبو لمياء ، القصة الحقيقية والكاملة لتطوير حقل الغوّار تُروى ، هنا ، لأوّل مرة . وعلى إثر تدفق البترول بكميات أكثر من تجارية قرّر المستر بانكر تحويلي إلى السينيور ستاف وأنعم عليّ بمنصب نائب الرئيس للعلاقات الخاصة .

توفيق – تقصد العلاقات العامة؟

أبو شلاّخ – كان اسم المنصب نائب الرئيس للعلاقات الخاصة .

توفيق – وما المقصود بالعلاقات الخاصة؟

أبو شلاّح – علمي علمك . لم تُتح لي الفرصة لمعرفة طبيعة الوظيفة لأنّ بقائي فيها لم يطل . انتقلتُ ، رسمياً ، إلى كمب رقم ١ وكنتُ ، ولا فخر ، أول مواطن يكسر حاجز الخوف والذل والمهانة . تستطيع أن تعتبر اقتحام كمب رقم ١ من المنظور الاجتماعي/ السياسي/ التاريخي/ النفسي/ الرمزي حدثاً لا يقل في أهميته التاريخية عن انهيار سور برلين . تستطيع أن تعتبر انتقالي إلى كمب رقم ١ بداية استيقاظ الوعي عند الدول المنتجة للبترول . . .

توفيق – صحيح! صحيح! ماذا حدث بعد انتقالك ؟

أبو شـلاّخ - وجـدت نفـسي في مكتب فـخم مكندش ، وجاءت مع المكتب سكرتيرة أمريكية حسناء اسمها آن ماري . قِطْعة ، يا أبو لمياء ، قِطعة!

توفيق - قطعة ماذا ؟!

أبو شلاّخ - قطعة ، وبسّ . قطعة ، بلهجتنا الدارجة ، تعني فتاة جميلة جداً . بدرة! نظرت إلى آن ماري نظرة أعقبتني ألف حسرة ، وأنشدتُ على البديهة :

يا سكـرتيرة . . . تنـوِّر في الحفـيزْ
يا عنـودُ الصيـد . . يا صَيـدٍ عَنَودْ
لّما شِفتـكِ قُلـتْ طُزْ في الانجليـزْ
والعـرب والفُـرسِ . . وأتراكْ وهنـودْ
بُوسَة طالبهـا . . بليـزٍ وألـفْ بليزْ
يا آن ماري . . يا أحلى النصارى واليهودْ

سرعان ما اتضح أن مشاعر الإعجاب كانت متبادلة . وقاد شيء إلى شيء ، كما يقول الخواجات . ذات يوم ، بعد أسبوع من تسلّمي المنصب الرفيع ، كنّا ، آن ماري وأنا ، منهمكين في عناق حار ، وهي في حضني ، وأنا على كرسي وراء الطاولة ، عندما فوجئت بطلقة تدوّي في المكتب . خطر ببالي ، لأوّل وهلة ، أن ولد عم صبحا اهتدى إلى مكاني . أمعنتُ النظر ، وتبيّن أن الطلقة جاءت من شوزن في يد المستر بانكر . قلت : «هلا بالعم! وشْ تبي الحين؟ تبي أتزوّج هذي؟ ما عندي مانع!»

قال : «الحين طلاق برنيس سوِّي . بعدين يضرب رصاص يروح في مخّ» . ماذا أفعل ، يا أبو لمياء؟ مجنون ويطق بشوزن! زواج الشوزن أنهاه طلاق الشوزن . طلّقتُ برنيس ، وفور طلاقها طلّقتني «وكمارا» . أصدر العم سابقاً قراراً بفصلي دون تعويض . ذهبت إلى مكتب العمل والعمال في محاولة لاسترداد حقوقي السليبة . بعد انتظار طويل ، سُمح لي بالدخول إلى مكتب المدير الذي جعلني وجهه أترحم على وجه بن فهرة .

توفيق – من هو بن فهرة ؟!

أبو شلاّخ – لا أحد يعرف ، على وجه التحقيق ، من هو بن فهرة . إلاّ أنه كان مخلوقاً ذا وجه قبيح متجهّم لا يعرف الحياء ، ومن هنا أصبح وجهه مضرب المثل للصفاقة . قلت للمدير : «أريد تقديم شكوى ضد «وكمارا» فوراً» . قال بن فهرة رقم ٢ : «ليش ؟» . قلت : «لأن الشركة فصلتني فصلاً تعسفياً» . قال : «راجعْنا بعد سنتين!» . قلت : «اسمع ، يا الأخ ، أنا ما جيتك أشحذ . جيت أبي حقوقي . أنا مواطن مثلك ومن حقي . .» قاطعني المدير : «إنت مواطن مثلي ؟! عدلّي جدودك!» . قلت : «لا حول ولا قوة إلاّ بالله! أنا مواطن مثلك تقريباً . أتوقع منك أن تساعدني حتى لو كنت أنت ٢٢٠ وأنا ١١٠» .

توفيق – لم أفهم المقصود .

أبو شلاّخ – فوّت ، يا أخي أبو لمياء ، فوّت . بن فهرة فهم المقصود . واستطردتُ قائلاً : «من واجبك أن تقف معي في

وجه الاستكبار الإمبريالي الاستعماري الاستغلالي البشع» . قال : «هَماك كنت متزوج . .» قاطعته : «لا تتدخل في مسائلي الخاصة . تذكّر أنك مكتب العمل والعُمّال وليس مكتب النِكاح والناكحين» . توقعت أن يبتسم ابن الحرام ولكنه لم يبتسم . قالي لي ببرود ذكّرني ببرودة مؤخرة الروايّة : «قضيتك لا تدخل في اختصاص المكتب» . قلت : «تدخل في اختصاص من ، إذن؟» . قال : «المحكمة العُليا في أمريكا» . قلت : «وِجعْ! عفواً! ليش ؟» . قال : «كل قضايا السينيور ستاف من اختصاص المحكمة العُليا في أمريكا» . قلت : «هل تعرف عنوان المحكمة ؟» . قال : «أظنها في أعلى ناطحة سحاب في نيويورك ، وإلاّ ليش سموها العُليا؟» . قلت : «أفادك اللّه» . خرجت من مكتب بن فهرة وأنا أجرّ أذيال الخيبة والحزن والإحباط . جلست على الشاطىء أتأمل مياه الخليج الزرقاء وبدأت الدموع تنهمر من عينيّ . وبدأت أنشد قصيدة . .

توفيق - هل من الضروري . . .

أبو شلاّخ - لا ! لا ! عندما انتهيتُ من الإنشاد سمعت صوتاً يقول : «صحَّ لسانك !» . التفت فإذا بطبيبان بجانبي والدموع تنهمر من عينيه . قلت : «طبيبان! وِشْ جابك؟!» . قال : «فنّشوني» . قلت : «وأنا ، بعد ، فنّشوني» . قال : «كيف يفنشونك وأنت نسيب رئيس الشركة؟» . قلت : «إبليس ما مات . إبليس اللعين أغراني بمغازلة سكرتيرتي ، وتجاوبت اللعينة معي . وضبطنا المستر بانكر متلبسين . وأنتْ ليش

فنّشوك؟» قال : «بتهمة الشعوذة وممارسة الطب بلا ترخيص» . قلت : «والآن ، يا طبيبان ، وشْ النظر؟» . قال : «من ما غبَّر شاربه ما دسّمه» . قلت : «تكفى يا طبيبان! بلعت غبار في البرّ يدسّم ألف شارب» . قال «إذن ، ندشّ البحر» . قلت : «ندشّ البحر؟! وِشْ نسوي في البحر؟!» قال : «نغوص مع الغواويص» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، ذهبنا نطلب العمل عند نوخذة من نواخذة الغوص . أجرى معنا النوخذة مقابلة من إعداد كلية هارفرد لإدارة الأعمال . كان من ضمن الأسئلة التي وُجهتْ إليّ : «كم لغة أجنبية تتقن» . و«كيف تشرح نظرية النسبية في ثلاث دقائق» . و«ما اسم مخترع العجلة» . وكان من ضمن الأسئلة التي وجهت إلى طبيبان «ما رأيك في جمهورية أفلاطون» . و«ما هي خصائص المرحلة الزرقاء في حياة بيكاسو» . و«من فاز ببطولة العالم في كرة القدم سنة ١٩٥٥» . نجحنا رغم صعوبة الأسئلة وتقرر تعييننا ، طبيبان برتبة تبابّ وأنا برتبة رضيفْ .

توفيق - رضيف وتبّاب؟!

أبو شلاّخ -تبّاب هي أدنى درجات السُلّم الغوصي الوظيفي . الحقيقة أنه مُجرّد خادم . والرضيف أرقى منه بِشخطة . مرّت الأيام ، وطبيبان وأنا نمارس مختلف الأشغال الشاقة على السفينة ، من طبخ إلى فتح محار إلى تكبيس الغواويص . ذات يوم شهقت وقلت : «يا طبيبان! وِشْ ها الحالة ؟! عذاب في البرّ وعذاب في الماء» . قال طبيبان : «أنا أشهد

أنّك المُعذّب البرمائي» . أعجبتني كلمة البرمائي ، ومنذ ذلك الحين أصبحت جزءاً من اسمي . قضينا سنة كاملة ونحن ننتقل من هيْر إلى هيْر ، والحظّ السيء ينتقل معنا . كانت كل حصيلتنا من السحتيت والخاكة . . .

توفيق - السحتيت والخاكة؟!

أبو شلاّخ - السحتيت هو اللؤلؤ الصغير التافه ، والسحتيت اردى . السحتيت تراب اللؤلؤ ، والنوعان يباعان بتراب البيزات . ذات يوم ، كنت مع طيبان أصطاد السمك وأنشد :

يا وّنة ونيّـــتــــهـــا في الســـفــــيـنْة
أنا ومعي طبيبان . . وحِنا على الفَشتْ
يا ونّةٍ جــــرّتْ دمــــوع ســــخـــينة
حتى إمتلى منّْ دمعىَ الفايضِ الطَشتْ
لَيما ذكرت برنيس . . . مُرتي السمينة
لولا أبوها القِـرد مـا خـفتْ وانحـشتْ
يا الشـــايب المخنز! - وبنتـــه خنينه! -
لك البلش! أبلشت نفـــسك وبلّشتْ

في هذه الأثناء أحسست بنقده قويّة في خيطي . سحبتُ الخيط فإذا بي أمام سمكة كبيرة من فئة بنت النوخذه . قلت : «يا طبيبان! يوم كنت في بوم القرامطة صِدتْ سمكة مثل هذي وطلعت أصداف بنت ملك ملوك الجنّ البحرية» . قال : «عودة شـويّ ها الشلخـة يا أبو شـلاخ» . نظرت إلى السـمكة التي

تتلوى ، ورأيت أنه من الظلم أن تستقر هذه السمكة المزيونة في مِعْدة النوخذة الطمل . رميت السمكة في الماء ، وما هي الا لحظة . . .

توفيق – حتى انشق البحر وظهرت أصداف بنت ملك ملوك الجن البحرية .

أبو شلاّخ – أحسنت ، يا أخي أبو لمياء ، أحسنت . كأنّك ، واللّه ، كنت معنا . قالت أصداف : «أنا مستعدة أن أحقق لك ٣ طلبات .» كنت أفكر في الطلبات التي تستحق الأولوية ، عندما اندفع طبيبان ، فجأة ، قائلاً : «تكفْين يا خالْه! ذِبْحنا الحرمان الجنسي . شوفي لنا جزيرة ما فيها الاّ بنات» . ابتسمت اصداف ، وقالت : «سهل ميسور ، تعلّقا بذيلي» . تعلقنا بذيل اصداف التي انطلقت تشق عباب البحر بحيزومها وما هي سوى دقائق حتى وجدنا أنفسنا في جزيرة جميلة وحولنا جموع حاشدة من النساء الجميلات . لا يوجد على الجزيرة رجل واحد .

توفيق – ما اسم هذه الجزيرة ؟

أبوشلاّخ – علمي علمك . اختفتْ أصداف قبل أن نتمكن من الحديث معها . اتضح أن تقاليد الجزيرة تقضي بتتويج كلّ رجل يقذف به الماء إلى الشاطئ ملكاً بشرط أن يتزّوج كل ليلة امرأة جديدة . وهكذا نُصبّنا ، طبيان وأنا ، ملْكين للجزيرة ، وبدأت عملية الزواج الليلي .

توفيق – كلْ ليلة امرأة جديدة؟!

أبوشلاّخ - نعم! نعم! إلاّ أنني كنت قد أعددتُ للأمر عدته . قلت : «يا طبيبان! كل ليلة بنت! بنروح وَطي!» . قال طبيبان : «لا تخف . سوف أعدّ وصفة تضمن الانتشار الدائم» . أعدّ طبيبان الوصفة التي عرفها العالم ، فيما بعد ، باسم فياجرا . تصوّر ، يا أبو لمياء ، عبقرية هذا البدوي البسيط الذي استنبط عقاراً سرقته ، فيما بعد ، الحضارة الغربية دون أن تدفع له هلله واحدة مقابل حقوق الملكية الفكرية» . قال طبيبان : «وِشْ تبي بَعد؟» . قلت : «شِف لك حلّ في موضوع العيال» . قال : «وشْ قصدك؟» . قلت : «إذا حملنْ كل ها البنىْ رِحنا في خبر كان» . قال : «ليش؟» . قلت : «بعد شوْى بيجي ألف طفل أو ألفين . وِشْ بيصير فينا لو أقاموا علينا دعاوى نفقة؟» . أعدّ طبيبان الوصفة التي عرفها العالم ، فيما بعد ، باسم حبوب منع الحمل ، تصوّر ، يا أخي أبو لمياء ، عبقرية . . .

توفيق - أتصوّر! أتصوّر!

أبو شلاّخ - مرت الأيام ونحن مثل عنز البدو الشهيرة التي طاحت في مريس . كنا نعيش في حلم ذهبي جنسي نود ألاّ ينتهي ، ولكن ، يا أخي أبو لمياء ، ما أصدق المثل الذي يقول : «كل شئ زاد عن حدّه ، انقلب إلى ضدّه» . طقت كبودنا من البنيْ ، ولولا وصفة طبيبان لما استطعنا ممارسة مهامّنا الليلية . الا أن التخمة الجنسية لم تكن المشكلة الأولى والأخيرة . ذات فجر ضبابي ، جاءنا وفد من البنات أبلغنا أننا فشلنا بعد ٦

شـهـور من الـزيجـات الليليـة في جـعـل زوجـة واحـدة تحـمل . وأوضح الوفد أن تقاليد الجزيرة تقضي بموت الرجل الذي يعجز عن التلقيح بعد مرور ٦ أشهر من تنصيبه ملكاً .

توفيق - من العرش إلى الحرق؟!

أبو شلاّخ - مباشرة! حاولنا أن نشرح للوفد السبب في عدم حمل النساء ، وأن الموضوع يمكن تداركه ، إلا أن الوفد أبلغنا أن محكمة الجزيرة العليا أصدرت قرار الإعدام وانتهى الأمر . وأضاف الوفد ان قرار الإعدام حرقاً سوف ينفذ عند منتصف الليل . ذهبت مع طبيبان إلى الشاطئ ، وأخذنا نتأمل مياه المحيط الزرقاء ، والحيتان الهائلة التي تلعب فيها ، وبدأت الدموع تنهمر من عيوننا . قال طبيبان : «وِشْ الراي؟» . قلت : «جزيرة ما فيها الاّ بنات؟! إذا وقعت يا فصيح لا تصيح» . قال : «هذا بسّ اللي عندك؟» . قلت : «وأنت وِشّ عندك؟ .» قال : «نتعلّق بذيل حوت من ها الحيتان ، ويا حصّة وإلاّ شاذوب» . قلت : «نعنبوك! حصِّه وشاذوب؟! حِنّا في هيْر؟ حِنّا في المحيط» . قال : «يا نغرق يا نحرق : وِشْ تقول؟» . قلت : «أقول شاذوب!» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبولمياء ، تعلّقنا بذيل حوت بليّة انطلق يشق عباب المحيط بحيزومه حتى رسا بنا في بيرل هاربور .

توفيق - بيرل هاربور؟! المشهورة؟! .

أبو شـلاّخ - نعم! نعم! الميناء المعروف في هونولولو . ومن غرائب المصادفات التاريخية ، يا أخي أبو لمياء ، أننا وصلنا

الميناء يوم الاعــتــداء الجـويّ الغــاشـم الغــادر على الأسطول الأمريكي .

توفيق - لحظة من فضلك! الاعتداء حصل سنة . . .

أبو شــلاّخ- اســمع ، يا أبو لميــاء . أنت لا تتــحــدث مع هيرودتس ، والد التاريخ ، ولا مع البروفسور توينبي . هل تريد أن تستمع إلى قصة حياتي ومغامراتي العجيبة أو لا تريد؟

توفيق - أريد بطبيعة الحال .

أبو شلاّخ - إذن اسمع ، واللي ما يجوز لك حطّه في الخرج . لا تكثر عليّ من «في أي سنة» . و«في أي شهر» . وصلنا بيرل هاربور يوم الاعتداء الغاشم . وجدنا الجميع في حالة ارتباك شامل وفوضى كاملة . كان المساكين يتوقعون هجوماً من البحر وجاءهم من الجوّ . سرعان ما تداركنا ، طبيبان وأنا ، الموقف . بدأ طبيبان يعالج الجرحى بكفاءة تحسده عليها «مايو كلينيك» وأنقذ المئات من المصابين بحروق من الدرجة الثالثة . أما أنا فقد توليت قيادة البقية الباقية من فلول القوات الأمريكية ، ورفعت روحها المعنوية بقصائد حماسية من ضمنها قولي . . .

توفيق - هل من الضروري . . .

أبو شــلاّخ - لا ! لا! لن أطيل عليك ، وصلت أخــبــار منجزاتنا ، يا أخي أبو لمياء ، إلى الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت الذي أمر بإحضارنا إلى واشنطن على متن قاذفة قنابل . اجــتــمع بنا روزفلت ، على انفــراد ، في المكتب البيضاوي ، وأشاد بدورنا في دعم المجهود الحربي الأمريكي ،

قائلاً : «إن دلَّ موقفكم على شيء فإنما يدّل على أن معركتنا من أجل الحريّة والديمقراطية هي معركة جميع الشرفاء في العالم» . واستطرد : «لقد برهنتما ، يا فخر البداوة العربية ، أن أصدقاء أمريكا هم قوّتها الحقيقية» . عشّانا روزفلت جيز بيرجر وشرّبنا روت بير . بعد العشاء ، ابتسم وقال : «سمعت أن لدى طبيبان وصفة تضمن الانتشار الدائم» . ابتسمتُ ، بدوري ، وقلت : «يا فرانكلين! مرتك أ شيْن من شِيْفة عويجا . أيّ وصفة تنفع معاها؟» ضحك روزفلت من الأعماق ، وقال : «لا ! لا! الموضوع أخطر من ذلك بكثير» . شرح لنا روزفلت أن أدولف هتلر يعمل ، دائباً ، على تطوير سلاح ذريّ ، وأنّه لو تمكن من تطويره واستخدامه فقد تنتهي الحرب لصالحه . وأضاف أن هتلر يعاني الضعف الجنسي حيث إنه وُلد بخصية واحدة . قال طبيبان فجأة : «عفيْة على الاستخبارات الأمريكية! عدّتْ خِصيان الناس!» ابتسم روزفلت ، وواصل حديثه . قال إننا ، طبيبان وأنا ، نستطيع عن طريق الوصفة الجنسية أن نصل إلى هتلر وأن نصبح من المقرّبين إليه . وأضاف إن علينا عندما نصبح جزءاً من حاشيته أن نجد طريقة لدخول مخدعه وسرقة المخططات الذريّة التي يحتفظ بها تحت مخدّته وقال روزفلت إن أمريكا لن تنسى لنا ، أبداً أبداً ، هذا الموقف التاريخي . وافقنا على الفور . أصدر روزفلت أوامره بوضع كل الإمكانيات العسكرية الأمريكية تحت تصرفنا . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، هبطنا بالبارشوت في ضاحية ما من ضواحي برلين .

اتجهنا ، بثيابنا العربية ، إلى إذاعة برلين حيث طلبنا مقابلة يونس بحري . بمجرد أن رآنا المذيع الشهير صرخ : «حيّ العرب!» . قلنا : «اللّه يحيّيك!» . قال :«أي خدمة؟» قلنا : «نريد منك أن ترتّب لنا موعداً مع الفوهرر» . أطرق يونس بحري مفكراً ، ثم قال : «هايْ صعبة شويّ» . قلت : «صعبه شوي؟! كل ليلة تلعلع علينا وتقول : «هتلر سوّى وهتلر فعل» . واللّه كنا نظنك تتغدى وتتعشّى مع الرجّال .» قال يونس بحري : «هناك أمل . تربطني معرفة قديمة بإيفا براون سكرتيرة الفوهرر التي يقال . . .» قلنا : «مفهوم!» . المهم ، يا أخي أبو لمياء ، أن يونس بحري أعطانا الرقم الخاص لإيفا براون ، وكان الرقم يعتبر من الأسرار العسكرية الخطيرة في تلك الأيام . إتصل طبيبان بإيفا وشرح لها ، بدبلوماسيته البدوّية الفطرية ، أن لديه وصفة تضمن لهتلر الانتشار الدائم . سُرّت إيفا سروراً عظيماً ، ورتّبت لنا موعداً عاجلاً في المستشارية مع الفوهرر . دخلنا مكتباً يفوق حجمه حجم ملعب كرة القدم ، وما إن اقتربت من هتلر حتى حييته التحية النازية ، وأنشدت :

يا هِتلرْ المنعوتْ بالجودْ والطيبْ
أنا أشهد أنك شمّرى مِنْ حمولهْ
يا من هجدتْ الإنجليز المعازيبُ
في ليلةٍ ظَلمْا . بقنابلْ مَهولهْ
جيتك معي طِبيبان . . شيخ الطبابيبْ
عنده الدوا الشافي لكلّ ما تقولْه

تقمـز على إيفا كـمـا يقـمِـز الذِيبْ

مـا تشـبعَ من البــاه . .هذي البطولهْ!

ما إن سمع هتلر هذه الأبيات حتى ابتسم ، وأمر جوبلز أن يملأ فمينا كوخن . .

توفيق – كِوخنْ ؟!

أبوشـلاّخ – اعلم ، يا أخي أبو لميـاء ، إن الكُوخْن باللغـة الجرمانيـة الكلاسيكيـة تعني الكْيك . واعلم إن هتلر كـان نبـاتيـاً ، وكـان معظم طعامـه من الكوخن والشيكولاته . مـا إن جرّب هتلر وصفة طبيبان ، ولمس مفعولها السحريّ حتى لقينا عنده حظوة لا تعادلها حظوة همر . أصبح يدعونا إلى العشاء معه ليلياً . سرعان ما تطورّت الأمور فدعانا إلى الإقامة الدائمة مـعـه بدار المسـتـشـارية . مـرّت الأيام ونحن ننعم بعطف هتلر ورعايته وكرم ضيافته حتى كدنا ننسى الهدف الأصلي الذي قدمنا من أجله . ذات ليلة . وكنّا على طاولة العشـاء ، أمـرني هتلر أن أذهب إلى المطبخ وأحضـر المزيد من الكوخن . ذهبت إلى المطبخ فوجدت أمامي فتاة بافاريه كأنها دانة . سألتها عن اسمها فقالت إنه هانالور ، وأبلغتها تعليمات الفوهرر . أعطتني قطعة كوخن ضخمة حملتها إلى الطاولة ، بعد أن اتفقت معها على أن ألتقي بهـا في المطبخ بعد أن ينام هتلر . مـرّت الليـالي وكـأنّها حلم ذهبي ، وأنا القى هانالور في منتصف كل ليلة في مطبخ المستشارية ، ونتبادل العناق والقبلات . ذات مساء ، بعد أن انتهينا من تناول العشاء على مائدة هتلر ، هببت واقفاً . . .

توفيق – وأنشدت قصيدة؟

أبو شلاّخ – مالك لوا . لم أنشد قصيدة ، هببتُ واقفاً وصرخت : «تكفى يا أدولف! لا تردّني خايبْ ! قلْ تم»! . قال الفوهرر مستغرباً : «وِشْ تبى؟!» . قلت : «جايك أخطب هانالور ، وأنا يعقوب بن محيسن بن عميرين . . .» امتقع وجه هتلر حتى أصبح كأنه قطعة طماطم . . .

توفيق – أتقصد احمرّ؟

أبو شلاّخ – ما الفرق بين احمرّ وامتقع؟

توفيق – امتقع تعني أن الدم ذهب منه فأصبح شاحباً ، واحمرّ تعني امتلأ بالدم .

أبو شلاّخ – صدّقني ، يا أخي أبو لمياء ، أني لا أدري ما فعل دم هتلر . ولكنني أدرى ما فعل دمي . جمد في عروقي وأنا أنظر إلى وجهه . عندما تمكّن من الكلام صرخ : «وأنا ولد بسمارك! من بني سام وجاي تخطب آريّة؟! وراس إيفا ان حكيت في ها الموضوع مرّة ثانية حطيتك في الفرن مع عيال عمك .» فيما بعد ، حين خلوتُ بطبيبان صرخ في وجهي : «وطيْر من العجير! ما شِبعت من البني؟ صار لنا ٦ شهور نمعس فيهن معس لين قلنا بس . وَراك تخطب السفرجية؟ .» قلت : «دعْنا من هذا الآن . وش قصد معزّبنا يوم يقول اني من بني سام؟ ما يدري اني خضيرى؟ .» قال طبيبان : «أظن أن بني سام خضيرية الجرمن» . قلت : «وشْ قصة الفرن وعيال العم؟! .» قال : «أظنه ، يا أبو شلاخ ، كان يهددك» . قلت :

«يهددني؟! أفا يا العلم! .» قررنا أن الوقت قد حان لتنفيذ المهمة . في الليلة التالية . اعتذرت لهتلر بحرارة وقلت له إني كنت أعتقد أن هانالور من بنات سام . ضحك الفوهرر ، وأمر بملء فمي برويدشن . والبرويدشن ، باللغة الجرمانية الكلاسيكية ، تعني ضرباً من الخبز اللذيذ المدوّر . في تلك الليلة ، أضاف طبيبان إلى الوصفة بنجاً قوياً . تسلّلت إلى المخدع فوجدت هتلر يشخرّ ، وإيفا في الحمام . سرقت المخططات الذرية من تحت مخدته دون أن يشعر . ذهبنا ، طبيبان وأنا ، إلى دار الإذاعة ، وقلنا ليونس بحري . «هتلر» يطلب منك أن تلقى ، فوراً ، تعليقاً حماسياً يتضمن عبارة «يا جبل! ما يهزّك ريح! .» قال المذيع «صار!» . وبدأ يلقي التعليق . لم يكن يونس بحري يعرف أن هذه هي كلمة السرّ التي سبق أن اتفقنا مع روزفلت على بثها فور نجاح المهمة . صعدنا ، طبيبان وأنا ، إلى سطح الإذاعة حيث وجدنا في انتظارنا طائرة هيلوكبتر صغيرة ، أوصلتنا إلى طائرة أكبر ، أوصلتنا إلى الشاطئ حيث كانت غواصة روزفلت الخاصة تنتظرنا . انطلقت الغواصة تشق عباب البحر بحيزومها حتى أوصلتنا إلى نيويورك من هناك أخذتنا طائرة هيلوكبتر . .

توفيق – هل كانت طائرات الهيلوكبتر . . .

أبو شلاّخ – كانت! كانت! أخذتنا الطائرة إلى حديقة البيت الأبيض حيث كان روزفلت في استقبالنا بنفسه . عانقنا بحرارة ، وبدأت مرحلة جديدة مثيرة من حياتي وحياة طبيبان .

الفصل الثالث

وديعة روزفلت

وأيُّ قبيلٍ يستحقك قدره ؟
مُعد بن عدنانٍ فداك .. ويَعرُب

المتنبي

توفيق – كنت تقول إن الرئيس روزفلت استقبلكما شخصياً في حديقة البيت الأبيض .

أبو شلاّخ – أي نعم! وأخذنا معه إلى المكتب البيضاوي ، وأغلق الباب بالمفتاح . عندما لاحظ استغرابنا قال : «المَرَة فضولية ولا تنعطى سرّ» . سلّمنا له المخططات الذرّية التي سرقناها من هتلر ، وبمجرد أن اطّلع عليها بدأت الدموع تنهمر من عينيه ، وأنشد . . .

توفيق – روزفلت أنشد ؟! قصيدة نبط ؟!

أبو شلاّخ – اللّه يهديك ، يا أبو لمياء . قصيدة نبط؟! أنشد روزفلت السلام الوطني الأمريكي . بعد أن انتهى ، قال ، بتأثر واضح : «لن أنسى لكما هذا الجميل ، خصوصاً ما فعلته أنت يا أبو شلاّخ» . قلت : «يسعدنا أننا تمكّنا من تجنيب البشرية ويلات الحرب الذرّية» . وأضفت : «اسمع ، عاد ، يا فرانكلين! لا تأخذ هذه المخططات وتستخدمها في صنع سلاح ذرّي تدمّر به الآخرين» . قال : «أعدك أن أمريكا لن تستخدم السلاح الذرّي مادمتُ في منصبي هذا» . أطرق روزفلت مفكراً ، ثم قال : «بعد التضحيات العظيمة التي قمتما بها ، أنا مستعد

لتنفيذ أيّ شيء تريدانه . وأنا أقصد أيّ شيء» . قلت بدون تفكير : «ابن الحرام المستر بانكر . أتمنى أن تفصله فوراً» . ضحك روزفلت ، وقال : «ألا تعرف ماذا حدث لبانكر؟» . قلت : «ماذا حدث ؟» . قال : «انتحر» . قلت «بالشوزن ؟» . قال روزفلت : «لا . بالجوع . طلب زيادة كبيرة في راتبه وقرّر الإضراب عن الطعام إذا لم يحصل عليها . رفضت الأخوات السبع الاستجابة لطلبه ، ومات جوعاً» . قال طبيبان : «لا حول ولا قوة إلاّ بالله! خواته خلّوه يموت جوع؟!» ضحك روزفلت ، وقال : «لا . الأخوات السبع هي الشركات العملاقة التي تتحكّم في إنتاج البترول ، وتملكه نقطة نقطة .» قال طبيبان : «نقطة نقطة ؟! أقهرهم باللّه !» . قلت : «وما فعلت برنيس؟» قال : «تزوجت مهندساً من تكساس» . قلت : «ومن الذي عُيّن مكان بانكر ؟» . قال روزفلت : «لدينا في الحزب الديمقراطي ولد حربوق له مستقبل عظيم اسمه جون كينيدي . أقنعت الأخوات السبع بتعيينه رئيساً «لوكمارا» حتى يتدرّب على الإدارة . ذات يوم ، سيحتل مكتبي هذا» . فجأة انطلق طبيبان صارخاً : «تكفى يا فرانكلين! ذبحتنا عُقدة الدال !» . قال روزفلت : «الدال؟ تقصد الدال الذي كان يطبخه برشوتم لكم ؟» . قلت : «عفْيه على الاستخبارات الأمريكية ! تسمع دبيب النملة!» . قال طبيبان : «لا ، يا ريّس . عقدة الدال هي عقدة الدكتوراه . حرف الدال . في ديرتنا ها الأيام كل اسم ما قبله حرف الدال عِدّ انّه اسم خضيريّ» . لم يفهم روزفلت شيئاً ،

وقلت : «يا فرانكلين! نريد الحصول على شهادات دكتوراه من أمريكا . طبيبان يريد دكتوراه في الطب . وأنا أريد دكتوراه في كل شيء» . قال روزفلت : «دكتوراه الطب أمرها واضح ، ولكن ماذا تقصد بدكتوراه في كل شيء؟» . قلت : «أبغى أفهم في الأدب والقانون والسياسة والكيمياء والطبيعة والفلك والجيولوجيا وعلم النفس و . . .» قاطعني روزفلت ضاحكاً : «لو قضيت بقية عمرك في الدراسة لن تتمكن من التخصص في هذه المجالات كلها . اختر تخصّصا واحداً .» أطرقت مفكراً ، ثم قلت : «واللّه إني حائر . وأنت ، يا فرانكلين ، وِشْ رايك؟» . قال : «رأيي أن تأخذ دكتوراه في إدارة الأعمال . هذه موجة المستقبل» . الواقع ، يا أخي أبو لمياء ، أن روزفلت قال وفعل . أمر الاستخبارات الأمريكية بتزوير شهادات بكالوريوس وماجستير لنا من جامعات شهيرة . وأوعز ، بنفسه ، إلى رئيس جامعة جورج تاون بقبولنا في مرحلة الدكتوراة : طبيبان في كلّية الطب ، وأنا في كلّية إدارة الأعمال . إلا أنه اشترط علينا أن يتّصل بنا في أيّ وقت إذا احتاج إلى خدماتنا . وافقنا بكل سرور . خصص روزفلت لكّل منا راتباً شهرياً كبيراً من وزارة الدفاع ، ووجّه بأن تتولى هذه الوزارة دفع الرسوم الجامعية ، وأمر لكل منا بسيارة فورد جديدة . بدأنا الدراسة . مرّت الأيام ونحن نصل الليل بالنهار في طلب العلم . بعد بضعة شهور ، اتّصل بي روزفلت ، بعد منتصف الليل ، وطلب مني الحضور ، فوراً ، إلى البيت الأبيض واستخدام المدخل الخلفي . وجدت

روزفلت في المكتب البيضاوي ينفث دخان سيجارته وهو في أقصى حالات الهم . قلت : «خِير يا فرانكلين؟ عسى الخالة ما ماتت؟» . قال : «الخالة ، للأسف ، بصحة جيّدة» . قلت : «أجل وشْ فيك ؟» . قال : «عندي مشكلة كبرى مع حلفائي» . قلت : «تقصد مع أعدائك ؟» . قال : «مع حلفائي . تشرتشل وديجول أتعباني تعباً شديداً ، يا أبو شلاّخ . إذا لم أتحرك فسوف تكون العواقب وخيمة» . أوضح لي روزفت أن هناك كراهية عميقة متبادلة بين رئيس الوزراء البريطاني ورئيس فرنسا الحرّة . وقال إن هذه الكراهية وصلتْ إلى حد السباب والاشتباك بالأيدي . وقال إن مجهود الحلفاء الحربي في خطر بسبب هذه المشكلة . أطرقتُ مفكراً ، ثم قلت لروزفلت : «ولا يهمّك! أعطني هدية معتبرة لكلّ منهما . وروّح طيّارة تجيب بروشتم من مطبخ «وكمارا» وخلّه يقابلني في لندن» . أرسل روزفلت ، فوراً ، طائرة تحضر بروشتم ، وخصّص لي طائرة شبح . . .

توفيق – شبح؟! أيامها لم تكن طائرة الشبح معروفة .

أبو شلاّخ – «حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ» . لكل زمان دولةٌ ورجالٌ وطائرات شبحية ، يا أبو لمياء . المهمّ أن الطائرة الشبح حطّت بي في مطار عسكري في ضواحي لندن . هناك وجدت الجنرال آيزنهاور في استقبالي على المدرج . أدّى الجنرال لي التحيّة العسكرية . . .

توفيق – الجنرال دوايت آيزنهاور؟!

أبو شـلاّخ – نعم ، يا أخي أبو لمياء ، نعم . بعـد أن أدّى لي التـحـيـة العـسكـرية قلت له : «أهلاً جنرال آيزنهـاور!» قـال : «سمّني آيك !» قلت : «أهلاً آيك !» . وضع آيك تحت تصرفي سيارة جيب يسوقها ضابط برتبة مُشير ركن ، وانطلقنا إلى «الدورشستر» ، حيث ودّعني آيك متمنياً لي التوفيق في مهمّتي . في مطعم «الدورشستر» ، الذي كان مُضاءً بالشموع خوفاً من الغارات ، وجدت بروشتم في انتظاري . ارتديتُ ملابسي العربيّة الفاخرة ، وألبستُ بروشتم عمّامة مُرصّعة بالأحجار شبه الكريمة وحُلّة من الزري اللامع حتى بدا وكأنّه مهراجا حيدر آباد . انطلقنا بالجيب إلى ١٠ داوننج ستريت . استوقفنا الحارس الليلي وسأل عن كلمة السرّ . قلت : «ويسكي !» . أذن لنا بالدخول ، ووجدنا تشرتشل في غرفة العمليات ، محاطاً بكبار القادة العسكريين . سلّمت تشرتشل هدية روزفلت المكوّنة من ٥٠٠ صندوق ويسكي بلوليبل ، و١٠٠,٠٠ سيجار كوبي . انفرجت أسارير تشرتشل حين رأى الهديّة . فتح زجاجة ويسكي وعبّ منها عباً حتى لم يُبقْ فيها قطرة واحدة . أشعل سيجاراً كوبياً ونفث الدخان في وجهي ، وقال : «أي خدمة ؟» . قلـت : «كلمة راس !» . نفث تشرتشل الدخان في وجوه كبار القادة العسكريين فتركوا الغرفة . قلت : «عمّك وعمّي روزفلت طلب مني إبلاغك بالكفّ عن خناقاتك الصبيانية مع ديجول ، وأن تعملا ، يداً بيد ، لإنجاح مجهود الحلفاء العسكري» . نفث تشرشل في وجهي المزيد من

الدخان ، وقال : «نو وي!» . صرخت في وجهه : «ونستون! أقول لك عمّك روزفلت يقول وتقول لي «نو وي!» .وش بلاك؟! أثرك خِبْل وحِنّا ما ندري!» . فُوجىء تشرشل بهذا التوبيخ ، وابتسم ، وقال متودّداً : «يا أبو شلاّخ! حاول أن تتفهم موقفي . هذا الرجل كما تقولون في بلدكم دَبله كبد . أحول وينشق ، وبياخذنا دَهْوله» . قلت : «قد يكون هذا كله صحيحاً . ولكن المعزّب روزفلت ضجر من الخلاف بينكما ويودّ أن ينتهي فوراً» . قال تشرشل : «الحل الوحيد هو عزله من رئاسة فرنسا الحُرّة ، وتعيين بومبيدو مكانه» . قلت : «يا ونستون! هذا كلام مهابيل . بومبيدو؟! . ديجول أصبح الآن رمز فرنسا ، أصبح رمز الحرية» . إحمرّ وجه تشرشل ، وقال «ديجول أصبح رمز الحرية؟! أجل انا وِشْ رَمزه؟» . قلت : «يا عزيزي ونستون! في تاريخ النزاع البشري لم يحمل كل هذا العدد الكبير من البشر كلّ هذا الكم الهائل من الجميل لشخص واحد ، هو أنت» . ضحك تشرشل ، وقال : «زِدني!» قلت : «ولو عاشت الامبراطورية البريطانية ألف سنة فسيقول التاريخ إن فترة قيادتك كانت أفضل ساعاتها» . فتح تشرشل زجاجة ويسكي أخرى وشفط محتوياتها ، وقال : «زدني!» . قلت : «وخطبتك عن محاربة العدوّ على الشواطىء أصبحت رمز المقاومة الفلسطينية» . قال : «زدني!» . قلت : «وخطبتك عن العرق والدموع أصبحت شعار الطالبان» . ابتسم تشرشل وقال : «ماذا تريد منّي؟» . قلت : «فلننْس ديجول . أقدّم لك الدكتور هاري كرشنا برشوتم ، ابن

عم المهاريشي المشهور . وقد جاء ليقرأ كفّك ويخبرك متى ستنتهي الحرب بانتصارك العظيم» . قال تشرشل : «يسرني ذلك» ، ومدّ يداً بيضاء صغيرة سمينة . تناول بروشتم اليد ، وأخذ ينظر في عيني تشرشل ويهمس : «نم! نم يا طفلي الحبيب السمين! نم واحلم بالويسكي والسيجار» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، تمكّن بروشتم من تنويم الاستعماري العجوز السكّير مغناطيسياً ، وأمره أن يعشق ديجول عشقاً . بمجرد استيقاظه ، التفت تشرشل إلينا وقال : «عن إذنكم!» . قلت : «وين تبي؟!» . قال : «اشتقت لشارل وسأذهب لزيارته الآن» . قلت : «الآن؟! في ها الليل؟! الصباح رباح» . تركْنا ونستون يقربع الزجاجة الثالثة ، وانطلقنا إلى سكن ديجول الذي يقع على مرمى حجر . استوقفنا الحارس الليلي ، وسأل : «كلمة السّر» . قلت : «فيف لا فِرانس!» . دخلنا على ديجول فوجدناه ، بمفرده ، يتأمّل صورة نابليون على الجدار أمامه . سلّمناه هدية روزفلت المكوّنة من ١٠٠٠ صندوق نبيذ فرنسي أصلي مصنوع في كاليفورنيا ، و٥٠ علبة من كبد الوزّ المهروس . انفرجت أسارير الجنرال حين رأى الهديّة وقال : «أي خدمة؟» . قلت : «عمّك وعمّي روزفلت يبلغك التحيّة ويطلب منك أن تكفّ عن شجارك الصبياني السخيف مع تشرشل» . قطّب الجنرال حاجبيه ، وقال : «يا أبو شلاّخ! هذا الرجل كما تقولون . . .» قاطعته : «دَبلة كِبد . وأحول وينشق . وبياخذكم دهْوله .» . قال : «وِش دراك؟!» . قلت : «يا جنرال! لننْس

تشرشل الآن . أقدّم لك الدكتور هاري كريشنا . . .

توفيق – وتمكن بروشتم من تنويم ديجول مغناطيسياً وأمره أن يعشق تشرشل عشقاً .

أبو شلاّخ – أحسنت ، يا أبو لمياء ، أحسنت . كأنّك ، واللّه ، كنت معنا . تركنا الجنرال وهو يرقص ويغنّي : «ونستون! مون شيريه! ونستون! مون شيريه!» . انطلقت إلى المطار حيث وجدت آيزنهاور في انتظاري على المدّرج . طلبت منه ترتيب طائرة تعيد بروشتم ، وقام بذلك في الحال .بعد إقلاع طائرة بروشتم أخذني آيزنهاور إلى ركن مظلم بقرب طائرة الشبح ، وقال : «يا أبو شلاّخ! لدي مشكلة كبيرة هنا . أرجو أن تبقى قليلاً لحلّها» . قلت : «إسمعْ يا آيك! مع تقديري لكونك القائد العام لقوات الحلفاء فأنا لا أتلقى تعليماتي إلا من شخص واحد هو روزفلت» . قال آيزنهاور : «إذن إسمح لي بأن أقترح على روزفلت أن يستعين بك لحلّ مشكلتي» . قلت : «دستورك معاك!» . عدتُ إلى واشنطن ، وشرحت لروزفلت ما حدث ، فسُرّ سروراً عظيماً وعشّاني كنتاكي فرايد جكن وآبل باي . بعد أسبوع كلمني روزفلت بالتليفون ، وقال ضاحكاً : «يا أبو شلاّخ! حققّتَ معجزة . تشرشل وديجول لا يطيق أحدُهما فراق الآخر» . قلت : «يسرني ، دوماً ، أن أساعد في الحرب ضد قوى الشر النازية الفاشستية اليابانية الديسي» . عدتُ إلى الدراسة بهمة وحيوية . بعد قرابة شهرين اتصل بي روزفلت ، بعد منتصف الليل ، وطلب مني القدوم ، فوراً ، إلى البيت الأبيض

واستخدام المدخل الخلفي . دخلتُ عليه المكتب البيضاوي فوجدته ، في أقصى حالات الكآبة . قلت : «خير يا فرانكلين؟ بيعني في السوق ولا تزعل!» . قال : «مشكلة كبيرة» . قلت : «آيزنهاور؟» قال مدهوشاً : «كيف عرفت؟» . ابتسمت ، ولم أقل شيئاً . نظر إليّ روزفلت ، وقال : «آيزنهاور يعاني صعوبات هائلة في التعامل مع الفيلد مارشال مونتجمري . هذا الرجل أعند من البغل . يرفض أن يعامل آيزنهاور معاملة الرئيس ، ويرفض تنفيذ تعليماته . إذا استمرّت الحال على هذا المنوال فسيتعذر الإنزال في نورماندي» . قلت : «بسيطة! روّح طيارة تجيب صويحبي ثويران من «وكمارا» ، وخلّه يقابلني في لندن» . ركبت طائرة الشبح . . .

توفيق - وحطّت الطائرة وكان في استقبالك الجنرال آيزنهاور . هل من الممكن الوصول إلى لُبّ القصة؟

أبو شلاّخ - لُبّ القصة؟ آه! الزبدة! تريد الزبدة؟! الزبدة ، يا أخي أبو لمياء ، أننا ، ثويران وأنا ، انطلقنا إلى مقر قيادة مونتجمري ، استوقفنا الحارس الليلي ، وقال : «كلمة السرّ ؟» . قلت : «بايْ بايْ لندن !» . أدخلنا الحارس إلى غرفة نوم الفيلد مارشال ، حيث وجدناه بالبيجامة مكبّا على بعض الخرائط العسكرية . قلت : «يسلّم عليك عمك وعمي روزفلت ويقول لك إما تتعاون مع آيزنهاور أو يكون لنا معاك كلام ثاني» . قال مونتجمري : «من عجائب القدر أن يخضع فيلدمارشال إنجليزي لجنرال أمريكي» . قلت : «عجائب القدر كثيرة» . قال : «ومن

سخريات الزمان أن أجُبر أنا الذي هزمت ثعلب الصحراء روملْ على طاعة جنرال لم ير حرباً حقيقياً واحدة في حياته» . قلت : «ما أكثر سخريات الزمان» . قال مونتجمري : «وأزيدك من الشعر بيت . ابن الحرام يدخّن أمامي» . قلت : «ولم لا يدخّن أمامك؟ لا أنت مدير مدرسة ولا هو طالب عندك . هو رئيسك» . قال مونتجمري : «وأزيدك شوق . هذا الجنرال المزعوم يحب سائقته المجندة الانجليزية» قلت : «وشْ فيها ذي ؟» . قال : «وِشْ فيها ؟! هذه المجنّدة يعود أصلها إلى ابن غير شرعي للملك هنري الثامن» . قلت : «جدها نغل يعني ؟!» . قال : «بنت من أصل أرستقراطي . كيف يتجرّأ هذا اليانكي على حبّها؟» . قلت : «اسمع عاد ، يا سعلوة الصحراء انت ، بتتعاون مع آيزنهاور أو أخلّي ثويران يتفاهم معك» . قال : «لن أتعاون مع هذا الشاويش» . قلت : «ثويران! رنّه !» رنّه ثويران حتى طقع العافيةْ وصرخ : «التوبة»! . قلت : «من الآن فصاعداً ، يا سعلوة الصحراء ، تقبّل يد آيزنهاور كل صباح وتمتثل لكل أوامره . فهمت؟!» . قال : «فهمت ، يا أفندم!» . قلت : «كل أوامره!» . قال : «حاضر ، يا أفندم!» . عدنا إلى المدرّج حيث رتّب آيزنهاور طائرة أرجعت ثويران ، ثم أخذني جانباً وقال وهو يضحك : «رنّيتوه لين قال بس!» . قلت : «عفْيه على استخباراتك العسكرية! تسمع دبيب النملة!» . قال : «لن أنسى لك هذا الجميل ما حييت» . قلت : «تقول وتفعل!» ثم اقتربت منه وهمست في أذنه : «ضاقت بك الدنيا ما لقيت إلاّ وحده

جـدّها نغل؟!» . قـال : «الحب أعـمى» .قلت : «أمـا في هذي فصـدقت يا آيك» . عـدتُ إلى واشنطن ، وأخـبـرت روزفلت بما جرى فضحك حتى كاد يصاب بالسكتة القلبية . عدت إلى الدراسة بكل حيوية ونشاط . كنت موضع اعجاب أساتذتي . في الوقت نفسه ، كان صويحبي طبيبان يتفوّق ، يومياً ، على نفسه وعلى مدرسّيه . بعد شهور طويلة من التعب طقّت نفسي من الدراسة . قلت لطبيبان : «وِشْ رايك نروح هوليود ونكشت ونقنص؟» . قـال : «مـحل الممـثـلات؟!» . قلت : «مـحل الممـثـلات» . قـال : «هذا ، واللّه ، الراي» . اتصلت بروزفلت تليفونياً وابلغته رغبتي ، فرحّب بالفكرة . رتّب لنا قاذفة قنابل تأخذنا إلى لوس انجلس ، وأمر هوتيل«امبسادور» أن يخصّص لنا فيلتين فخمتين من الفلل التي تحتجزها وزارة الدفاع على مدار السنة للترفيه عن كبار الضباط العائدين من مسارح العمليات . ما إن استقر بنا المقام حتى قلت لطبيبان : «وِشْ رايك نروح بركة السباحة ، نسبح ونتذكرْ أم الخيس؟» قال طبيبان : «اللي يسمعك يظن «أم الخيس» بحيرة ميتشيجان» . قلت : «كل ديره عند أهلها مصر» . ذهبنا ، يا أخي أبو لمياء ، إلى بركة السباحة وهناك فوجئت بريتا هِيوارث تسبح . . .

توفيق – النجمة السينمائية الشهيرة؟!

أبو شلاّخ – بعينها ولحمها وشحمها . ما إن رأيتها حتى اقتربت منها وابتسمتُ ، وابتسمت هي بدورها . تشجعت ،

وأنشدت على البديهة :

علـــى رِيتـــا خَـفـــقْ قلبـــي

خـــفـق قلبي علـــى ريتـــــا

يـــا مـحْلاها . . ومـــا ازْينهـــا

من السكّر . . فـتـا فـيـتـــا

علـــى الشـاشـــة إذا شـــاشـــت

تولّعــنا . . . بكبـــاريتــــــا

وكـــل بنـــتٍ . . وكُلّ حُـرْمـــهْ

بعـد رِيتـا . . . مِـثلْ . . . شـيـتـا

نسيـــتْ يـوم شـفـتـــكِ الجـــازي

نسـيت جــهـيّـرْ . . . وصـيـتـا

ووضحا نِسيْتهـــا . . وصبحـــا

مـع باقـــي الكتـــاكـيتـــا

عَطينـــي بوســه يا ريتـــا

تـرى بُوسْـتك فـيـري سـويـتـا

سُرّت ريتا بالشعر سروراً عظيماً . بدأنا نتحدّث ، وبدأت العلاقة تنمو بيننا وتتوطد . قالت لي إنها تعمل في فيلم «علي بابا» . عندما علمت أنني من بلاد العربان قالت إنها ستقترح على رئيس الأستديو أن يوظفني ، كونسلتنت ، للفيلم ، ووافقتُ على الفور . في هذه الأثناء كان طبيبان قد تعرّف على إليزابيث تايلور في مطعم الفندق . ولا تسألني هل هي النجمة

الشهيرة لأنها النجمة الشهيرة بعينها ولحمها وشحمها . تطورت علاقتي مع ريتا إلى عشق متبادل ، أما طبيبان فظلت العلاقة بينه وبين اليزابيث عُذريه ، ولو أنه ، في مذكراته ، زعم غير ذلك . كنتُ أذهب إلى الأستديو كل يوم ، بصفتي كونسلتنت ، وأبْدي الكثير من الملاحظات . بعد انتهاء التصوير ، كنت أخلو بريتا في غرفتها ، ونتحدث . قلت لها الكثير عن الهفوف وبساتينها ومعالمها وشخصياتها حتى هامت بها إعجاباً . ذات يوم ، فاجأتني بقولها : «أودّ أن أذهب معك إلى الهفوف . الآن!» .

توفيق - ريتا هيوارث تذهب إلى الهفوف؟!

أبو شلاّخ - مشكلة ، يا أخي ابو لمياء ، مشكلة حقيقية ، كما يمكنك أن تتصوّر . وجدنا الحلّ في فيلم «علي بابا» . كان في الأستديو بساط ريح وعدة طاقيات إخفاء . قرّرنا أن نستعير بساط الريح وننطلق الى الهفوف ، وأن نستعير طاقيتي إخفاء للاستعمال عند الطوارىء . بعد أن تقرر كل شيء ، وتحددت ساعة الصفر ، طبَّ علينا المدّعو كلارك جيبل ، اللّه لا يقبله!

توفيق - الممثل المشهور؟!

أبو شلاخ - المشهور الخِبلْ! طبّ علينا ، بغتة ، وكنت مع ريتا في غرفتها في الاستديو نصنع ما نصنع ، ونتحدّثْ عن سفرتنا القادمة إلى الهفوف . سمعت طلقه نارية ، وخطر ببالي ، لأول وهله ، أن هذا المستر بانكر يطاردني من وراء القبر . أمعنت النظر فإذا بي أرى القزم المخِيْس كلارك جيبل

يصوّب مسدّسه نحو ريتا ، ويقول : «إمّا أن تقطعي علاقتك بهذا البعير الصحراوي فوراً ، وإلاّ قتلتك وقتلته» . قلت : «إقطعْ واخص! وإلاّ . .» قبل أن أكمل الجملة مرّت فوق رأسي طلقة كادت تلمس شعري . ماذا أفعل ، يا أبو لمياء؟ مجنون ويطقّ بمسدّس! قلت :«ما هذا التصرف الأرعن يا كلارك؟ أنت لست في فيلم من أفلام رعاة البقر . ألا تؤمن بحوار الحضارات؟» . قال ابن الحرام : «اؤمن بصدام الحضارات» . أعلنّا ، ريتا وأنا ، أمام كلارك جيبل قطع علاقتنا إلى الأبد . اتّضح أن الخبيث الدموي كان خطيبها . وكان مسافراً يصوّر فيلماً في المكسيك ، وأخفتْ ريتا عني الحقيقة حتى لا تفقدني . شكوت إلى طبيبان مأساتي ، وشكا لي مأساته مع إليزابيث تايلور التي كانت ترفض التفريط في عذريتها ، إلاّ في ليلة الدخلة . بينما كنا نتبادل الشكوى قرب بركة السباحة في الفندق أقبلت ريتا هيوارث تبكي وتنتحب . قالت : «أبو شلاّخ دارلنج! لا أستطيع العيش بدونك . إذا استمرت علاقتي بك سوف يقتلني كلارك ويقتلك . وإذا انقطعت علاقتي بك سوف أنتحر . لا بد أن نبحث عن مخرج» . إلّتفتُ إلى طبيبان وقلت هازئاً : «ها؟! وش عندك يا الدختور ؟!» قال طبيبان : «وِشْ تبيني أسوّي؟» . قلت : «أبغيك تسوّي نسخة من ريتا نخلّيها عِنْد هالخِبل» . قال : «أستنسخها يعني؟!» قلت : «تستنسخها!» . قال : «عزّة اللّه أنك جبتها» . وهكذا . . .

توفيق- تمكّن هذا البدوي البسيط النابغة من اكتشاف

الاستنساخ قبل أن يعرفه علماء الغرب بسنوات طويلة .

أبو شلاّخ - أحسنت ، يا أخي أبو لمياء ، أحسنت . كأنك ، واللّه ، كنت معنا . أخذ طبيبان شعرة من رأس ريتا هيوارث ، واختفى في معامل جامعة يو . سي . ال . ايه وعاد ، بعد يومين ، يتأبط فتاة شقراء ، نسخة طبق الأصل من ريتا هيوارث . تركنا النسخة المُستنسخة لكلارك جيبل ، وانطلقنا ، ريتا الحقيقية ، وأنا ، على بساط الريح حتى حططنا على طعس ما في الهفوف . في انتظارنا كان صديقي تميرين أبو الحش الذي سبق أن أخبرتك أنه كان زميلي في المدرسة .

توفيق- هذا اسمه؟! تميرين أبو الحش؟!

أبو شلاّخ - لقبه ، يا أخي أبو لمياء ، لقبه . وتميرين أبو الحش ، مثلي ، غلب عليه اللقب حتى نسي الناس اسمه الأصلي . تميرين لقب جاء من فرط حبه للتمر . أما أبو الحشّ فلقب حصل عليه بالإجماع لأنه لا يصبر لحظة واحدة عن حش الناس . والحش يعني اغتياب الناس بظُرفٍ ولؤم وحسن نيّة . في هذه الفترة ، كان تميرين أبو الحش يعمل مقاولاً رئيسياً مع «وكمارا» . ما إن رأيته حتى صرخت : «تميرين!» . فوجئت به يسأل : «نقول له مين؟!» . قلت : «غربلك اللّه! ما عرفتني؟!» . قال : «أسمعك ولا أشوفك» . تذكّرتْ أن طاقية الإخفاء كانت على رأسي ، كما أن ريتا كانت ، بدورها ، ترتدي الطاقية . نزعنا الطاقيتين ، وعانقت تميرين بحرارة . قال : «من ذي اللي معك؟» . قلت : «ريتا هيوارث» . قال : «شكلها في الأفلام

أزْين» . قلت : «خل رايك لنفسك . وابحث لي عن حلّ . وين أسكّنهـا»؟» . قـال تميـرين : «بسـيطة! عندي فـي الزراعـة ، مع مــارلـين مــونرو» . قلت مــذهولاً : «مــارلين مــونرو عندك في الزراعة؟!» . قال : «وطايحة في التمـر!» . قلت : «الحساوية ما خلّوا شي! خِذْنا إلى الزراعة» . اقترب تميرين وهمس في أذني . قـالت ريتـا :«مـاذا قـال؟» . قلت : «حشّ في مـارلين» . قـالت : «وش قـال؟» . قلت : «قـال مـاعليك من الخِـرطْي . مـارلين في الفـراش أبرد من الكانون في الشتـا» . ضـحكت ريتـا حتى كـاد يغمى عليها . انطلقنا على الحمير نحو مزرعة أبو الحش . قلت : «يا تميـرين! وشلونْ عرفت مـارلين مونرو؟» . قال : «جـات بدعوة من «وكمارا» ، تغني لرئيس الشركة بمناسبة عيد ميلاده أغنية «هابي بيـرث دي ، مــسـتـر برزدنت!» وكنت من المدعـوين» . قلت : «ونظرتْ اليك نظرة أعـقبـتهـا الف حسرة» . قـال :«حُب متـبـادل» . قلت : «كل سـاقط وله لاقط» قـال : «حـامض على بوزك!» مـررنا في هذه الأثناء ، على حمـارة حليوة تبكي بدموع غزيرة . قالت ريتا : «ما شأن هذه الحمارة؟» . قال تميرين : «هذي الريشا تحب الفلاحي . من يوم ما غاب الفلاحي وهي تبكي» . في هذه الأثناء مـررنا بمجـمـوعـة من البـسـاتين الجـمـيلة . قـال تميرين : «هذه النخيل تُسمّى «القحيبات»! «إحمرّ وجه ريتـا ، وقلتُ لتميرين : «استحْ! انت ما تتكلّم «في الاتجاه المعاكس!» . اسـتطرد تميـرين : «إلاّ أن المالك الجـديد غـيّـر الاسم . سـمّـاها «غـزالة» . مـثلك يا غـزالة» . قلت : «شِفْ يا تميـرين! جِـزْ عن

صاحبتي!» . في هذه الأثناء باغتنا صوت أجش يقول : «حيا اللّه أبو شلاّخ! الحمد لله على السلامة» . التفتنا فإذا برجل يحمل رجلاً على كتفيه . قالت ريتا : «رياضة حمل أثقال؟!» . قال تميرين : «لا . هذا العايب والضرير . الضرير يشيل العايب ، والعايب يطرّ» . قالت ريتا : «وِشْ يعني يطرّ؟!» . قلت : «يطرّ يعني يطلب معونة خارجية» . قالت ريتا : «ما عندي إلاّ دولارات» . قال تميرين : «دولارات؟ ما يقبلها العايب . ما يقبل إلاّ عملة صعبة» . في هذه اللحظة مرَّ علينا رجل يتهادى كبرياء ، ولم يتكرّم بمنحنا نظرة واحدة . قالت ريتا : «من هذا اللي نافخ عمره؟» . قال تميرين : «هذا الهزبر ، الشاعر المشهور . قيل له مرّة : «إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» . فقال : «ولكني سأحاول» . «وصلنا في هذه المرحلة إلى بستان«بوليله» . شرح تميرين لريتا سبب التسمية . كان هذا البستان ملك امرأة ثريّة جداً وتزوجت رجلاً على قدّ حاله . الظاهر أن المرأة اضطهدت الرجل بسبب ثرائها وفقره ، فقرر أن يأخذ زوجة ثانية . عرفت المرأة الثرية وعرضت على زوجها أن يؤجّل زواجه ليلة واحدة ، وسوف تعطيه ، بالمقابل ، البستان . وهذا ما كان . قالت ريتا . هذه القصّة تصلح فيلماً . ماذا حدث بعد التأجيل ؟» . قال تميرين : «الظاهر أن الزوجة الثريّة بدّعت تلك الليلة وجعلت زوجها يصرف النظر عن الزوجة الثانية» . أشارت ريتا إلى عين متدفقة وأبدت إعجابها بها . قال أبو الحش : «هذي أم الخبيصي» . وقفٌ لا يمكن شراؤه . وقد

استأجره أحد الأثرياء لمدة ٩٩٩ سنة . فقال له ظريف من أهل الديرة : «عندما تنتهي المدة لنا في العين غرض !» . «وصلنا المزرعة وكان اللقاء حاراً بين مارلين وريتا . قضيت مع ريتا في المزرعة أياماً رائعة مرّت كأنها حلم ذهبي . انتهى الحلم الذهبي بغتة عندما أخبر تميرين الملقوف ريتا عن محقب . قال : «هذا شاب وسيم ، إلاّ أنه مختل العقل . إذا قيل له «نبي نشوف بستان الصاغة» تعرّى تماماً» . قالت ريتا : «أبي أشوف بستان الصاغة!» . قلت : «عيب يا ريتا !» . قالت : «لازم أشوف بستان الصاغة قبل ما أرجع» . ذهبتْ ريتا وشافت بستان الصاغة . في الليلة التالية ، أفقتُ في السَحر فإذا بي بمفردي في العريش . خرجت أبحث عن ريتا ، فوجدتها بين النخيل في أحضان محقب . بلغ بي الغضب مداه ، فتركتها ، وامتطيت بساط الريح وعدت ، مباشرة ، إلى واشنطن . وجدت طبيبان يبكي وينوح كلّما تذكّر إليزابيث تايلور . قلت : «وراك ما أعرسْت عليها ؟» قال : «يا مهبّل ! تبي الجماعة يذبحوني ويذبحونها ، ويذبحونك معنا ؟!» . قلت : «وَلْ! ابعد عن الداب وشجرته» . قال . . .

توفيق – وماذا حدث لريتا هيوارث؟

أبو شلاّخ – بعد وصولي بأسابيع قليلة جاءت برقية من تميرين أبو الحش قال فيها : «نبشّركم أن ريتا ومحقب أكلتهما الذئاب الجائعة بعد أن ظلاّ في البر بعد قفل الدروازة . كما نفيدكم أن مارلين عادت إلى هوليود وهي حامل بعد أن زارت «عين مغطى»» .

توفيق - «عين مغطى» ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ - هذه عين في الهفوف كان يقصدها النساء الراغبات في الحمل . كانت الواحدة منهن تذهب إلى العين ، وتقول : «يا عين مُغَطّى ! إن جبت ولِيدْ وخطّى . لجيبْ لك شَيْ مغطّى» كان هذا أيام الجهل والأميّة . الآن ، هناك طفل الأنابيب الذي . . . .

توفيق - طوّره طبيبان وسبق علماء الغرب .

أبو شلاّخ - أحسنت ، يا أخي أبو لمياء ، أحسنت . عدنا إلى مواصلة الدراسة بهمة ونشاط . ذات يوم ، كنت في كافيتريا الجامعة عندما اقترب مني شاب أسمر يميل إلى القصر ، وقال : «الأستاذ أبو شلاّخ؟ أليس كذلك؟» . قلت : «كذلك !» قال : «أنا الصحفي الموهوب الناشىء الطموح الكاتب الباحث الأستاذ ولِعه أبو سيكل» . قلت : «والنعَم !» قال : «وأنا أرغب في التعاون معك» . قلت : «ليش ؟» . قال : «أنت أبو شلاّخ الديار السعودية ، وأنا أبو شلاّخ الديار المصرية ، ومن المستحسن أن نوحّد الهدف» . قلت : «أنا أفضّل توحيد الصف» . قال : «ماشي!» . أضاف : «واعلمْ أنني لا أجري مقابلات صحفية إلاّ مع رؤساء الدول» . قلت : «على قدر أهل العزم» . قال : «وعندي موهبة عجيبة نادرة» . قلت : «يرزق من يشاء بغير حساب . ما هي هذه الموهبة ؟» : قال : «بمجرّد أن أجري لقاءً صحفياً مع رئيس دولة ، يتوفّاه اللّه» . قلت : «وِجْع! لعنة الفراعنة ؟!» قال : «لعنتي الشخصية» . قلت : «وماذا تفعل

عندما يموت رئيس الدولة ؟» قال : «أنشر المقابلة . وأتبحبح» .
قلت : «أتبحبح ؟! تشلّخ يعني ؟!» . قال : «أشلّخ ، ولا أبالي» .
قلت : «وماذا تفعل في واشنطن ؟» قال : «عندي موعد لإجراء
مقابلة مع الرئيس روزفلت» . سقط قلبي بين أضلاعي ،
وقلت : «متى؟» قال : «في الشهر القادم» . خلوتُ إلى نفسي ،
وتتابعت عليّ الأفكار السوداء . ماذا لو مات روزفلت بعد
المقابلة ؟ ما مصير قضية فلسطين؟ ما العمل والنفوذ الصهيوني
يتزايد يوماً بعد يوم؟ ماذا سوف يكون موقف الرئيس الجديد؟
طلبتُ مقابلة عاجلة مع روزفلت وبمجرد أن دخلت المكتب
البيضاوي وقفت أمامه وأنشدتُ :

سلامات . . وأشواقٍ كثيرةْ
على روزفلت . . من كلّ النشامى
أصيل الجدْ . . من نسل الأصايلْ
أرستقراطي . . رأسمالي . . تماما
تراني أحبّ أمريكا . . واحبّك
غرام العشق ما فوقه غراما
من الصهيونِ إحذرْ يا عزيزي
وان كلّمك . . لا تسمعْ كلاما
ترى الفيران . . ما بالفار طاهرْ
وأخسّ الفار . . صهيون اللئاما
فلسطين ، يا بعد قلبي! ، بلادي
لنا ألفين سنة فيها . . مُقاما

لهـا مـحـمْـد بنّص الليل أسـرى
على مـحـمّـد . . صـلاة . . والسـلاما
من الأقـصـى لربّ الكون عـرج
على براقٍ . . تلاَمعَ في الظلامـا
ديار أهلي . . وأجـدادي . . وربْعي
بنينا فوقـهـا . . قُـصـور . . وخـيـاما
ويجـينا اليـوم ملعـونٍ سُـمَـرّمـد
من أوروبا . . بيلهـمـهـا لَهـامَـا
يَبـون أرض؟! . . أراضـيكم كـثـيـره
عَطوهمْ قطعـةٍ في أوكـلاهامـا
نخـيـتك! لا تْسلّطهمْ علينا
وإلاّ باشـرْ بحـربٍ . . والخـصـامـا

بعـد أن انتـهيت من إنشـاد القـصـيـدة طلب مني روزفلت الجلوس ، وأمر لي بآيسكريم . قـال : «أعـدك أنه لـن تقـوم في فلسطين دولة لليهود ما دمْت حياً» . قلت : «وبعد عمر طويل ؟!» . قال : «هذه المشكلة تشغلني» . قلت : «وتشغلني أكثر . بالمناسبة ، يا فرانكلين ، ما هو وضعك الصحي؟» قال : «كما ترى ، أنا بخير» . قلت : «هل وافقت على أن تقابل صحفياً اسمه ولعة أبو سيكل ؟» قلّب روزفلت دفتر المواعيد ، وقال : «نعم . سوف أعطيه ٥ دقائق الشهر القادم» قلت : «ألا تستطيع إلغاء الموعد ؟» قال : «صعبه شويّ . الموعد تم بوساطة من هاري

ترومـان» . قلت : «على أي حـال ، احـرصْ على صـحـتك» . عـدتُ إلى دراسـتي وكـتـبي وامـتـحـاناتي . ذات ليلة ، بعـد أسبوعين من لقائنا الأخير ، اتّصل . .

توفـيق - اتصل بك روزفلت تيلفونياً وطلب منك الحـضـور فوراً إلى البيت الأبيض واستخدام المدخل الخلفي .

أبو شلاّخ - أحسنت! الزبدة أني دخلت المكتب البيضاوي فـوجـدت روزفلت مـتـهلل الأسـارير . قلت : «عـسى الخـالة مـاتت؟!» قـال : «الخـالة سـوف تدفننا كلنا» . أمرّ لي بروت بير مُثلّج ، ثم قال : «توصّلت بعد تفكير عـميق إلى ضرورة إعداد هذه الوثيـقـة التي سـمّيـتـهـا وديعـة روزفلت» . قلت : «وديعـة روزفلت؟! لـم أفـهـم» . أخـذ روزفلت ورقـة ، وبدأ يقـرأ : «المُوجب لتـحـرير هذه الوثيـقـة أني أنا يا فـرانكلين ديلانو روزفلت رئيس الولايات المتـحدة الأمـريكيـة أطلب من جـمـيع الرؤسـاء الذين يخلفونني في المنصب أن يعرفوا أن يعقوب المفصّخ الشهير بأبو شلاّخ البرمائي قدّم خدمات إستراتيجية سياسية وعسكرية جليلة للولايات المتـحـدة كـان لهـا أثرها في انـتـصـار الحلفـاء ، وأعهد إلى كل رئيس يأتي بعدي أن يعامل أبو شلاّخ البرمائي بمنتهى التقدير والاحترام وأن يقابله في أي وقت يطلب فيه أبو شلاّخ المقابلة ، وأن يحرص على الاستفادة من آراء أبو شلاّخ ونصـائحـه في كل مـجـال ، وخـاصـة فـيـمـا يتـعلق بالسـيـاسـة الأمـريكيـة في الشـرق الأوسط .» دمـعـت عـيناي وأنا أسـمع روزفلت يتلو بصوته وديعـة روزفلت . قـال : «سوف أترك نسـخة

هنا في البيت الأبيض . ونسخة ثانية ، في وزارة الخارجية . ونسخة ثالثة ، في السي .آي .ايه» . . .

توفيق – أيام روزفلت لم تكن السي .آي .ايه موجودة .

أبو شلاّخ – حسناً ، يا أخي أبو لمياء ، حسناً! أمّ السي .آي . إيه ، الوكالة التي سبقتها ، كانت موجودة . أودعَ روزفلت نسخة من هذه الوديعة عند هذه الوكالة . صمت روزفلت ، وقال : «غداً موعدي مع أبو سيكل» . قلت : «هل تسمح لي بوداعك؟» . نظر إليّ مستغرباً ، وقال :«لم تفعل ذلك من قبل» . قلت : «من قبل لم يكن هناك سبب» . ضممت روزفلت بحرارة ، وقبلّته على وجنتيّه ، وغادرت البيت الأبيض والدموع تنهمر من عينيّ . بعد أسبوع واحد ، أيقظني سنترال البيت الأبيض من نومي قائلاً : «كلّم المستر ترومان» . قلت : «أهلاً بالسيد نائب الرئيس» . قال : «أصبحت الرئيس . مات روزفلت ، فجأة ، في منتجع الينابيع الحارّة» . قلت :«أصبح العبء كله عليك الآن» . قال : «هذه مشكلتي يا مستر أبو شلاّخ . بمجرّد أن علمت بوديعة روزفلت اتصلتُ بك . أنا في حاجة ماسّة إلى مساعدتك هل تستطيع الحضور الآن؟ .» وجدت هاري ترومان ، يا أخي أبو لمياء ، في حالة يُرثى لها . كان مضطرباً مذهولاً يردد باستمرار : «سقطت الكواكب والنجوم كلّها فوق رأسي» . قلت : «اتركْ عنك الكواكب والنجوم ، يا ابن الحلال ، وخلّكْ على الأرض» . قال : «ماذا أفعل؟ لم يدرّبني روزفلت على عمل أي شيء . ماذا أفعل؟» .

بقيت ، يا أخي أبو لمياء ، ٣ شهور متواصلة أدبّر ترومان ، وأشير عليه ، وأنصحه حتّى بدأ يكتسب الثقه في نفسه ويتصرّف على نحو رئاسي . استأذنته في العودة إلى الدراسة فأذن لي . وجدتُ في انتظاري مجلة «آخر دقيقه» ، وعلى غلافها صورة روزفلت وهو يتحدّث مع أبو سيكل . تحت الصورة كان هناك سطر بالبنط العريض : آخر لقاء صحفي يجريه روزفلت . أبو سيكل يكشف أخطر أسرار الحرب العالمية الثانية . فتحت المجلة ، وبدأت أقرأ العناوين الرئيسية : * روزفلت يتحدّث عن علاقته الغراميه بسكرتيرته * روزفلت يقول إن تشرشل حاول تسميمه . * روزفلت يعترف أن الهجوم الياباني على بيرل هاربور تم بناء على تدبير مسبق بينه وبين القيادة اليابانية * روزفلت يروي كيف صفَع ستالين * قصة العلاقة العائلية بين روزفلت وهتلر . بدأت أقرأ وأضحك . أخذت المقابلة أكثر من ٢٠ صفحة ، واحتوت على غرائب وعجائب لا يمكن أن تخطر ببال . قلت لطبيبان : «لله در أبو سيكل! استطاع أن يخرج بهذا كلّه في ٥ دقائق!» . قال طبيبان : «يا خوفي أن ترومان رتّب الموعد لأبو سيكل عشان يموّت روزفلت ويصير هو الرئيس» . وهكذا ، يا أخي أبو لمياء ، ترى كيف اكتشف . . .

توفيق - هذا البدوي البسيط النابغة نظرية المؤامرة قبل أن يكتشفها عباقرة المحللين السياسيين في الشرق والغرب .

أبو شلاّخ - أحسنت! في الواقع ، يا أخي أبو لمياء ، أني توقعت خيراً من ترومان في البداية . كان حريصاً على

الاستماع والتعلّم . ما حدث ، فيما بعد ، بيني وبينه كان مفاجأة غير سارة .

توفيق – ماذا حدث؟

أبو شلاّخ – من الأفضل أن أروي لك القصّة بالتسلسل . بعد أن غادرت البيت الأبيض ببضعة شهور طلب منّي هاري ترومان أن أحضر لمقابلته . دخلت عليه المكتب البيضاوي ، فاستقبلني بحرارة وأمر لي بقهوة مع دوْنت . قال : «أريد منك خدمة ، يا أبو شلاّخ . تذكّر وديعة روزفلت» . قلت : «لن أنسى وديعة روزفلت . أنا في الخدمة» . قال : «أريد منك أن تساعدنا في العثور على هيروشيما وناجازاكي» . قلت : «وِشْ هيروشيما ووِشْ ناجازاكي؟» . قال : «مدينتان في اليابان نحاول العثور عليهما دون جدوى» . قلت : «ماذا تقصد؟» . قال : «أشكال اليابانيين متشابهة كما تعرف . . . «قاطعتة «عيب يا هاري! هذا تعليق عنصري» . قال : «أنا أكبر عنصري . أشكال اليابانيين متشابهة ، ومدنهم متشابهة . تعذّر علينا العثور على هيروشيما وناجازاكي» . قلت : «صويحبي دليلان يستطيع العثور عليهما في غمضة عين» . قال : «هل من الممكن أن تطلب منه مساعدتنا؟» . قلت : «بكل سرور . ولكن اسمح لي أن أسألك لماذا تريدون أن تستدلوا على هاتين المدينتين» . أطرق ترومان مفكراً ، وقال : «المعذرة يا أبو شلاّخ . لا أستطيع إفشاء الأسرار العسكرية» . قلت : «أسرار عسكرية عليّ أنا؟! تذكّر وديعة روزفلت» . أطرق مفكراً ، ثم قال : «قررت أن ألقي

قنبلتين ذريتين على المدينتين» . وقع الخبر عليّ وقوع الصاعقة ، وقلت : «إســمع يا هاري! عندمــا سلّمت روزفلت المخططات الذرية الألمانيـة اشـترطت عليـه ألاّ يسـتخـدم السـلاح الذرّي ، ووافق» . قـال ترومـان : «هل تذكـر مـا قـالـه بالضـبط؟» . قلت : «قال إن السلاح الذرّي لن يستخدم مادام هو موجوداً» . ابتسم ترومان ، وقال : «ولكنه مسّ . طبّ وانقلع . غراميات في عُمْره! يستاهل!» . قلت : «لا تتكلّم عن زعيم تاريخي بهذه الطريقة» . قـال ترومـان : «سَلَفي وأنا حرّ فيـه» . قلت : «حسناً! فلنتفـاهم منطقياً . الحرب في أوّربا انتهت باستسلام الجرمنْ . والحرب في الشرق الأقصى توشك على الانتهاء . كلها أسابيع قليلة . لماذا القنابل الذريّة؟» . أطرق ترومان مفكراً ، وقال : «العرّافة» . قلت : «أي عرّافة؟» . قال : «عرّافة سان فرانسيسكو الشهيرة . أخبـرتني أن الحرب لن تنتهي إلاّ بإلقاء قنبلة على كل من هيروشيما وناجازاكي» . قلت : «زعيم العالم الحرّ يؤمن بكلام عرّافـة! لم يبق إلاّ أن تصـدّق في عين مُـغطّى» . قـال : «عين مـغطى؟! هل هذه مـدينة يابانيـة؟» . قلت : «اسـمع يا هاري! هناك أسباب علمية لا تسمح لك بإستخدام السلاح الذرّي» . قال : «وما هي؟» . قلت : «السـلاح الذرّي قيمته الوحيدة هي الردع . إذا مـا استُخدم تحوّل سـلاحـاً كـأي سـلاح آخـر . في المستقبل ، قد تصبح كل الحروب ذريّة» . قال : «ولكنّا نحتكر سرّ الذرّة» . قلت : «سرّ الذرّة أنا الذي سرقتـه من تحت مخدّة هتلر . بُكره الاتحاد السوفييتي . . .» قال : «يخسون ويعقبون! ما

يقـدرون!» . قلت : «يا هاري! خـلال سنوات سـوف يكـون سـرّ الذرّة في متناول الجميع» . قـال : «العرّافة سرها باتع . لا يمكن أن أخـالف أوامرها» . قلت : «مـا رأيك في حل وسط؟» . قـال : «مـاذا؟» . قلت : «اليابان مليئة بالجزر . إختر جزيرة خالية من السكان واقذف عليها قنبلتك . سوف يرى اليابانيون بأنفسهم مدى الدمار دون خسائر في الأرواح» . قال ترومان : «لحظة من فضلك!» . طلب من السنترال أن يوصله بالعرّافة ، وتحدّث معها بضع دقائق ، ثم نظر إليّ وقال : «العرّافة مصرّة على هيروشيما وناجازاكي» . قلت : «يا رجّال! هذا عصر العلم . اترك عنك كلام العرّافات» . قـال : «يا أبو شلاّخ! هتلر كـان عنده منجّم . وموسوليني كـان عنده منجّم . وأنا جِيْزي جيزهمْ» . قلتُ : «وماذا كانت نهاية هتلر وموسوليني؟» . قال : «هل ستساعدنا أم لا؟» . قلت : «لا» . تركت البيت البيض وأنا في أقصى حالات الغضب . بعد اللقاء بأيام قليلة نقلت وكالات الأنباء أخبار القنبلتين الذّريتين . بعد منتصف الليل ، رنّ التليفون ، وقال سنترال البيت الأبيض : «السيد الرئيس معك» . قلت : «أفَا يا هاري! سويتها!» قال : «لقينا يهودي بعيْن واحدة دلّنا على المدينتين ، ولا منتكّم !» . قلت : «إذا كان الغراب» . قال : «جُوْد نايت!» قلت لطبيبان إن الحياة في أمريكا بَعد روزفلت لن تطيب لنا . ووافقني طبيبان على أن الوقت قد حان لإنهاء دراستنا والعودة إلى الوطن . وصلنا الليل بالنهار عملاً ، وأثمر الجهد ثمرته ، وقُدّمت لنا شهادة الدكتوراه في حفل مهيب .

حقيقة الأمر ، أن هاري ترومان سلّمني الشهادة بنفسه وهنّأني إلاّ أنني رددّت عليه بفتور واضح . كنّا نعدّ العدّة للسفر عندما نقلتْ وكالات الأنباء خبر اعترافْ ترومان بإسرائيل بعد دقائق من إعلان قيامها . ما إن سمعت الخبر حتى انطلقت ، كالمجنون ، إلى البيت الأبيض . كان الوقت ليلاً ، واستقبلني الحارس الليلي وقال : «كلمة السّر!» . قلت : قلْ لعمك أبو شلاّخ يبي يشوفك» . عاد الحارس ، وأوصلني إلى المكتب البيضاوي . وجدت هاري ترومان مُكبّاً على الأوراق . قلت : «أفَا يا هَاري! هذه عملة تعملها؟! تعترف بإسرائيل؟!» . قال : «لا يوجد في نيويورك ناخب عربي واحد» . قلت : «أفَا! تعرّض مصالح أمريكا الاستراتيجية للخطر من أجل اعتبارات انتخابية؟» . قال : «خطر؟! أيّ خطر؟! مصالحنا في أمان . أنتم العربان مثل الكلاب اللي تنبح ولا تعضّ» . ما إن سمعت هذه الجملة البذيئة حتى هببت واقفاً ، وصرَختْ :

يا حِيفْ يا ذا الزَمَن .. يا حِيفْ
تِحلّ الخرب وكرْ الطيّرْ؟!
بعد روزفلت يجي ترومانْ؟!
وذاك حصان .. وهذا عيرْ
يا هَالصهيوني .. يا المِخنْز
ثوْيرٍ .. وابن ألفِ ثُويرْ
دعيت ربّي عليك دعْوه
عسى أنك ما تشوف الخيرْ

قال : «اعتبر وديعة روزفلت ملغاة» . قلت : «ملغاة ونص!» قـال : «جِتْ آوت اوف هيْـر» . قلت : «جُـودْ باي!» . حـزمنا ، طبيبـان وأنا ، أمتعتنا وعدنا إلى الوطن ، وفي ذهني ألف فكرة تجارية رائعة .

الفصل الرابع

امبراطورية « أم سبعة » التجارية

هو النفيـــــس الـذي مـواهبـــــه
أنفـــــــــسُ أمــــوالِه . . وأسناها

المتنبي

توفيق - ماذا حدث بعد العودة إلى الوطن ؟

أبو شلاّخ - حدث أنني قرّرت أن أستخدم المعرفة الهائلة التي حصلتُ عليها في مجال إدارة الأعمال . اتفقنا ، طبيبان وأنا ، على تكوين شركة تضامنية تتكوّن من المحاربين القدامى الذين مدّوا خط «التابلاين» بسواعدهم ، وغسلوا الرمال القاحلة بدموعهم ودمائهم . في هذه الأثناء ، كان الرفاق قد ارتقوا بعض درجات السلم الإداري في «وكمارا» . أصبح دليلان رئيس قسم المساحة ، وثويران مدير قسم المعدّات الثقيلة ، وطريبان مديراً مساعداً للعلاقات العامة ، ونحيتان رئيس قسم الاستكشاف عن بعد ، وضحيكان مسؤولاً عن الترفيه البريء ، وركيضان مسؤولاً عن النشاط الرياضي . دعوتُ إلى اجتماع ، ورحّب الزملاء بالفكرة ، وظهرت إلى الوجود شركة «أم سبعة» ، التي سُمّيت بهذا الاسم تيمّناً بعين الهفوف الشهيرة . تكوّن مجلس الإدارة من الشركاء الثمانية ، وكنت أنا الرئيس التنفيذي ، وعيّنا برشوتم كبيراً للخبراء . كان شعاري في كل خطوة أخطوها عبارة الفلاحي : «غِنى الأغنياء سببه غباء الفقراء» . بدأت الشركة نشاطاتها بمشروع صحّي

جبّار هو «العيادات الطبية التخصّصية الشعبية» . القسم الأول من المشروع هو «متفلة الشفاء العاجل» . . . .

توفيق – متفلة ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ – من تَفلَ ، يتفُل ، أي بصق يبصق . العامّة يا أخي أبو لمياء ، في كل مكان ، يعتقدون أنه إذا تفلَ رجل صالح في الماء وشرب منه مريض فإن المريض يُشفى . والعامّة ، في كل مكان ، يشربون ، باستمرار ، مياهاً متفولاً فيها . الذي فعلته الشركة أنها طوّرت الفكرة ، وجعلت الماء صحّياً تماماً . يقف رجل أشيب وقور يحمل سيماء الصلاح وسمة الزُهاد أمام خزان مياه كبير ويتظاهر بالبصق فيه . لاحظ أني قلت يتظاهر ولكن الجموع المحتشدة لا تعرف أنه يتظاهر . الخزان مليء بالماء النقيّ الصحيّ ، ومن الخزان تنتقل المياه إلى مصنع تعبئة ، حيث تُعبّأ في زجاجات بلاستيكية مُعقّمة . تباع الزجاجة ، سعة نصف لتر ، بـ ١٠٠ ريال .

توفيق – ١٠٠ ريال لزجاجة ماء واحدة؟!

أبو شلاّخ – نعم ، يا أبو لمياء ، نعم . كانت الجموع تؤمن أن هذا الماء يشفي من الأمراض وتقبل عليه وتدفع الثمن بكل سرور . سرعان ما أصبحت «متفلة الشفاء العاجل» تدرّ يومياً مليون ريال . . .

توفيق – مليون ريال في اليوم ؟!

أبو شلاّخ – نعم . ولا تنسْ أننا جنّبنا الزبائن خطر العدوى التي تنتقل مع البصاق التقليدي ، فوق الفائدة العظيمة . .

توفيق – لا تقل لي إن أحداً استفاد من هذا الماء .

أبو شلاّخ – استفاد الكثيرون ، يا أخي أبو لمياء . العملية هي علاج نفسي من أولّها إلى آخرها . حتّى في الطب الحقيقي يستخدم الأطباء أقراصاً من السّكر يوهمون المريض أنها أقراص مُنوّمة فينام على الفور . الإيحاء ظاهرة علمية معروفة . حقيقة الأمر ، إن سُمعة «متفلة الشفاء العاجل» تجاوزت حدود الوطن ، وتوافد علينا المرضى من جميع أنحاء العالم . لا تتصور الزحام . آلاف البشر ينتظرون دورهم لشراء زجاجات الماء . أمّا القسم الثاني من مشروع العيادات فهو «مخنقة الجنّ العظمى» حيث يتم . .

توفيق – مخنقة ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ – من خنق ، يخنق . والمخنقة هي المكان الذي يمارس فيه طبيبان خنق الجنّ .

توفيق – كيف يمكن خنق الجن؟!

أبو شلاّخ – لا أدري . كان طبيبان ، في الواقع ، يخنق المريض . يضغط على عرق في الرقبة يوصل الدماء إلى المخ فيسقط المريض مغشياً عليه . يعتقد الجمهور أن الجنّي هو سبب الإغماء . يبدأ طبيبان في وعظ الجني ونهره ، ثم يأمره بالخروج من جسم المريض الذي سرعان ما يصحو معافى . الإيحاء . العلاج النفسي . الظاهرة نفسها . عندما يتوهّم إنسان أن جسده مسكون بجنّي فلا يمكن أن يشعر براحة إلاّ إذا اعتقد أن الجنيّ خرج من جسده . كنا نتقاضى ١٠٠٠ ريال فقط عن كل عملية خنق .

توفيق - ١٠٠٠ ريال فقط؟!

أبو شـلاّخ - هذه التـعـرفـة أرخص ، بكـثـيـر ، من تعـرفـة المشعوذين . ونحن لم نكن نشعوذ . كنا نمارس الطب النفسي . كنّا نخلّص أصحـاب الأوهام من أوهامـهم الخطيـرة . هذا ، يا أخي أبو لميـاء ، يُسـمّى ، علميـاً ، توطين التـقنيـة . طوّرنا علم النفس الحديث بما يتمشّى مع أفكار العامة . لا تتصوّر السعادة التي أدخلناها على مئات الآلاف .

توفيق - مئات الآلاف ؟!

أبو شـلاّخ- وربّمـا أكـثـر . كـان عـدد زبائن «مـخنقـة الجن العظمى» ، يتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ مُراجع يومياً .

توفيق - وكان الدخل بين مليون ومليوني ريال يومياً ؟!

أبو شـلاّخ - نعم! نعم! وكـان القـسـم الثـالـث من المشـروع هو «العين المعدنية الفوسفورية» . وهذا القسم عبارة عن بركة هائلة من الماء المُطعّم بمختلف الأملاح والمعادن ، خاصة الفوسفور . من هذه البـركـة تنتـقل الميـاه السـاخنة في أنابيب إلى غـرف العـلاج . في كل غرفـة هناك بانيـو يقضي فيـه المراجع نصف ساعـة حتى يتشبّع جسـمـه بالأملاح والمعـادن . كنا نتـقاضى مقابل الجلسة . .

توفيق - ١٠٠٠ ريال؟!

أبو شـلاّخ - مـالك لوا . ٥٠٠ ريال فـقط . وكـان دخل هذا القسـم متـواضـعـاً ، نسـبيـاً ، لا يتـجـاوز نصف مليـون ريال في الـيوم .

توفيق – أفهمْ من هذا أن دخلكم الشهري . .

أبو شلاّخ – افهم من هذا أن ربحنا الشهري الصافي كان يتراوح بين ٧٠ و٨٠ مليون ريال . استمرّت العيادات الطبية التخصصيّة الشعبية تمارس عملها النبيل في تحسين صحة المواطنين والمواطنات والمقيمين والمقيمات . ثم حدث الحادث المشؤوم .

توفيق – ماذا حدث ؟

أبو شلاّخ – بنت الحرام ، كهرمان .

توفيق – من هي كهرمان؟

أبو شلاّخ – هل نسيت؟ كهرمان ، يا أخي أبو لمياء ، هي بنت ملك ملوك الجنّ البرّية التي التقيت بها في جبل القارة ثم . . .

توفيق – آه! تذكرت الآن . ماذا عنها ؟

أبو شلاّخ – ذات صباح ضبابي ، بينما كنت في مكتبي في الدور الأعلى من «العيادات الطبية التخصصية الشعبية» ، فوجئت بطبيبان يدخل عليّ ، وهو يرتجف كأنه ريشة في مهب الريح . قلت : «خير يا طبيبان؟ وراك تتنافض ووجهك أصفر كأنه كركم؟» . قال : «إلحق يا أبو شلاّخ! جنيّة! جنيّة صج!» . قلت :«طبيبان! وِشْ بلاك؟ جِنيّة؟ إحنا دافنينه سُوا» . قال : «يا ابن الحلال! أقول لك جنيّة!» قلت : «ماذا حدث؟» . قال : «كنت مع مريض مراهق ، وعندما خنقته كالمعتاد فوجئت بجنيّة تحدّثني بالفعل» . قلت : «هذا جزء من الهستيريا التي

أصيب بها هذا المراهق» . قال طبيبان : «لا حول ولا قوة إلا باللّه! أقول تيس يقول احلبوه! تعالْ وشِفْ بنفسك» . ذهبت إلى «مخنقة الجن العظمى» . وجدت مراهقاً وسيماً ، والزبد يسيل من فمه ، وجسمه يرتعد كما لو كان فوق كرسي كهربائي . ما إن دخلت حتى سمعت صرخة جمّدت الدماء في عروقي : «هُو انت مرّة أخرى يا أخسّ الإنس . يا مغرق البسّ . يا من لا تساوي بيزة ولا بنس» . تمالكت نفسي وقلت : «كهرمان؟! واللّه زمان! وشلونك؟! وشْ أخبار الجان؟» . قالت : «لماذا تريدون إخراجي من هذ الغلام . وأنا أهيم به أقصى درجات الهيام؟» قلت : «قبحّك الله أيتها المتصابية العجوز . لماذا تركتِ توم كروز؟» . قالت : «سرقته مني بنت عمي أصداف . وفضّل الذيل على الأظلاف» . قلت : «اسمعي يا كهرمان! دخول الجان في الإنسان . جريمة بأمرها لا يستهان . ما ذنب هذا الفتى المسكين . يتعذّب وانتِ تستانسين؟» . قالت : «هذا حبيبي . وقسمتي ونصيبي» . قلتُ : «إذا لم تخرجي بسلام . سوف يكون لنا معك كلام» . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، أنه لم يكُن لديّ أيّ فكرة عن كيفية إخراجها من الأراضي الإنسية المحتلة ولكنني قرّرت أن أبلف . قالت : «وإذا رفضت الخروج؟» . قلت : «أشويك شويّ الفروج» . قالت : «أعذر من أنذر . وحذّر من حذّر . إذا خرجت من هذا الغلام . سوف أتحوّل إلى أميرة الانتقام» . قلت : «طُسّي الآن! وماشاء اللّه كان» . طسّت كهرمان وأفاق الفتى سعيداً مُعافى . جئنا

في صباح اليوم التالي فوجدنا «العيادات الطبية التخصصية الشعبية» محروقة برمّتها . كل شيء كان محروقاً . حتى بركة المياه احترقت . فكرّنا ، في البداية ، أن نعيد بناء العيادات إلاّ أننا خِفنا أن تعيد بنت الحرام الكرّة . هنا تحوّلت ، باهتماماتي ، من معالجة الناس إلى معالجة الأراضي .

توفيق – معالجة الأراضي؟! لم أفهم .

ابو شلاّخ – إنعاش الأراضي البور وإحياؤها . أنشأنا قسماً في الشركة يعتمد على مواهب دليلان وثويران . كان دليلان يقودنا إلى الأراضي التي لا يملكها أحد ، في منتصف الصحراء غالباً . بمجرّد تحديد الأرض ، كنت أعود في المساء مع ثويران الذي يبدأ زرع البطيخ .

توفيق – زرع البطيخ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ – دفن البطيخ ، يا أخي أبو لمياء ، إذا أردنا الدقة . كان ثويران يدفن ٥٠٠٠ بطيخة في الليلة ، حتى إذا جاء الصباح بدتْ الأرض وكأنها مزرعة بطيخ حقيقية . كنّا نذهب إلى أقرب محكمة ونحصل على صك ملكية مقابل إحياء الأرض .

توفيق – إحياء الأرض بالبطيخ؟!

أبو شلاّخ – البطيخ ، يا أبو لمياء ، مجرّد مثل . أحياناً ، كان ثويران يزرع النخيل . وأحياناً ، كان يزرع البرسيم . وأحياناً ، كان يزرع السدر . المهم أن الأرض كانت تظهر ، للمراقب الموضوعي ، بمظهر المزرعة الحقيقية ، بشرط ألاّ يزوّدها المراقب

الموضوعي في البحث والتنقيب . في فترة وجيزة ، تمكنت شركة «أم سبعة» من تملك أراضٍ تبلغ مساحتها بليون متر مُربّع .

توفيق - تقصد مليون؟!

أبو شلاّخ - بليون . مليار .

توفيق - أليست هذه عملية غير أخلاقية وتنطوي على غش وخداع؟

أبو شلاّخ - إسمع السالفة بأكملها ، يا أخي أبو لمياء ، ثمّ احكم . بعد أن أخذنا صكوكاً بملكيّة هذه الأراضي ، بدأت أقابل الوزراء المختصّين وآخذ معي برشوتم . بعد التحية والسلام ، يشرع برشوتم في تنويم الوزير مغناطيسياً ويقنعه بوضع مشروع كبير في أرض من أراضي الشركة . وهذا ما كان . قطعة من أراضينا أصبحت بحيرة صناعية جميلة ، رئة للمدينة . وقطعة أخرى أصبحت حديقة حيوان كبيرة ، متعة للصغار . وقطعة ثالثة أصبحت . . .

توفيق - ولكن أليس في العملية . . .

ابو شلاّخ - لا! ليس في العملية إلاّ خدمة المصلحة العامة . كانت الأراضي قِفاراً جرداء ميّتة فأصبحت مواقع لمشاريع عظيمة نافعة . من الذي تضرّر؟ فكّر جيداً ، يا أخي أبو لمياء ، وقل لي منْ الذي تضرّر . نحن لم نتضرّر ، وحصلنا على سعر معقول مقابل الأراضي التي أحييناها . والحكومة لم تتضرّر لأنها كانت بحاجة إلى الأراضي لإقامة المشاريع . والمواطنون لم يتضرّروا بل استفادوا من المشاريع . وليس في

العملية أيّ فساد . الوزير المختصّ لم يستلم رشوة . منْ الذي تضرّر؟

توفيق - كم كان ربحكم من هذه العملية؟

ابو شلاّخ - حوالي ٥ بلايين ريال . كنّا قنوعين جداً نبيع المتر من الأراضي بثمن بخس زهيد . بعد ذلك ، وجهّت اهتمامي إلى استثمار مواهب نحيتان تجارياً . أعلنا في «الانترنت» عن استعدادنا لتأجير عين نحيتان لمن يدفع الثمن . انهالتْ علينا العروض من أندية كرة القدم . تستطيع ، يا أخي أبو لمياء ، أن تقول إن كل الانهزامات الكروية الكبرى التي حدثت في تلك الفترة كانت من صنع عين نحيتان . كان نحيتان يقف بجانب المرمى ، وما إن تقبل الكرة حتى يصرخ : «هبْ يا الحارس!» . يسقط الحارس مغشيّاً عليه ، وتدخل الكرة الهدف . كنا نتقاضى نصف مليون ريال في مباريات الدوري ، ومليون ريال في مباريات الكأس .

توفيق - مليون ريال مقابل مباراة واحدة ؟!

أبو شلاّخ - نعم ، يا أخي أبو لمياء ، نعم . ولماذا تستغرب؟ بلايين الناس تعشق كرة القدم عشقاً . بلايين! والهزيمة أو النصر في مباراة هامّة تعني لكثيرين الكثير ، مادّياً ومعنوياً . ألا تسمع عن عشرات الملايين من الدولارات التي تدفع هذه الأيام مقابل استئجار لاعب واحد؟ في كل مكان من العالم كرة القدم منجم من ذهب ، وما حصلنا عليه كان شيئاً بسيطاً لا يكاد يذكر .

توفيق - كم تقريباً ؟

أبو شلاّخ - بين ٢٠٠ و ٢٥٠ مليون ريال . بعد ذلك نقلنا نشاطنا خارج الحدود . بدأت أندية الكرة العالمية تستأجر عين نحيتان . كان كأس العالم في كرة القدم موسماً عظيماً نخرج منه بما لا يقل عن ٣٠ مليون دولار . ودورات الألعاب الأوليمبية كانت ، بدورها ، مواسم هامة . تدريجياً انتشر صيت نحيتان فبدأ أبطال الملاكمة يستأجرون خدماته . كذلك بدأ أبطال التنس يتوافدون علينا . كنت معجباً جداً بستيفي جراف ، ولا أزال ، وقدّمت لها الخدمة بلا مقابل . المأساة ، يا أخي أبو لمياء ، أننا عرضنا خدماتنا على الجيوش العربيّة مجاناً .عرضنا عليها أن نسقط أي طائرة تدخل المجال الجوّي العربي . إلا أن قادة الجيوش العربيّة أخبرونا أنهم لا يؤمنون بالعين . وأضافوا أن استراتيجيتهم مبنيّة على الاستفادة من العلم الحديث والدنبوشي .

توفيق - الدنبوشي؟! ما هو الدنبوشي؟!

أبو شلاّخ - السحر ، يا أبو لمياء ، السحر الأفريقي . ورأينا جميعاً كيف كانت النتيجة . ذات يوم ، وكنتُ في مكتبي بالدور السابع من مبنى الشركة ، أفكّر في مشاريع جديدة ، فوجئت بموظف السنترال يقول : «البيت الأبيض معك» . رفعت سمّاعة التيلفون فجاءني صوت الرئيس آيزنهاور : «أبو شلاّخ! لونج تايم نُو سي!» . قلت : «السيد الرئيس؟! مفاجأة سارة» . قال : «سمّني آيك» . قلت : «آيك! ما هذه المفاجأة

السارة؟» . قال آيزنهاور : «الحقيقة أني مقصر معك . منذ أن تولّيت الرئاسة وأنا أفكّر في الاتصال بك . إلا أن السياسة شغلتني ، ومرت الأيام والشهور . هذا الصباح عثرتُ ، بالمصادفة ، على وديعة روزفلت في درج من أدراج مكتبي ، وقررت الاتصال بك فوراً . أنا مشتاق إليك ، يا رَجل . سوف أرسل طائرة تحضرك فوراً» . أرسل آيزنهاور طائرته الخاصة التي أخذتني إلى مطار واشنطن ، وفي المطار كانت هناك طائرة هيلوكبتر أخذتني إلى منتجع «كامب ديفيد» . وجدت آيك في انتظاري على ملعب الجولف . بعد السلام والكلام لعبنا جولة من ١٨ ثقباً . كنت ، يا أخي أبو لمياء ، أجيد الجولف ، وكانت مهارتي تفوق مهارة الرئيس ولكني تظاهرت بالهزيمة . سُرّ آيك سروراً عظيماً بانتصاره ، وأخذني إلى الكوخ الرئاسي وأمر لي بجيزبيرجر وبيكان باي . بعد العشاء ، نظر إليّ آيزنهاور وابتسم وقال : «واللّه زمان! تذكر يومْ ترنّون مونتجمري؟!» . قلت : «ماذا كان من أمر المجنّدة البريطانية؟» . قال : «اتّضح أنها كانت جاسوسة مرسلها تشرشل» . قلت : «عند لحيته!» . قال آيزنهاور : «ابو شلاّخ! أرجو أن تعرف أني ملتزم بوديعة روزفلت» . قلت : «أخبرني سلفك الحمار اللئيم أنه يعتبرها ملغاة» . قال : «وأنا أعتبر إلغاءه مُلغى . وديعة روزفلت وثيقة دستورية لا يستطيع أي رئيس أمريكي أن يلغيها» . قلت : «هذا من طيب ذاتك» . قال آيزنهاور : «أودّ أن استشيرك في أمور الشرق الأوسط . أريد أن أتوصّل إلى حل عادل للقضية . بعدي

لن يكون هناك رئيس أمريكي بمنأى عن الابتزاز الصهيوني» .
قلت : «اسمع يا آيك! أنا كنت خايف على فلسطين ، والحين صِرتْ خايف على البلاد العربية كلّها . أنا مقتنع أن إسرائيل تنوي الغزو والتوسّع في كلّ اتجاه» . قال آيزنهاور : «أنا متفق معك» . قلت : «ما رأيك ، إذن ، أن تضمن بقاء اسرائيل في مكانها الحالي دون توسّع قبل الحديث عن حل عادل؟» . قال : «ماذا تقصد؟» . قلت : «أقصد أن تضمن أمريكا كلّ الحدود القائمة حالياً بين العرب وأسرائيل» . قال آيزنهاور : «فكرة ممتازة . ويمكنني إقناع بريطانيا وفرنسا بالإنضمام إلى التعهد . وفي وقت لاحق ، يمكن إقناع الاتحاد السوفييتي» . قلت : «إذن ، توكلّ على اللّه» . قال : «هناك مشكلة» . قلت : «ما هي؟» قال : «لا بد من الحصول على موافقة الدول العربية» . قلت : «ليش؟» . قال : «إذا لم نحصل على موافقة مسبقة ، فسوف يصرخ العرب : «مؤامرة امبريالية من تدبير دلس»» . قلت : «دعهمْ يصرخون» . قال : «لا أستطيع حماية حدود رغماً عن أصحابها» . قلت : «وماذا تريدني أن أفعل؟» قال : «استخدمْ اتصالاتك . حاول إقناع جماعتك» . قلت : «سأبذل جهدي» . وضع آيزنهاور طائرته الخاصة تحت تصرفي وانطلقت بها إلى القاهرة . ذهبت ، مباشرة ، إلى صديقي القديم الأستاذ ولعة أبو سيكل وعرضتُ عليه الفكرة . قال : «الريّس لن يوافق» . قلت : «ليش؟» قال : «لأني غير موافق . وأيّ شيء لا أوافق أنا عليه لا يوافق الريّس عليه» . قلت : «سبحان اللّه!» .

قال : «الحمد للّه!» . قلت : «وماذا عن بقية الدول العربية؟» . قال أبو سيكل : «لديّ علاقات شخصيّة مع كل الزعماء العرب . والحقيقة أن ٣ منهم ماتوا على إثر مقابلات صحفية معي» . قلت : «يا أستاذ أبو سيكل! هذه طائرة آيزنهاور الخاصة تحت تصرّفنا . نذهب أنا وأنت في جولة ونشرح الفكرة للدول العربية» . قال : «لا! لا! لا!» قلت : «ما هذه اللآات الخرطومية الثلاثة؟!» . قال : «أذهبُ وحدي» . قلت : «ولماذا لا تريد أن أخاويك ، أونّسك وتونّسني ، وأشلّخ عليك وتشلّخ عليّ؟» . قال ابو سيكل : «أظن أنك بطيء الفهم . هل من المعقول أن أشرك غيري في خبطاتي الصحفية؟ ألا تعرف أني الصحفي الأوحد في المنطقة؟ هل رأيت صحفياً أوحد يؤمن بالتعدديّة؟» . قلت : «ولكن هذه مهمة سياسية لا علاقة لها بالصحافة» . قال أبو سيكل : «انت عبيط ولاّ شكلك كدة؟! لولا علاقتي بالريّس لم يقرأ لي أحد» . قلت : «إذهب بمفردك ، وسوف أنتظرك هنا» . أخذ أبو سيكل طائرة آيزنهاور الخاصة ، وقام بجولة في العالم العربي كتب عنها ، فيما بعد ، ٥ كتب ليس فيها كلمة واحدة صحيحة . بقيتُ في القاهرة أنتظر عودته . ذات يوم ، كنت في «المينا هاوس» ألعب الشطرنج مع سومرست موم . . .

توفيق – الروائي العالمي؟!

أبو شلاّخ – بعينه! كنت ألعب معه الشطرنج ، وإذا بكوكب الشرق الآنسة أم كلثوم . . .

توفيق – تقصد السيّدة أم كلثوم؟

أبو شلاّخ - أيامها ، يا أخي أبو لمياء ، كانت آنسة . إذا بأم كلثوم تقترب منّي ، وتقول : «الأستاذ أبو شلاّخ؟! الشاعر المشهور؟!» . قلت لسومرست موم : «عن إذنك ، لحظة ، يا سومر!» . التفتُ إلى أم كلثوم ، وقلت : «نعم يا كوكب!» . قالت : «أغلى أمنية عندي هي أن أغنّي أغنية من نظمك . ماذا تقول؟» . أطرقت واجماً أفكّر ، ثم قلت : «تعدينني أنك لا تغضبين؟» . قالت : «أعدك» . قلت : «يا آنسة! أنتِ بلا شك بنت موهوبة وصوتك جميل ، وأمامك مستقبل لا بأس به ، ولكنك لا تزالين مطربة ناشئة . صحيح أنك كوكب الشرق ولكنك لا زلت في أول الطريق . أنا لا أستطيع أن أنظم لمغنيّة أعتبرها في حكم الهاويات» . سالت دموع أم كلثوم ، وغادرت الفندق وهي تغنّي : «يا ظالمني!» . في اليوم التالي ، كنت ألعب الطاولة مع أجاثا كريستي ، وقبل أن تسألني أقول إنها هي بذاتها . كانت ، أيامها ، تكتب رواية «جريمة على النيل» التي أصبحت ، في وقت لاحق ، فيلماً سينمائياً . فوجئتُ برجل نحيل يرتدي طربوشاً ونظارات طبيّة سميكة يقترب مني ويمد يده قائلاً : «محسوبك الأستاذ محمد عبد الوهاب ، مطرب الملوك والأمراء ، وموسيقار الأجيال» . قلت : «عن إذنك ، لحظة ، يا أجاثا!» التفتُ إلى الرجل النحيل ، وقلت : «وانت بعد تِبي قصيدة؟! ذبحتونا يا هالهواة! رِحْ ، يا وليدي ، رِحْ قصايدي مو من مواخيذك» . قال موسيقار الأجيال : «ما فهمتش حاجة!» . قلت : «أحسن!» . انصرف مطرب الملوك

والأمـــراء وهو يغنّي : «بافكر في اللي ناســـيني!» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، عاد الأستاذ أبو سيكل من جولته في العواصم العربية . قلت : «خير يا أستاذ أبو سيكل؟» . قال : «مؤامرة إمبريالية صهيونية» . قلت : «حماية الحدود العربية مؤامرة إمبريالية صهيونية؟!» . قال : «هل قرأت كتابي عن مصدّق؟ كتابي الذي جاب خبره؟» . قلت : «دعني من كتبك . أريد أن أقابل الريّس» . قال أبو سيكل : «هاه! هاه! هاه! آ آ و! إنت عاوز تشوف الريّس؟!» قلت : «نعم . وِشْ فيها ذِي؟» . «على جســدي الميّت!» قلت : «وَلْ! ليش؟» . قال : «إعلم ، ياأستاذ أبو شلاّخ ، أني مكوّش على الريّس تكويشة لك بها غرض . لا أحد يستطيع أن يقابله إلاّ بإذني» . قلت : «والزبدة؟» قال : «الزبدة ، يا عميل الإمبريالية ، هي أن تذهب إلى أسيادك في واشنطن وتخبرهم أني بالمرصاد لمؤامرات دلس» . قلت : «هذا بَسّ اللي عندك؟» . قال : «لا! قل لأيزنهاور إننا ضحكنا عليه وأخذنا منه ٤ ملايين دولار بنينا بها برج القاهرة حتى نطزّ عيونه به» . قلت : «إلى اللقاء!» . قال : «خذ معك هذا الكتاب . آخر مؤلفاتي المترجمة عن اليابانية . فيه مقابلة مع آنشتاين ، تُوفي بعد إجرائها بأيام» . قلت «آنشتاين؟! كنت أعتقد أنك لا تقابل إلاّ رؤساء الدول فكيف رضيت بمقابلة عالم جرمني مغمور ؟» . قال : «سبق أن عرضتْ رئاسة إسرائيل على آنشتاين ورفضها ، ولهذا فأنا أعتبره في حكم رؤساء الدول» . تركت الأستاذ أبو سيكل مكوّشاً على

الريّس ، ورجعت إلى واشنطن . استقبلني آيزنهاور في المكتب البيضاوي بحرارة ، وقال : «مؤامرة امبريالية ، أليس كذلك؟» قلت : «مالك لوا . مؤامرة امبريالية صهيونية» . قال : «ألم أقل لك ؟» . قلت : «والأستاذ أبو سيكل يسلّم عليك ويقول إنهم ضحكوا عليك وأخذوا منك ٤ ملايين دولار بنوا بها برج القاهرة» . ابتسم آيزنهاور وقال : «اللّه أعلم من الذي ضحك على الثاني» . صمت قليلاً ، ثم قال : «والآن ماذا نفعل ؟» قلت : «الآن نخلّي الدرعة ترعى ، ونلعب جولف» . قضيت بضعة أيام ضيفاً على آيزنهاور في البيت الأبيض ثم استأذنته في السفر . أذن لي وقال : «غرضْ حاجة ؟!» . قلت «ماذا تقصد ، يا آيك ؟» . ابتسم ، وقال : «وكالة أسلحة أو عمولة أو . . .» قلت : «أفا ، يا آيك ، أفا» ، ثم أنشدت على الفور :

خذ مني هذي الحكمة
خذها درسْ مِنْ دروسكْ
اللي يحبّك لجَل فلوسك
لين يا خذها منك يُدوسكْ
واللي يحبك لجَل الحاجة
لين الحاجة تُقضى . . يحوسكْ
اللي يحبك لأنه يحبك
هذا طول عمره يبوسكْ

قال آيزنهاور : «سوف أترجم هذه الأبيات وأضعها على

مكتبي .» عـدت إلى الوطن ، وبدأت تنفيـذ مـشـروع البـيع للشراء . . .

توفيق – البيع للشراء؟ لم أفهم .

أبو شلاّخ – سوف تفهم ، يا أخي أبو لمياء ، سوف تفهم . بَنَتْ الشركة معرضاً يحتوي على ١٠٠٠ سيارة يابانية ، وسمّته «معرض بيع السيارات الكبير» . في الجانب المقابل من الشارع بنت معرضاً بالحجم نفسه سمّته «معرض شراء السيارات الكبير» . يأتي المواطن فيشتري من معرض البيع سيارة . كانت قيمة السيارة ، نقداً ، ١٠٠,٠٠٠ ريال ، وقيمتها ، بالتقسيط ، ١٤٠,٠٠٠ ريال . لم يكن أحد يشتري نقداً . حقيقة الأمر ، أن المواطن لا يريد سيارة ، ولكنه يريد نقوداً . من أين يأتي بالنقود ؟ من «معرض شراء السيارات الكبير» الذي يشتري السيارة نقداً من المواطن بـ ٦٠,٠٠٠ ريالاً . وهكذا تتمّ العملية التي تُسمّى في الاقتصاد التدوير . تباع السيارة وتُشترى ثم تباع وتُشترى .

توفيق – ويسدّد المشتري الأقساط ؟

أبو شلاّخ – بطبيعة الحال ، يا أبو لمياء ، بطبيعة الحال . «أم سبعة» شركة تجارية وليست جمعية خيرية . سوف أتكلّم عن نشاطاتي الخيرية ، فيما بعد . الآن أحدثك عن إنجازاتي التجارية .

توفيق – أفهم من هذا أن الشركة تربح من السيارة الواحدة . . .

أبو شـلاّخ - تقـريبـاً ! تقـريبـاً ! ولا تنس أن هناك من لا يسدّد . وهناك من يتأخر . وهناك من يهرب من الديرة . ذهبت الأمانة من الناس ، يا أخي أبو لمياء ، وزالت القناعة ، وانقرض الصدق .

توفيق - ولكن ألا يعتبر عملكم نوعاً من الربا؟

أبو شـلاّخ - أعـوذ باللّه من الشـيطان الرجـيم! ربا ؟! أين الربا؟! هل البيع بالتقسيط ربا؟! هل شراء سيارة ممن يودّ بيعها ربا؟!

توفيق - هناك استغلال لحاجات المحتاجين .

أبو شلاّخ - هذا موضوع آخر يختلف ، تماماً ، عن الربا . هنا اتفق معك كل الاتفاق ، وأذهب أبعد من ذلك . كل عمل تجاري يقوم ، على نحو أو آخر ، على استغلال حاجة ما لإنسان ما . المهم أن معارض البيع للشراء انتشرت في كل مكان ، ثم فتحت فروعاً خارج الوطن . ذات يوم ، بينما كنت في مكتبي بالدور السابع من مبنى الشركة تلقيت مكالمة تيلفونية من المستر كينيدي رئيس شركة «وكمارا» . قال إنه سمع الكثير عني وعن الشركة ، وإنه يريد أن يراني شخصياً ويتعرّف عليّ . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لميـاء ، ذهبت إلى مكتبـه في «وكمارا» ، وإذا به يحتل المكتب نفسه الذي كان يحتله المستر بانكر . ما أدهشني هو أنني وجدت السكرتيرة نفسها التي ورطتني مع العم السابق ، آن ماري ، وقد كبرت قليلاً وزاد جمالها كثيراً . قلت : «آن ماريّ! ، لونج تايم نوسي !» قالت :

«هَش! اسمي ، الآن ، مونيكا» . قلت : «مونيكا؟! لماذا غيّرتِ اسمك ؟» . قالت : «مونيكا اسم يثير شهية الرؤساء» . قلت : «صدق من قال إن العلم بحر» . دخلت على جون كينيدي فوجدته ولداً لاعباً وسيماً ظريفاً سرسرياً . قال : «سمعتُ ، يا أبو شلاّخ ، أنك مددت خط التابلاين بنفسك» . قلت بتواضع مصطنع : «أنا ورفاقي . شركائي الآن في «أم سبعة»» . قال : ««أم سبعة» أصبحت امبراطورية تجارية . لماذا لا تتعاملون مع «وكمارا»؟ لدينا مناقصات ضخمة . وأنا على استعداد» . قلت :«اسمع يا مستر كينيدي !» . قال : «سمِّني جاك !» . قلت : «اسمع يا جاك! بعد فصلي من «وكمارا» فصلاً تعسفياً وضعت الشركة على القائمة السوداء . لن أتعامل معها ما حييت» . قال كينيدي : «ألا أستطيع أن أغيّر رأيك ؟» قلت : «لا أظن» . قال كينيدي : «فلنتحدث عن ريتا» . قلت : «عفْيه على «وكمارا»! تسمع دبيب النملة ! . فلنتحدث عن مارلين» . قال : «صاحبك تميرين أبو الحش خطفها مني . ولكن أنا ويّاها والزمن طويل» . قلت : «اسمع يا جاك! اترك حديث البنات . أمامك مستقبل عظيم . منصب كبير» . قال : «أكبر من هذا المنصب؟!» ضحكت ، وقلت : «أكبر بكثير» . قال : «بشرّنا ونبشرّك!» . قلت : «رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية» . قال : «هل تمزح معي؟» قلت : «لا أمزح» . قالك «كيف عرفت؟» . قلت : «من روزفلت» . قال : «روزفلت الجاسوس أو روزفلت الرئيس؟» . قلت : «فرانكلين ديلانو روزفلت . الرئيس» . قال : «عجيب!

روزفلت كـان يكره والدي» . قلت : «ربما كـان يكره والدك ، ولكنه لم يكن يكرهك أنت» . قال : «هل أنت متأكد أنه ذكر رئاسة الجمهورية؟» . قلت : «لمح ، يا جاك ، تلميحاً أقوى من التصريح . قال إنك ستكون ، ذات يوم ، في المكتب البيضاوي» . قال : «هل جاءته المعلومة من عرافة سان فرانسيسكو؟» . قلت : «لم يخبرني من أين جاءته المعلومة . ولا أعتقد أن روزفلت كان يتعامل مع عرّافات» . قال : «عزيزي أبو شلاّخ! بماذا تنصحني؟» . قلت : «أنصحك أن تصبح عضواً في مجلس الشيوخ ليسهل ترشيحك للرئاسة فيما بعد» . قال : «والدي يستطيع شراء أصوات تكفي لدخولي مجلس الشيوخ» . قلت : «دبلوماسية الدولار !» قال : «وبعد مجلس الشيوخ ؟» . قلت : «تصبر حتى ينهي آيك دورته الثانية ، وتطبّ في الميدان» . قال : «إذا نجحت في انتخابات الرئاسة سوف أعطيك . .» قاطعته «لا تعطيني ولا أعطيك ! أنا حبّي لأمريكا موضوع مبدأ . مسألة عشق وغرام» . قال : «إذن ، أعدك بسهرات ممتعة في البيت الأبيض» . قلت : «هذا الكلام !» . في تلك الفترة ، يا أبو لمياء ، حدثت حرب السويس . .

توفيق – تقصد العُدوان الثلاثي ؟

أبو شلاّخ – بعينه ! كنتُ في مكتبي بالدور السابع من مبنى الشركة عندما تلقيت مكالمة تيلفونية من صديقي الأستاذ ولعة أبو سيكل . قال : «الريّس كلّفني بالاتصال بك يا أستاذ أبو شلاّخ» . قلت : «اسمع يا أستاذ أبو سيكل ! إذا كان

الريّس يريد الاتصال بي فبإمكانه أن يفعل ذلك مباشرة» . قال أبو سيكل : «آآو! دا بُعدك !» ، وأقفل الخطّ . بعد دقائق رنّ جرس التيلفون ، وأخبرني موظّف السنترال أن الريّس على الخط . رفعت السماعة ، وقلت : «سيادة الرئيس ! قلوبنا معك» . قال : «لا أستغني عن مساعدتك ، يا أخ أبو شلاّخ . أخبرني أبو سيكل عن وديعة روزفلت» . قلت : «عفية على أبو سيكل ! لا تخفى عليه شاردة ولا واردة» . ضحك الريّس ، وقال : «ولهذا تركته يكوّش عليّ . هل تستطيع المساعدة مع آيزنهاور؟ بلادنا محتلة ولا أحد يستطيع الضغط على إسرائيل غيره» . قلت : «ابشر يا أبو خالد! سوف أذهب الآن إلى واشنطن» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، انطلقت إلى واشنطن ، وذهبت إلى البيت الأبيض ، وبمجرّد دخولي المكتب البيضاوي وقفت أمام آيزنهاور ، وأنشدت :

آيزنهاورْ يا بطل! . . يا شيخ الأبطالي

جيتك وعندي أمل . . لا تخيّبْ آمالي

جيش الصهاينة . . عِيْال الكلب . . في بلادي

عدوان ثلاثي . . وأنذالٍ في أنذالي

مَعْهم فرنسا اللعينة . . جَعْلها توخذ!

ومعهم إيدن . . عَسى إيدن بسّلالي!

تآمروا في ظلام الليل . . ما خافوا

رب السما . . يبتلي الظالم بزلزالي

بن جــوريون القِــرد . . قــردْنهم . . ودَرباهمْ
ومـعـه رفـيـقـه . . خـسـيس العين . . دجّـالي
جـيــتك! تحـزَّمت بك! وأبغــيك للفــزْعــه
وأنا مِــتــحــزّمْ - يا مــال العِّــز ! - برجّـالي

ما إن سمع آيزنهاور هذه الأبيات حتى تزهّل ، وأكدّ لي أنه سيجبر إسرائيل على الانسحاب خلال أسابيع . ثم أضاف مبتسماً : «بس قل لربْعك يخفّوا علينا السبّ . ترى كلّما ساعدناهم كلّما سبّونا أكثر» . طرت إلى القاهرة ، واتجهت من المطار إلى منشية البكري حيث استقبلني الريّس في صالون بيته المتواضع استقبالاً حاراً . أبلغته الأنباء الطيّبة فسّر سروراً عظيماً وقال : «يا أخ أبو شلاّخ ! لن أنسى لك هذا الموقف النبيل . هل هناك ما أستطيع عمله؟» قلت : «نعم ! أريد ١٢ كرفتة سولكا من كرافتاتك الحلوة» . قال : «ابشر !» . همس الريّس في أذن السفرجي الذي ذهب وعاد بدستة كرافتات سولكا رئاسية كل واحدة منها أحلى من الثانية . سلّمها لي وهو يقول : «أوعى يشوفها أبو سيكل يقطّعها !» قلت : «دا بُعده !» . قال الريّس : «أيّ خدمة ثانية ؟» . قلت : «يقول لك آيزنهاور خفف السبّ شوي . ترى الأمريكان ، وأنا أخوك ، حساسين ويزعلون من النقد الشخصي» . قال الريّس : «أعمل إيه بسّ في أبو سيكل؟ الراجل ده مسحوب من لسانه» . قلت : «أبلغتك الرسالة ، والآن أستأذن» . عدت إلى الوطن ، وكان

آيزنهاور عند وعده . أجبر إسرائيل على سحب قواتها . في الأسبوع نفسه كتب الأستاذ أبو سيكل مقالاً من مقالاته المعروفة باسم «بوكاحة» في الصفحة الأولى من صحيفة «الفهّام» وشتم آيزنهاور ، وعزا الانسحاب الإسرائيلي إلى الإنذار السوفييتي . بينما كنت أفكرّ في هذه الأمور السياسية المصيرية دخل الفرّاش مكتبي ، وقال : «هناك زائر يودّ أن يقابلك . يقول إنه صديق عزيز» . قلت : «اذهب وأسأله : نقول له مين ؟» . عاد الفرّاش وقال : «يقول أن اسمه تميرين أبو الحش» . قلت : «ارجع واسأله عن كلمة السرّ» . رجع الفراش ، وقال : «يقول كلمة السرّ محقب» . قلت : «أدخله فوراً» . تعانقنا عناقاً طويلاً حاراً ، وفي خلال ١٠ دقائق حشّ تميرين قرابة ١٠٠ صديق مشترك . ثم التفت إليّ ، وقال : «ما عندك تمر؟!» . قلت للفرّاش : «اذهب إلى قسم التمور بالشركة وأحضر أحسن الموجود» . عاد الفرّاش بطبق كبير مليء بالتمر هجم عليه تميرين وقضى عليه ، ثم قال : «صدق القايل : «ميّت الخِضْري شهيد»» . قلت : «يا الربع ذبحتونا بسالفة خضيري وقبيلي . ألحين التمر فيه خِضيري بعد ؟!» . ضحك تميرين أبو الحش ، وقال : «خضري ، يا دبشة ، خِضْري . ما قلت خَضيري» . بعدها أطرق مفكراً ، ثم التفت إليّ ، وقال : «ما دام ها الموضوع معقدك ليس ما تشوف لك شجرة؟» قلت مستغرباً : «شجرة؟!» قال : «شجرة عايلة» . قلت : «وش قصدك ؟» . قال «شوف لك واحد يضبط لك شجرة عايلة ويحطّك في قبيلة» . قلت : «هذا ،

واللّه ، الراي» . قضى تميرين على طبق آخر من الخِضرى وتركني أفكرّ في الشجرة . في اليوم التالي قلت لدليلان : «يا دليلان ! ألا تلاحظ أن اعتزاز الناس بانتمائهم القبلي قد زاد في الفترة الأخيرة ؟» . قال : «زاد وبسّ؟!» قلت : «ألا تلاحظ أن الخضيرية بدأوا يعانون عُقداً نفسياً خطيرة قد تدفع بعضهم إلى الانتحار أو الجنون؟» . قال دليلان : «عُقد وبسّ ؟!» قلت : «وشْ رايك نسوّي شِجر ونبيعه؟» . قال : «شِجرْ ؟!»» قلت : «شِجر عوايل . نضبّط للخضيرية شجر عوايل ونبيع الشجرة بالشيء الفلاني» . قال دليلان : «فكرة ممتازة» . قلت : «هل تستطيع تضبيط الشجر ؟» . قال : «لي صديق يقال له نسيبان يحمل دكتوراه في الأنساب» . قلت : «تكفي كلّمة . وله نسبة من كل شجرة نبيعها» . تم الاتفاق مع نسيبان الذي حضر إلى مقرّ الشركة وقال : «من الأحسن أن نبدأ بك يا أبو شلاّخ . إلى أي قبيلة تريد أن تنتسب ؟» . قلت : «الحقيقة أني . .» قاطعني : «يقول المثل : «من ضيّع أصله قال أنا من تميم»» . نحطّك في تميم ؟» . قلت : «أفضّل بني خالد» . قال : «وراه ؟» . قلت : «جدي خضير قبل لا يضيع أصله كان يقول أنه من بني خالد» . قال نسيبان : «إلاّ إشلون ضيّع جدكم أصله؟» . قلت : «أمْر اللّه ! كان ذات يوم في البرّ ووضع أصله في خرج ونام ، وجاء قوم وسرقوا أصله» . قال نسيبان : «إشلوْن ينام ويخلّي أصله في الخِرجْ ؟» . قلت : «اللي حصل بقى !» . وأضفتُ : «ولا تنسْ أن جداً من جدودي اسمه خالد ، ويلقب

بخويلد . لن أكذب إذا قلت إني من بني خالد» . قال نسيبان : «خلاص نحطك في بني خالد» . أخذنا ننتج أشجار عايلة ، ونبيع الواحدة منها بمليون ريال .

توفيق – مليون ريال؟! هذه أغلى شجرة في العالم .

أبو شلاّخ – ربّما! ولكن الطلب كان في تزايد . ذات يوم ، فوجئت بمكالمة تيلفونية من السيد الأمين العام لحزب الثورة الحاكم في دولة عربية ثورية شقيقة . طلب الأمين العام الاستعانة بخدماتنا الشجرية . ذهبنا إلى العاصمة الثورية ، نسيبان ودليلان وأنا ، واستقبلنا الأمين العام بحرارة . قال : «أريد شجرة عايلة لكل عضو من أعضاء اللجنة المركزية للحزب تنتهي بأحد الصحابة» . قال نسيبان : «الصحابة ؟! صعبة شويّ !» . قال : «إذن ، أحد التابعين . وهذا آخر كلام» . قلت : «وماذا عن جورج ؟» . قال : «أرجعوا أصله إلى القديس سانت توماس الأكويني» . بدأنا إعداد الشجر ، وكلّف السيد الأمين العام فتاة حزبية مزيونة اسمها نزيهة بمساعدتنا . أنجزنا المهمة على خير ما يرام . في هذه الأثناء نشب حبّ عميق متبادل بيني وبين نزيهة . كنا على ضفاف النهر ، ذات أمسية ، عندما سالت الدموع من عيني ، وتنهدت ، وأنشدت :

يا ونّةٍ ونيّتها في الرصافةْ
من حرّها سالتْ دموع الفُراتي
حزّبيةٍ . . فيها الحلا والظرافةْ
لو أشّرت لي بِعتْ موتي . . وحياتي

يا أم السعْف والليف! . . أختَ الزرافةْ
تزوّجيني . . نجيبْ وِلْد . . وبناتي

تنهّدت نزيهة ، بدورها ، وأنشدت :

يعقوب! أشعارك حنين ولطافةْ
يا شاعر العُربان . . نِمْر الفلاتي
من نظرةٍ وَحْده . بقصرِ الضيافة
وأنت بمكان الروح . . يا أبو شجراتي
الشورْ شورْ الحزب (قسم الثقافة)
اخطبني مِنْ حزبي . . وعجّل أغاتي!

قلت : «من الحزب سأخطبك» . عندما تشرّفت بلقاء السيد الأمين العام وسلّمته الأشجار ، وسلّمني الشيك ، استأذنته في إنشاد بعض الأبيات فأذن لي . هببتُ واقفاً ، وقلت :

هَلا يا ريّس الحزب الذي
ما تشبهْ أحزابْ
هَلاَ يا مطعم ضيفهْ
هلاً يا مِكرم الأغرابْ
قصدتكْ . . أطلب الخطبة
وأنا المشهور في الخطابْ
وشعري ذايع صيته
من قصَيبةْ إلى ديرابْ

نزيهـــة حـــيّـــرت فكري

ونزيهـــة تســـحـــرْ الألبـــاب

مـــاني بحِـــزبي . . ولكني

عُـــرْبي من أشـــرف الأعـــرابْ

أحب الوحـــدة وأعـــشـــقـــهـــا

فـــديتكْ! وحّـــدْ الأحـــبـــابْ

احمرّ وجه السيد الأمين العام ، أو ربما امتقع ، وهبّ واقفاً ، وأنشد :

تجي تخطب ومُـــو حـــزبي؟!

ومـــالك في الحِـــزِب أصـــحـــابْ؟!

ومـــو مـــؤدلج . . ومـــو مُنَّظر ؟!

تهـــبْـــا ! يا مـــزيّف الأنســـابْ

قـــصـــيـــدك عندي مـــاله كـــرتْ

ولو يشـــهـــدْلك الســـيّـــابْ

هنا الحِـــزبيّـــة للحـــزبي

كـــذا قـــانون حـــامـــورابْ

وخلّ عنك خـــرابيطكْ

تفـــضّلْ! طلّعـــهْ يا بوّابْ!

امتثل البواب للأمر ، وقادني إلى خارج المكتب . فيما بعد ، قلت لدليـلان : «شِـفتْ إشلون أهانني ها الســربوت قـدّام

الناس؟» . قال دليلان : «أخذنا منه ٥٠ مليون دولار . إحمد ربّك . وابلع الإهانة» . قلت : «أبلع الإهانة ؟! هي الإهانة خَضِري؟!» . قال : «ألف مرة قلنا لك خل عنك بنات الناس لا تخطبهن» . قلت : «كان زمان! يوم كنت خضيري . اليوم أنا من بني خالد» . قال : «في هالديرة كل خضيري إلاّ بني حِزْبْ» . قلت : «يا دليلان! ها الشارب مو على رجّال إذاً ما وريّته شغله» . بدأت التفكير والتخطيط للانتقام . سوف تسمع الآن ، يا أخي بو لمياء ، كيف بذرتُ البذرة الأولى لحرب الخليج الثانية . . .

توفيق - تقصد احتلال . . .

أبو شلاّخ - نعم! نعم ! القصّة الحقيقية تُروى ، هنا ، لأول مرة . خذ العِلم ، واترك دهوْلة أبو سيكل . طلبت موعداً من السيد الأمين العام للحزب للاعتذار عن سوء أدبي . اعتذرت بحرارة وقَبِل الرجل اعتذاري : قلت : «اسمع سيّدي الأمين العام !» قال : «أنا أسمع دبيب النملة !» . قلت : «عفْيه! هِنّيا ديرة حولكم تخرّ بترول اسمها كاظمة» . قال : «وهذا خبر ؟!» . قلت : «صبرك ! أثناء بحثنا في الأنساب ثبتْ لنا أن الكاظمية اللي عندكم هي أمّ كاظمة» . قال سيادته : «وداعتك ؟! الكاظمية أم كاظمة ؟!» . قلت : «هل معقول أن هذا مجرّد تشابه في الأسماء ؟!» . قال : «مو معقول» . قلت : «صدقت! كانت كاظمة قائمقامية تدار من الكاظمية وهذا سبب تسميتها كاظمة» . قال : «وهذا كله موجود في التأريخ؟» .

قلت : «موجود ، سيّدي ، وموثّق . تحب أدزّ لك شجرة عايلة لكاظمة تثبت كلامي ؟» . قال : «دزها !» قلت «صار !» أطرق مفكراً ، ثم قال : «وِشْ تشوف ؟» . قلت : «أشوف أن تردّ الفرع للأصل» . قال : «همْ راي! بس أخاف من السرسرية الأمريكان يلعنون والدينا» . قلت : «يخسون ويعقبْون! اترك الأمريكان لي» . قال : «عيني أبو شلاّخ الورد! هسّا نحكي جدّ . تقدر لي تجيب لي ضوْ أخضر من الأمريكان ؟» . قلت : «أجيبه ، وأجيب أبوه!» . قال : «متى ؟» . قلت : «العملية تحتاج سنين» . قال مقطّبا : «سنين ؟!» قلت : «لا بدّ من طبخ المشروع على نار هادئة» قال : «واشلون أعرف أن الضو الأخضر وصل ؟» . قلت : «من كلمة السرّ» . قال : «شِني كلمة السرّ ؟» . قلت «إبريل !» . قال : «إبريل ؟! أخاف هاي كذبة إبريل» . ضحكت ، وقلت : «لا! لا! إذا جاتك سفيرة أمريكية اسمها إبريل ، توكّل على اللّه» . قال : «الأمريكان ما يدزون سفيره هنانا . ما يدزّون إلا رجاجيل» . قلت : «أحسنت ! وعندما يدّزون لك إبريل اعلم أن كلمة السرّ وصلت» . رجعت إلى الوطن ، وقررت ، بعد واقعة نزيهة ، الإقلاع عن تجارة أشجار العايله . ذات يوم دخل عليّ الدكتور هاري كريشنا برشوتم وهو في حالة حزن عميق . قلت : «خير يا برشوتم ؟! عسى أم العيال . .» قاطعني : «أمّ العيال صحة بمب» . قلت : «الحمد لله . أنت ليس حزين شكل مَال انت ؟» . قال : «أنت لازم كلّم معايْ عربي فصيح» . قلت : «أبشر ! مالك تبدو مكتئباً هذا الصباح ؟» .

قال : «أنا كثير مشتاق ياكل جراد» . قلت : «كِل! مِنْ رادّك؟» قال : «أنت فكرّ شويْ! جراد الحين كلوّ مسموم . حشرات مبيدات . إنسان ياكل جراد إنسان روح مستشفى . يمكن إنسان موت» . قلت : «صحيح . وما دخلي أنا؟» قال : «بابا! أنت فكّر شويْ ! كُلْ ناس هني يحبّ جراد . كُلْ ناس!» قلت : «والزبدة ؟» . قال : «زبدة شركة سوّي مزرعة جراد . نربّي جراد» . قلت : «حسبي اللّه عليك يا برشوتم! الناس تبيد الجراد وحنّا نربّيه ؟!» . قال : «اسمع ، بابا! ربّي جراد كثير . سوّي جراد سمين . متروس بيض . بعدين بيع جراد . سوّي فلوس كثير» . قلت : «واللّه أنك جبتها ، يا برشوتم . نربّي الجراد في البرّ ونبيعه» . قال برشوتم : «لا! لا! في برّ بدو شِمْ ريحة جراد . بدو هجم . بدو أكل جراد بلاش . لازم سويّ مزرعة بعيد» . وهذا ، يا أخي أبو لمياء ، ما حدث . انطلقنا إلى ما وراء البحار ، إلى استراليا .

توفيق – استراليا؟! لماذا ؟

أبو شلاّخ – تجيك السالفة .

الفصل الخامس

نساوين في حياتي

كلّ خمصانة أرقّ من الخمر ..

بقلبٍ أقسى من الجلمودِ

المتنبي

توفيق – كنت تقول لي إن شركة «أم سبعة» انتقلتْ بنشاطها إلى أستراليا .

أبو شلاّخ – نعم ، يا أخي أبو لمياء ، نعم . وسأروي لك ما حدث هناك بالتفصيل . ولكني أرى من المناسب أن نأخذ استراحة من حديث التجارة والسياسة والأعمال . أرى من المناسب أن أروي لك قصصاً عن بعض النساء في حياتي .

توفيق – غير النساء . . .

أبو شلاّخ – غير اللواتي مرّ ذكرهن . كانت المرأة عنصراً هاماً في حياتي . تستطيع أن تقول إنها كانت أهم شيء في حياتي بعد التجارة والسياسة والأكل والنوم والهياسة والأناسة . وأنا صادق في حبي للمرأة . صادق حتى العظم . تستطيع أن تعتبرني مخترع الحب العظمي . ولكن المشكلة أن حبي لا يُعمّر طويلاً . والمشكلة الأخطر أن النساء اللواتي أحببتهن هنّ ، بدورهن ، حبُهنّ لي لا يُعمّر طويلاً . لهذا تجد في حياتي عدداً لا بأس به من النساء . هذا ، يا أخي أبو لمياء ، لا يجعل مني بطبيعة الحال دون جوان ، أو كازانوفا ، أو فالنتينو ، وإن كان يعطيني ، في ميدان النساء ، خبرة تزيد على خبرتك ، مثلاً ،

مع احترامي لخبرتك ، أو خبرة الأستاذ ولعه أبو سيكل ، مع احترامي لخبرته . أحبّ أن ابدأ بقصّة الحب الذي أدى إلى تهديم كياني ، وتهديمه حقيقةً لا مجازاً .

توفيق - تقصد كيانك التجاري؟

أبو شلاّخ - أقصد كياني الجسدي . قلت لك ، في بداية حديثنا ، إني ولدت ووزني ٢٠ ربعة . وكنتُ ، إذا أردتَ الصدق ، دائماً ممتلىء القوام . رغم المشاق الهائلة التي تعرّضت لها في مراحل مختلفة من حياتي مثل مرحلة «التابلاين» ومرحلة جزيرة البنات ، كان وزني ، دوما ، يفوق المعدّل الطبيعي . وإذا أردتَ الدقّة ، يا أخي أبو لمياء ، يفوق هذا المعدل بكثير . بعد أن انعم اللّه عليّ بالأموال الطائلة ، بدأت أسرفُ في الأكل ، وبدأت زيادة الوزن تأخذ أبعاداً خرافية . في تلك الفترة ، فترة الطفرة الشحميّة ، أحببت لطيفة . ولا تطلب مني أن أقول لك المزيد حتى لا تتكرر مشكلة ليلى الخزيني . توفيق - من هي ليلى الخزيني؟! .

أبو شلاّخ - هل رأيت؟! . ها أنت ذا تكرّر مشكلة ليلى الخزيني . كل من أراه يسألني من هي ليلى الخزيني . وهذا موضوع لا أودّ أن أخوض فيه . فيما يخصّ لطيفة ، يكفي أن تعرف أنها كانت فتاة رشيقة القوام جدّاً ، جميلة جداً ، وكانت في السنة النهائية من كليّة الآداب ، في جامعة ما ، في قطر عربيّ ما . نظرتُ إليها نظرة أعقبتني ألف حسرة ، وكان الشعور بيننا متبادلاً ، أو هذا ما ظننتُه . بعد أيام قليلة من لقائنا الأوّل

هببتُ واقفاً ، وأنشدتها :

لـطافـي! . يـا حـــــيـــــاتـي!

حـــــيـــــاتـي! . . يـا لَـطَافـي!

عـــصـــفـــورة رَشـــيـــقـــةْ

حَـــلاً . . . مع الـعـــفـــافِي

وإنْ مِـــــــشـــتْ تـشـنْـتْ

بـــالـــغُـــنـج . . وإنـــعـطـــافـــي

شـــاعْـــر . . وجـــاكـمَ خـــاطـبْ

يـدربـي فـي الـقـــــــوافـي

ومَـــقـــصـــدْه حـــلالـي

الـدخـلـة . . والـزفـــــــافـي

توفيق – وقالت لك : «لست من مواخيذنا؟!»

أبو شلاّخ – لا ، يا أبو لمياء ، لا! ليتها قالت هذا ، وأراحت واستراحت . حقيقة الأمر أنّها بمجرد انتهائي من الإنشاء أخذت تتأملني بضع دقائق ، ثم أنشدتْ :

تـبـــغـــينى آخـــذ مـــثـلِك؟!

يـا حـــافظ! . . ويـا كـــافي!

شِـــفْ مـــنـــظَـــره . . ونـــاظِـــرْ

مـنـك الـنـســـا . . تـخـــافـي

مـــتـين . . ومـــا أشَـــيْن شـكـلـك

أشـــيْـن مـن الـرصـــافـي!

أبـغـيْ لـي واحـــــــدْ مِـــــثـلـي
مـن أنـحـف الـنـحـــــــــافـيِ
رشــــيـق . . وكـلّـه خِـــفّـــهْ
مــا أحلى الهــوى . . .خــفــافي!

بعــد إن انتــهتْ من الإنشــاد ، ســألتني : «كم وزنك يا أبو شلاخ؟» . قلت : «يا بنت الحلال! اتركي الأسئلة المباشـرة . واللّه سبحانه وتعالى يقول : «لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبَد لكم تسُؤكم» . خلّي الأمور مستورة» . قالت : «أنا مصرّة على معرفة وزنك» . قلت : «وأنا مُصرّ على الامتناع عن التعليق . تأملتني ، مرّة أخرى ، وقالت : «وزنك ١٥٤ كيلو و٣٢٠ جراماً . صح؟!» . أخذتني المفاجأة ، وقلت : «صح!» . قالت :«إذا أردت ان أتزوجّك فعليك أن تنقص وزنك حتى يصبح ٩٠ كيلو فقط لا غير .» قلت : «تريدين مني أن انقص . .» قالت : «٦٤ كيلو و ٣٢٠ جراماً» . قلت : «لطافي! هذا وزن رجّال كامل ، أو وزن مَرَه ونص» . قالت : «إذنْ عليك أن تنقص وزن رجّال كامل أو وزن مرة ونص» . قلت : «وإذا نقصت تتزوجيني؟» . قالت : «بكل سرور وانشراح ولهفة وحُبّ» . عندها تنهدّت وهببتُ واقفاً وأنشدت :

لـطـافـي! . . يا حـــــيــــاتـي!
غـــــيــــركِ في قـلـبي مــــا فـي
قــــــــــابــلْ أنــا بــدلالــكْ
وقِـلّــة الإنــصــــــــــــافــي

بــــأرجــــع وَلَــــد . . يــــا زيــــنــــة
تحــــفــــهْ من التُــــحــــافي
تعــــشــــقني . .حــــتّى «كلوديا»
وأم الــتــنــس . .«الجــــــرافــي»

ذهبت ، يا أخي أبو لمياء ، إلى مصحّ خارج لندن يحمل اسم «شـمـبـانزي» . ولعلك تتـفق مـعي أن الإسم غـريب بعض الشيء . ولا أدري لماذا اختارت الشركة التي تملك المصّح اسماً كـهـذا . المهم أنّه بمجـرّد دخـولي المصّح هجم على المـرضـوّن ، ونزعوا عني ثيابي عنوة ، واقتادوني إلى الحمّام . هناك دعكوني دعكاً بالملح الحجري حتى شعرت أني بعيـر سمين يُقدّد . قلت : «ما هذا العـدوان الجسدي الغـاشم؟» . قـالوا : «تقليـد تاريخي من تقـاليـد المصح» . تذكـرت اسم المصحّ ، وقلت : «شِفْ وجه العنز واشربْ لبن!» . قبيل الفجر ، فوجئت بطرق شـديد على باب غرفـتي . فـتحت البـاب فإذا بي أمام مُدرّب غليظ شديد يقول : «مشينا!» قلت : «إلى أين؟» . قال . «مشية الصبح . ٥ كـيلومـتـرات» . قلت : «ول! وين بنروح؟» . قـال : «ندوّج في الحقول والغابات» . رجعتُ جائعاً ، ففوجئت أن الإفطار يتكونّ من ليمونة واحدة . قلت للمشرف على المطعم : «الليمون يؤذي معدتي . يُسبّب حموضة قد تُؤدي إلى نزيف» . ذهب وأحضر لي بدل الليمونة حبّة عنب واحدة . ما إن انهيت إفطاري الدسم ، حتى فـوجـئت بمدرّبة عـجـوز دربيس تقـول :

«مشينا!» قلت : «وين نبي؟» . قالت : «بركة السباحة» . منيّتْ نفسي ، يا أخي أبو لمياء ، بسباحة رومانسية هادئة مع سابحات فاتنات إلا أنني وجدت نفسي مع مجموعة من العجائز السمان من الذكور والإناث . أخذنا نقفز في الماء قفزات هائلة ، وكأننا فصيلة من السمك الطائر . قضيت ٣ ساعات تعيسة في البركة حان بعدها موعد الغداء . وجدت على طبقي ٤ جزرات مسلوقة ومعلقة زبادي وحبّة فول مدمّس واحدة . بمجرّد الانتهاء من هذه الوليمة وجدت أمامي مُدرّباً أعنف من مدرّب الصباح يقول : «مشينا!» نظرت إليه باستغراب ، واستطرد : «مشية الظهر . ١٠ كيلومترات» . عدت منهكاً جائعاً فوجدت بانتظاري مفاجأة سارة : تصبيرة العصر . كانت التصبيرة مكونة من قطعة بسكويت مالحة وفنجان من الشاي بلا سُكّر . بمجّرد انتهائي من التصبيرة ، أقبلت فتاة حسناء تتهادى في بنطلون أبيض وقميص أبيض . قالت لي نفسي الأمّارة بالسوء : «الآن يبدأ الفرح والمرح» . قالت المدرّبة الجميلة : «مشينا!» قلت : «وين نبي؟» . قالت : «الجِمْ» . والجِمْ ، كما لا يخفاك يا أخي أبو لمياء ، هو تصغير الجمينازيوم . وهناك تحوّلت الفتاة الحسناء إلى امرأة حديدية ساديّة تنقلني من آلة تعذيب إلى آلة تعذيب . بعد خروجي من قاعة التعذيب ذهبت إلى المطعم لتناول وجبة العشاء المكونة من خيارة مسلوقة بقربها نصف بيضة مسلوقة . ما إن أنهيت هذه الأكلة المغذية حتى ظهر أمامي مدرّب الصباح

وقال : «مشية المساء! مشينا!» . سقطت مغشياً عليّ ولم أفق إلاّ
على الفراش في غرفتي . سالت الدموع من عيني بغزارة ،
وتنهدت ، وأنشدت :

ذا مصحٌ يا الربع . . وإلاّ عَذابْ؟!
جعتْ جُوع القمْلة في دِيار الصَلَعْ
أكلُهمْ ما يشتهيه حتّى الذبابْ
واقف في الحلق . . شَوكه ما إنبلعْ
الهوى سلطانٌ تَخضع له الرقابْ
والهوى لما خَبط قلبي . . انشَلَعْ
يا لطيفة! لولا إن السهم صابْ
ما رضيتْ هذا الغَشْا . .بعدَ الدَلَعْ

لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، بعد ٦ شهور ، و ٣ أيام ،
و٤ دقائق ، و٥ ثوان من المعاناة وصلت إلى الوزن المطلوب .
عدت وأنا أكاد أطير من الفرح ومن خفة الوزن . ذهبت إلى
منزل لطيفة لإكمال إجراءات الخطبة . وجدت في الصالون
كتلة شحمية لحمية أضخم من الكتلة الثلجية التي جابت خبر
«التايتانك»ملتفّة في ثياب ملوّنة ، ولا يكاد يظهر منها شيء .
عندما دخلت قالت الكتلة : «أبو شلاّخ؟!» . قلت : «نقول له
مين؟» . قالت : «لطِيفة» . قلت : «هاه؟! أنتِ لطيفة؟! هذا مو
وقت مزح» . قالت الكتلة : «لا أمزح . أنا لطيفة» . قلت :
«ماذا حدث لك؟» . قالت : «انتابتني كآبة نفسية شديدة

بسـبب غـيـابك ، وبدأت أنفّس عن كـآبتي بأكل زنود السّت وليـالي لبنان والبـسبوسـة والمهلبـية والكنافة وأم علي والحنينى و . .» قـاطعـتـهـا : «كم وزنك الآن؟» . قـالت : «ممتنعـة عن التـعليق» . قلت : «وزنك الآن ١٣٢ كـيلو و ١٥١ جـرامـاً» . قالت : «وِجْع! عيونك ميزان؟» . قلت : «تعلمت في المصح أن أزن الناس بعيـوني» . قـالت : «ومـاذا تنوي أن تفـعل الان؟» . قلت : «أنوي أن أهرب بجلدي من شحـمك» . وهذا ، يا أخي أبو لميـاء ، ما كان . أطلقت سـاقيَّ للريح ، وتركـت لطيفة طافـية على بحـيرة من القطايف .لاحظْ أن القوام الرشـيق الذي عدت به من مصحّ «شمبانزي» زاد هيام النساء بي ، هذا الهيام الذي كـان مـوجـوداً من قـبل بطبـيعـة الحـال . المرأة الثـانيـة التي أودّ الحـديث عنها هي سلمى . كـانت بنتـاً جـميلة جدّاً ، ودلوعـة جدّاً ، ومن أسرة ثريّة جدّاً ، تقدّم لها عشرات الخُطّاب وردّتهم خائبين . تعرّفتُ عليها ، بالمصادفة ، في نشاط خيري وبمجرّد أن رأيتـهـا أحـبـبـتـهـا . قلت لهـا على الفـور : «سلمى! أنا أحبّك! تزوجّـيني!» ابتـسـمت ، وقـالت : «شرطي معـروف» . قلت :«ما هو؟ » قالت : «ما أتزوج إلاّ رجال يجيب لي بيض الصعو» .

توفيق - لم أفهم . ما هو بيض الصعو؟

أبو شلاّخ - البيض هو البيض المعروف . والصعو طائر صغير يعبر جزيرة العرب مهاجراً ولا يستقر ويبيض فيها . لم ير أحد بيض الصـعـو وأصـبح مـثـلاً يضـرب للشيء الذي لا يوجـد ، كـالغـول والعنقـاء والخلّ الوفي . قلت : «وأين أجـد بيـضـة

الصعو؟!» قالت : «هذه مشكلتك أنت» . قلت : « وِشْ رأيك أجيب لك بيض نعام؟ البيضة نص كيلو» . قالت : « نِوْ شيري!» . قلت : «أجل كافيار ، المُسمّى في البلاد المغاربيه عُضْم دايْل حُوْت؟» . قالت :«نُو وْي دارلنج!» . قلت : « بيض الداب؟!» . قالت : « يا بيض الصعو يازواج مفيش!» . عقدت اجتماعاً عاجلاً لمجلس إدارة «شركة أم سبعة» وشرحت مشكلتي للربع . قال دليلان : «الصعُو موجود لكن محدّ شاف بيضة» . قلت : « هذا بَلا أخوك يا دليلان» . قال طبيبان : «بما أن أحداً لم يرْ بيض الصعُو فيستحيل عليّ استنساخه» . قلت : «يا دكتور برشوتم! ما عندكم صعو في الهند؟» . قال برشوتم : «في هند صَعو كلّشْ ما في!» قلت : «يا الربع! وِشْ عندكم من راي؟» بعد تقليب الأمر على وجوهه ، انتهينا إلى وضع خطة جهنمية : نصب كمين للصعو . وكان الكمين بركة ماء في الدهناء تغري الصعو بالتوقف للشرب . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، نجحت الخطة وهبط الصعو يشرب ، وانطلق ركيضان وألقى القبض عليه ، ووضع في رجله جهازاً الكترونياً صغيراً يرسل ذبذبات تمكننا من ملاحقته . كنت قد استعرتُ طائرة «أواكس» من أصدقائي الأمريكان ، وامتطيناها ، دليلان وأنا ، ومضينا نطارد الصعو . طاف الخبيث بالقارات الخمس قبل أن يحط على شجرة في جزيرة صغيرة نائية في المحيط الهادي . كنا على وشك تسلّق الشجرة بأمل الحصول على بيضة في العش عندما أقبل رجل من السكان المحليين ، عاري الصدر ، يرتدي

وِزاراً مزخرفاً ، وابتسم ، وقال : «حيّا اللّه الربع! جايين تدوّرون بيض الصعو؟» . قلت بإعجاب : «وشّ درّاك؟» . قال : «سبقك ١٠ خطّاب» . قلت : «والنتيجة؟» قال : «هذا الصعو ذكر . ما يبيض» . قلت : «أنت متاكّد؟» . قال : «شلون مو متأكّد وأنا أحمل دكتوراه من وزن الريشة في علم الطيور؟» . قلت : «وكيف أحصل على بيض الصعو ، أقصد بيض الصعوة؟» . قال دكتور الطيور : «على الخبير سقطت! عندي بيضة صعو واحدة . بمليون دولار» . قلت : «ولْ! مليون دولار؟!» قال : «رزق البُله على المجانين» . قلت : «أشكرك» . قال : «العفو . شرايّ وإلا مانت شرايّ؟» قلت : «شرايّ ، وأمري للّه» . أعطيت دكتور الطيور مليون دولار عداً ونقداً ، وعدنا «بالأواكس» نحمل البيضة الثمينة في صندوق خاص صغير مُبرّد مفروش بالديباج . ذهبت إلى سلمى وأنا أحمل الصندوق . ما إن رأيتها حتى أنشدت :

جيتك أنا ببيض الصعو
هذا اللي ما شافه أحدْ
وتعبت فيه أعظمْ تعبْ
أدخل بلد . . وأترك بَلدْ
سَلمى! أنا بشرطي وفيتْ
«أنجز حرٌ ما وعدْ»

أخذت سلمى الصندوق ، وأنشدت :

بيــــض الصعــــو مــا هـــو لِعـــبْ
راجـــعنـــــا فـــــي عـــصـرِ الأحَـــدْ

قلت بذهول : «هاه!» . قـالت : «لا بدّ من فـحص البـيض فحصاً علميـاً لنتأكـد من أنه بيض صعوّ .» قلت : «يا بنت الحلال! شريت هالبيضة بمليون دولار من رجل يحمل دكتوراه من وزن الريشة في علم الطيور» . قالت : «راعي الجزيرة اللي في المحيط الهادي؟» قلت : «وشْ دراك؟» قالت : «اوه! ضحك على كثير قبلك» . قلت : «يا خوفي! والحين؟» . قالت : «راجعني حين يظهر تحليل ال دي . إن . إيه» . راجعتها بعد أسبوع . كانت المفاجأة ، يا أخي أبو لمياء ، أليمة . أرتني سلمى التقرير الذي استلمته من هارفرد والذي يثبت بما لا يقبل الشّك أن البيضة بيضة حمامة مراهقة عجفاء مصابة بفقر الدم . طردتني سلمى شر طردة . تذكرت الجهد والوقت والمال والعذاب الذى عانيته وأنا أطارد الصعو من قارة إلى قارة ، وانهمرت من عيني الدموع وبدأت أنشد . . .

توفيق– هل من الضروري . . .

أبو شلاّخ – لا ، يا أبو لمياء ، لا! سوف أنتقل ، الان ، إلى امرأة جديدة في حياتي . وهنا لا بُدّ أن يختلط الحب بالسياسة . والسبب بسيط أن المرأة هي جاكلين كينيدي .

توفيق – زوجة الرئيس كينيدي؟!

أبو شلاّخ – هي بعينها . ولكن لا بُدّ من مقدّمات لتعرف

كيف حدث بيني وبين جاكلين ما حدث ، أو ، إذا أردنا الدقة ، كيف لم يحدث بيني وبين جاكلين ما لم يحدث . تولى كينيدي الرئاسة خلال إقامتي في مصحّ «شامبنزي» ، وأرسل لي دعوة لحضور حفل تنصيبه لم أتمكّن من تلبيتها لانشغالي بالتخلّص من لحمي وشحمي . بعد سنة ، وجّه لي دعوة لزيارته في البيت الأبيض إلاّ أنني كنت ، وقتها ، مشغولاً بمطاردة الصعو . بعد سنة ، وجه لي دعوة ثالثة ، وخجلت من تكرار الاعتذار وقبلتها . استقبلني كينيدي في المكتب البيضاوي بحرارة ، وقال : «واللّه زمان يا أبو شلاّخ!» . قلت : « واللّه زمان! كيف وجدت الرئاسة؟ » قال : « تستطيع أن تتصوّر مشكلتي . ولد لاعب يصبح رئيساً للولايات المتحدة . أتوقع في كل لحظة أن يدخل عليّ الحاجب ويقول : «ماذا تفعل في هذا المكتب؟ أخرج!»» . ضحكت ، وأطرق كينيدي مفكّراً ، ثم قال : « أريد أن أستشيرك في موضوع الشرق الأوسط» . قلت : «هات!» . قال : « كلما كتبت للريس رسالة أعرض فيها خدماتي للوصول إلى حلّ ردّ على يقول : «من لايملك أعطى من لا يستحق» . ذبحني بتكرار هذه الجملة » . قلت : «هذه الجملة من تدبيجات أبو سيكل» . قال : «نعم . أعرف ذلك . حقيقة الأمر أني وعدت أبو سيكل بمقابلة بعد شهرين» . قلت واجماً : «يا جاك! هل تعرف خطورة ما تفعل؟» . قال : «تقصد تدخّلي في مشاكل الشرق الأوسط؟» . قلت : «لا . أقصد مقابلة أبو سيكل» . قال : « ما وجه الخطورة؟ » . قلت : «إن

كنت لا تدري . ألغ المقابلة!» . قال : «يا أبو شلاّخ! المسألة كلّها ٥ دقائق» . قلت : « جاك! ألغ المقابلة!» قال : «يصعب إلغاؤها . توسّط له جونسون» . قلت : «أعذر من أنذر» . قال :« ما دام الريّس لا يريد الصلح مع إسرائيل فليصالح العرب . اذهب وبلّغه رسالة مني . إذا ترك خرابيط الاشتراكية والتدخل في شؤون البلاد العربية الأخرى فسوف يرى مني ما يسرّه» . قلت : «أبشر! سوف انطلق فوراً .» قال : « لا . بكره في الليل جاكي سوف تسافر إلى أهلها في نيويورك وسوف أقيم حفلة صاخبة على شرفك هنا في البيت الأبيض» . قلت : « أبرك ساعة!» . أسكنني جاك في جناح الضيوف في البيت الأبيض ، وفي الليلة التالية ذهبت إلى بركة السباحة ، حيث تقام الحفلة ، أعني تقام بقرب البركة . كان هناك الرئيس وأخوه بوب وعدد محدود من أصدقائه الإيرلنديين ، وقرابة ١٠٠ بنت .

توفيق - ١٠٠ بنت؟! .

أبو شلاّخ - زايد قاصر! لم أحصهن بآلة حاسبة . أكثر الموجودات من الكومبارس . سكرتيرات في البيت الأبيض ووزارة العدل . وكان هناك عدد من النجمات . وكانت هناك مارلين مونرو . بمجرد أن رأتني شهقت وقالت : «أبو شلاّخ؟ هاي! إشلونك؟ إشلون تميرين؟ واشلونّ «عين مُغطّى» قلت : «أنا بخير . وتميرين يزقح . وعين مغّطى صكتّها الهيئة» . قالت : «ذكريات لا تنسى» . قلت : «ماذا حدث للطفل؟» قالت : «أي

طفل؟» . قلت : «ألم . ترجـعي حـامـلاً بعـد زيارة «عين مُغطّى؟»» . ضحكت وقالت : «آه! أعطيت المولود هديّة لحديقة حيوان» . قلت مذهولاً : «حديقة حيوان؟!» . قالت : «جاء على شكل جحش . يشبه أباه تماماً» . قلت : «أبوه؟ من هو أبوه؟» . ابتسمت مارلين ، وقالت : «الفلاحي» . قلت : «الفلاحي؟! حماري؟! أثر الخبيث مُذوقْ! .» في هذه الأثناء اقترب كينيدي وقال : «عمّ تتحدثان؟» . قلت : «عن الحمير» . قال : «الحمير؟ لماذا؟!» قلت : «كنت أتساءل : لماذا اختار الحزب الديمقراطي الحمار رمزاً له؟» قال كينيدي : «الأمريكيون يستظرفون الحمار .» ضحكت مارلين واحمرّ وجهها وانسحبتْ . قلت : «جاك! من هي تلك المرأة التي تتحدّث مع بوب؟» قال : «آفا جاردنر» . قلت : «عجّزت!» قال : «ولهذا جيّرتها لبوب . والفاجر الآن يطمع في مارلين» . قلت : «ما ألومه!» قال : «وأنت؟! مِنْ تبي؟! شِفْ ناتالي ود هناك! أناديها؟» . قلت : «خلّني أرعى في هالسكرتيرات» . قال : «ألا تفضّل النجمات؟» قلت : «أفضّل المغمورات السمينات المتعاونات المتجاوبات غير المتمنّعات» . قال : «حولك خير كثير .عدّ واغلط!» . كانت ليلة صاخبة ولعلك تتفق معي ، يا أخي أبو لمياء ، أنه ليس من المناسب ، دبلوماسياً ورقابياً ، الدخول في تفاصيلها . في صباح اليوم التالي ، طرق كينيدي باب الغرفة واستأذنني في السفر إلى لوس انجلس لإلقاء خطاب سياسي هام . قلت : «خطاب سياسي والاّ حفلة في هوليود؟» . ضحك

ولم يعلّق . طلب مني أن أبقى في البيت الأبيض قدر ما أشاء ، وأخبرته أنني سأسافر صبيحة اليوم التالي . بعد ذهاب الرئيس بساعتين أو ثلاث فوجئت بقرع خفيف على الباب ففتحته وإذا بي ، وجهاً لوجه ، أمام جاكي .

توفيق - جاكي؟!

أبو شلاّخ - جاكلين ، يا أبو لمياء ، جاكلين . وجدتها أمامي والدموع تنهمر من عينيها الناعستين . كانت هذه أول مرّة أرى فيها الوليّة ومع ذلك ألقت بنفسها في ذراعيّ وأخذت تبكي ، بمرارة ، قرابة نصف ساعة . عندما هدأتْ قالت بصوتها الدافىء الهامس : «لقد خانني مرة أخرى . أليس كذلك؟!» . سُقتَ العبط على الهبلنه ، وقلت : «عفواً؟! من الذي خان من؟!» . قالت : «رأيت ، بعيونك ، ما حدث البارحة» . قلت : «لم أرْ شيئاً . تعشيت ونمت بمجرد انتهاء برنامج بيري ميسون» . قالت : «لا تكذب! كنت معه» . قلت : «يا بنت الحلال! يقول المثل : «يا غريب كون أديب» . وأنا ضيف أجنبي . لا تدخليني بين البصلة وقشرتها» . قالت : «يخصى عليك! أنا برضه بصلة؟!» . قلت : «كلمة تنقال . حقيقة الأمر ، أنك وردة يانعة رائعة الجمال» . تأملت وجهها الوسيم والدموع تجلّله وتكلّله ، وخفق قلبي ، فجأة ، بحبّها . قلت : «يا جاكي! عشقتك من هذه اللحظة . ولكن حنّا ، يا بني خالد ، ما نخون الرفيق وأنتِ مَرة صاحبي» . قالت : «لن يطول عمر الزواج» . قلت : «اللّه يبشرك . . . . أعني ماذا تقصدين؟» قالت : «لن يطول عمر

زواجي بجـاك» . قلت : «إذا انتـهى الزواج لنا فـيك غـرض ، ولكن كيف سينتهي الزواج؟ هل ستطلبين الطلاق؟» . قالت : «كبّر عقـلاتك! كيف أطلب الطلاق والعـالم كلّه يعتـقـد أننا أسعد زوجين؟» . قلت : «إذن كيف سينتهي الزواج؟» . قالت : «سـوف أصـبح أرملة حـسناء طروباً شـابّة» . قلت : «ومن وين جبتي هالمعلومة ، وجاك أقوى من ثويران؟» . قالت : «من عرّافة سان فرانسيسكو» . قلت : «حسبي اللّه على هالعجوز! ما ماتت لها الحين؟» . قالت : «ما ماتت» . أنا ، كما تعرف يا أخي أبو لميـاء ، لا أقـيم أي وزن للعـرافين والعـرافّـات ، ولكن شـؤم أبو سيكل قضية مُجرّبة ومعروفة . قلت : «جاكي! إذا صرتِ أرملة حسناء طروباً شابة لا تنسيني» . قالت : «أنا أحبّ البيزات» . قلت : «لديّ بيزات لا بأس بها» . قالت : «سوف أتصل بك» . في اليوم التالي ، أخذت طائرة كينيدي الخاصة ، وحططتُ في مطار القـاهرة الدولي ، ومن المطار أخـذت تكسي إلى بيت الريّس في منشـيـة البكري . بمجرد نزولي من السـيـارة انطلق شخص كالصاروخ وتعلق بكرافتتي حتى قطعها وهو يصرخ : «انت رايح فين ؟!» . قلت : «أسـتـاذ أبو سـيكل؟! ازيّك؟» . قال : «هيّه وكالة من غير بواب؟ والا هيّه وكالة من غير بواب؟! بدوي يأكل الجـدري منه الوجـه والمعـصم يقـابل الريّس؟!» . صـرخت بأعلى صـوتي : «يا أبو خـالد! يا أبو خـالد!» أطل الرئيس من البلكونه ورأى ما يحدث وابتدأ يقـهقه . قلت : «يا ريّس! تكفى فكّني من عاقلك ها المُربّط!» . أمر الريّس الحرس

الجمهوري بإدخالي واحتجاز أبو سيكل . دخلت مكتب الريّس المتواضع . عانقني بحرارة ، وأمر لي بليمونادة ، وقال : «أهلا يا أخ أبو شلاّخ! ماهي أخبار كينيدي؟» . قلت : «يسلّم عليك كثير السلام ، ويترجّاك تفكّه من قصة«من لا يملك أعطى من لا يستحق»» . ضحك الريّس وقال : «انت عارف مين كتبها ، مش كده؟» قلت : «عارف» . ثم أضفت : «ويقول لك كينيدي خلّ عنك خرابيط الاشتراكية والتدخل في شؤون البلاد العربية وسوف ترى منه ما يسرّك» . قال الريّس : «خرابيط يعني إيه؟» . قلت : «خرابيط يعني كلام فارغ» . قال : «كينيدي قال كده؟» . قلت : «نعم . وأزيدك شوق . وأنا ، بدوري ، أقول كده» . قال : «حتى أنت يا بروتس؟!» . قلت : «خصوصاً أنا يا بروتس» . قال : «يجب أن تفهم وضعنا يا أبو شلاّخ . كان مجتمعنا مجتمع الـ ٢٪ . أي أن ٢٪ من الناس يملكون ٩٩٪ من الثروة» . قلت : «صحيح . ولكن هل الحل أن تأخذ بيزاتهم وتعطيها لأقل من ١٪؟» . قال : «مين قال كده؟» . قلت :«كل واحد حطيتة مسؤول عن شركة من الشركات المؤممة بلع الأول والتالي» . قال : «بس أبو سيكل ما قاليش كدة» . قلت : «يمكن أبو سيكل ما يحب يكدّرك» . قال : «وِشْ تنصحني؟» . قلت : «أنصحك تعطي الناس حلالهم وتخليّهم يشتغلون وتلعن والديهم بالضرائب التصاعدية» . قال : «الحكاية دي ما تنفعش . ما حدش هنا يدفع ضرايب» . قلت : «وحكاية التأميم حتنفع؟!» . قال : «ألم

تقرأ الميثاق؟» . قلت : «الميثاق خربط بُربط ماركة أبو سيكل» . قال : «يعني إيه خربط بُربط؟» . قلت : «يعني كلام ما لوش معنى ، لا يودّي ولا يجيب» . أطرق الريّس مفكراً يُدخّن ، ثم قال : «سيبني أفكّر» . قلت : «وماذا عن التدخل في شؤون البلاد العربية؟» . قال : «تدخّل؟ أنا لا أتدخل . الجماهير تأمر وأنا أطيع» . قلت : «خالف الجماهير وأنا أخوك!» . قال : «لا أستطيع . سيبقى الشعب العربي في كل مكان سيّدي» . قلت : «اسمع يا ريّس يا كبير القلب! إذا كنت مُصرّاً على تأميماتك وتوجهاتك التدخلية فلم يبق أمامي غير أن أستأذن» . نظر الريّس إلى كرافتتي ، وسأل ضاحكاً : «أبو سيكل قطّعها لك؟! .» قلت : «قطّع أبوها!» . قال : «لك عندي ١٢ كرافته جديدة» . قلت : «اختلاف الرأي لا يفسد للكرافتات قضية» . استلمت الكرافتات ، وودّعت الريّس بحرارة ، وعدت إلى الوطن ومن هناك أرسلت رسالة بالشفرة لكينيدي أخبره فيها بما حدث . انشغلت بأعمالي التجارية حتى فوجئت ، ذات يوم ، بخبر اغتيال كينيدي في دالس . بعد الاغتيال بأسبوع وصلتني جريدة «الفهّام» . في الصفحة الأولى وجدت عنواناً رئيسياً يقول : آخر حديث يدلى به الرئيس جون كينيدى قبل اغتياله . بعد العنوان الرئيسي كانت هناك عناوين أصغر : * كينيدي يقول : أعرف أن نهايتي في دالس * كينيدي يعترف أنه زوّر الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٦٠ . * كينيدي يقول إن زوجته تخونه بانتظام . * كينيدي

يعتبر كاسترو مثله الأعلى . قلت لنفسي : «عفيْه على أبو سيكل! جاب ها المعلومات كلها في ٥ دقائق . وجاب خبر كينيدي!» . أرسلت برقية تعزية للأرملة الحسناء الطروب الشابة وجلست أنتظر . بعد مدّة تلقيت منها برقية تطلب مني الحضور إلى شقتها في نيويورك . ذهبت وكلّي أمل أن ينتهي الحب كرواية شرقية «بختامها يتزوّج الأبطال» ، كما قال صديقي نزار قباني . عندما دخلت الشقة استقبلتني سكرتيرة عبوس شمطاء ، وأخذتني إلى غرفة صغيرة ، وقالت : «أمامك ورقة وظرف وقلم . اكتب عرضك ، وضعه في الظرف ، واختمه» . قلت : «هاه؟ عرضي؟ أيّ عرض؟» . قالت : «اكتبْ مقدار الثروة التي تملكها» . كتبت في الورقة : «ثروتي تقارب ٥٠٠ مليون دولار» ، ووضعت الورقة في الظرف . أخذتْ الشمطاء الورقة ، وذهبت . بعد دقائق عادت وقالت : «تعال معي إلى لجنة فتح المظاريف» . أخذتني إلى غرفة أخرى ، وأجلستني بقرب رجل لم أره من قبل ، يرتدي بدلة أدميرال ويضع نظارة سوداء تحتل نصف وجهه . في صدر الغرفة وجدت طاولة اجتماعات ، ورأيت جاكلين في رأس الطاولة وعلى يمينها ويسارها رجلان أشيبان . قالت جاكلين : «تفُتحْ المظاريف!» . فتح عضُو اليمين ظرفاً ، وعضو اليسار ظرفاً . قالت جاكلين : «تُعلن النتيجة!» . قال عضو اليمين «يذكر المستر أبو شلاّخ أن ثروته تقارب ٥٠٠ مليون دولار» . سألتني جاكلين : «هل هذا صحيح؟» . قلت : «نعم» . قال عضو اليسار : «يذكر المستر

أوناسيس أن ثروته تتجاوز ١٥٠٠ مليون دولار» . نظرت جاكلين إلى الرجل الأدميرال ، وقالت : «هل هذا صحيح؟» . قال : «صحيح» . تهامستْ جاكلين مع عضو اليمين وعضو اليسار ثم قالت : «قررّت اللجنة ترسية المزاد على المستر أوناسيس» . قلتُ مذهولاً : «المزاد؟! أيّ مزاد؟!» قالت جاكلين : «قدّم أوناسيس عرضاً أفضل من عرضك وقرّرت أن أتزوجه هو» . قلت بحسرة : «تتركينني ، أنا الرجل الوسيم ، وتتزوجين هذا الأدميرال المزيف العجوز ، هذا الشيخ الذي يدبّ دبيباً؟!» . قالت : «أنذرتك أني أحب البيزات» . هنأت منافسي بروح عربية غير رياضية ، وخرجت من شقة جاكلين والدموع تنهمر من عينيّ ، وأخذت أنشد :

وِش بلاني بها البليّة اوناسيسْ
ها الجريكي . . عقرب الرمل . . الخسيسْ؟
أرملْه أحلمْ بها حَسنا . . وطروبْ
ودخلَ في الخطّ . .كِنّه أوتوبيسْ
يا زمانٍ حطّ من قدر الشريف
ورفع من قال عِندي مالْ وكيسْ
والشعر- واحسَرتي! - مثل الشعير
راحتْ أمجاده . . ورُحنا خرطبيسْ

توفيق - خرطبيس؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ - كلمة تنقال ، وتمشي مع القافية . المهمّ ، يا أخي

أبو لمياء ، أنني عدت إلى أعمالي التجارية ونسيت النساء حتى ظهرت في حياتي مذيعة «إلبسي» .

توفيق - عفواً؟!

أبوشلاّخ - مذيعة تعمل في محطة «إلبسي» الفضائية . وما دمت قد ذكرت اسم المحطة فلن أذكر اسم المذيعة . سوف أستخدم اسماً حركياً ، جورجينا . أجرت جورجينا مقابلة معي في محطة «إلبسي» عن الشعر النبطي . خلال المقابلة ، خفق قلبي بحبّها . فكّرت في أن أنظم لها قصيدة إلا أنني لاحظت خلال المقابلة أن معلوماتها في شعر النبط ، والشعر عموماً ، لا تختلف عن معلوماتي في بيض الصعو . حاولت أن أنظم لها زجلاً لبنانياً إلا أن نبيطان رفض بإصرار .

توفيق- نبيطان؟!

أبو شلاّخ - يا أبو لمياء ، ما قصة ذاكرتك؟ نبيطان هو شيطان شعري ، وما سُمّي بهذا الاسم إلاّ لأنه شيطان شعر نبطي . المهمّ أن علاقتي توطّدت بجورجينا وقاد شيء إلى شيء . تقدمت أطلب يدها ، فابتسمت وقالت : «فيك تدفع المهر؟» . قلت : «ولو ! ماذا تريدين ؟» . قالت : «لبن العصفور» . قلت : «لبن العصفور؟ وين ألقى لبن عصفور؟» . قالت : «هايدي مشكلتك إنت!» . صادف في الأسبوع نفسه أني رأيت رئيس الوزراء الذي تربطني به صداقة قديمة والذي بدأ بداية عصامية مثلي . قلت له : «دولة الرئيس! دخلك وين بلاقي لبن العصفور؟» . ضحك دولته ، وقال : «مين طلب منك لبن

العصفور؟» . قلت : «جورجينا . مذيعة «إلبسي» . أين أجده؟» .
قال دولته :«لو كنت أعرف جيبه كنت جبته لفخامته» . قلت :
«معذور!» . عدت إلى الوطن ودعوت إلى اجتماع طارئ لمجلس
إدارة شركة «أم سبعة» . قلت : «يا الربع ! أعرف أني آذيتكم
ولكن ما باليد حيلة . وين ألاقي لبن العصفور؟» . قال
طبيبان :«وش هو لِبن العصفور؟» . قلت : «علمي علمك» . قال
بروشتم :«لبن عصفور ما في كُلش» . قلت : «أشكرك على
دعمك المعنوي» . قال دليلان : «العصافير واجد لكن ما نقدر
نحلبها عصفور عصفور» . استقر الرأي على أن نعلن في
الأنترنت عن رغبتنا في شراء عصفور يدرّ لبناً . جاءتنا مئات
العروض ، وتبينّ بعد التحليل أنها عروض وهمية . كان أحد
العروض من ابن الحرام دكتور الطيور الذي باعنا بيضة الحمامة
المراهقه . كدت أفقد الأمل وأستسلم إلى اليأس وأخذت
أنشد :

لبن عصفور .. يا عالم؟
من اللي يبيع لبن عَصفورْ؟!
مذيعة في «البسي» طارتْ
بقلبي ... والقلوبُ طُيورْ
وتتدلّل ، وتتدلّع ...
وتتغنج ... وقلبي يفُورْ
ألاْ يا يازينة البسطة
ويا حوريّة الدامورْ

فـــــــديت لـبـنـان . . وسـكّـانـه
وأهل بيـروت . . وصـيـدا وصُـورْ
يـقـــــــــول أهـل المـثـل . . يـكـرم
مـن أجـل الـعـين . . ألـف نـاظـورْ
ولـكـن يـا بـعـــــــــد قـلـبـي
تـرى مـــهـــرك . . وَلاَ المهـــورْ
ســـــألـت عـنـه بـأمـــــريـكـا
وفـي بـكـين . . فــــوق الـسُـــورْ
وفـــي ديـــار تحـــكـــيْ هـــنـــدى
وعـنـد نـاس تـقــــول «بـونجــــورْ»
ولا لا قـــيــتْ مِـنْ شــــافــــه
وأنا أمـــشي . . والشـــهـــور تدُورْ

كنت منشغلاً بإنشاد هذه القصيدة ، وبرشوتم يستمع ويهز رأسه طرباً عندما دخل طبيبان متهللاً وقال : «وش ابشرّك؟! لقيته!» . قلت : «ماذا لقيت؟» . قال : «العصفور الذي يحلب» . قلت : «وين؟» . قال : «في البرازيل» . قلت : «وِكاد»؟! . قال : «جاك العلم! . شفت صاحب العصفور على الانترنت بنفسي يحلب العصفور» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، طرنا إلى البرازيل ، وتوغّلنا في أعماق الأمازون ، حتى وصلنا إلى قرية بدائية وادعه ، يسكنها قوم بدائيون وادعون . ذهبنا إلى بيت رجل عجوز نحيل أخرج لنا العصفور . ضغط طبيبان على مكان

ما في مؤخرة العصفور فسال الحليب حتى ملأ فنجان قهوة عربي . قلت «بكمْ؟» قال : «مليون دولار» . قلت : «وجع! عصفور بمليون دولار؟!» . قال : «تبي ، والاّ مع السلامة؟ .» قلت : «أبي» . دفعنا للأمازوني الجشع مليون دولار ، عداً ونقداً ، وعدت ، أسابق الريح ، إلى بيروت . ذهبت إلى محطة «إلبسي» أسأل عن جورجينا فقيل لي إنها استقالت وتزوّجت . وقع الخبر عليَّ وقع الصاعقة ، ولكنني تجلدت . أخذت رقم تيلفونها من المحطة وكلمتها وجاء صوتها يحمل الغنج المعتاد : «آلوو!» . قلت : «جورجينا! أنا أبو شلاّخ . جبت معي لبن العصفور . مهرك» . قالت : «شو؟!» . قلت : «لبن العصفور! هل نسيت؟!» . قالت : «ولشو تأخرّتْ؟» . قلت : «يا بنت الحلال! هو لبن العصفور يباع في البقّالة؟ تأخرت أبحث عنه حتى وجدته» . قالت : «لا تآخذني . خطبني خليجي ودفع لي مهر نص مليون دولار وتزوجته» . قلت : «نص مليون دولار؟! أنا اشتريت لك العصفور بمليون دولار» . قالت : «مليون دولار!! شو انت زنكين؟» . قلت : «زنكين ، ونص!» . قالت : «لشو ما خبّرتني؟ كنت بظنّك شاعر معتر» . قلت : «معتر؟!» . قالت : «غلبان مسكين» . قلت : «وليش طلبتي لبن العصفور؟» . قالت : «تصريفة . كان بدّي تحلّ عن سماي» . قلت : «يا طبيبان! اللّه يذكر الفلاحي بالخير» . قال طبيبان : «بلا الرجاجيل من النساوين» . كلّمت رئيس الوزراء تيلفونياً ، وقلت : «دولة الرئيس! لقيت لبن العصفور . تبغيه لفخامته؟!» .

قال دولته : «فخامته هاليومين عمّ يشرب حليب السباع» . قلت : «حليب السباع؟! ما أغرب ألبانكم يا أهل لبنان . ووَرَا ما تشربون حليب «نيدو» مثل العالم؟» . قال : «لنا خصوصيتنا» . قلت : «بخاطرك!» . عُدنا إلى الوطن بعصفورنا . قلت لطبيبان : «وش نسوّي الحين بها العصفور؟» . قال طبيبان : «نبيع اللبن على الناس» . أعلن طبيبان عن توفّر لبن العصفور الأسطوري الذي يشفي من الحساسية والسكر والضغط والدوالي والنقرس والسمنة والعنّة . انهال علينا الزبائن ، وبدأنا نبيع ملعقة الشاي من اللبن بألف ريال . إلا أن العصفور سرعان ما تُوفّي ، مأسوفاً عليه ، بسبب الهزال . قررت الإضراب عن الحب ، وانهمكت في أعمالي التجارية ، ونسيت النساء حتى ظهرت في حياتي ، بلا مقدمات ، أحلام الشاعرة . حضرت أمسية شعرية من أمسياتها ، وأحببتها من النظرة الأولى . سرعان ما تبين أن الحب متبادل ، وقاد شيء إلى شيء ، وتقدمت لخطبتها ووافقت إلا أنها اشترطت عليّ . .

توفيق – حليب السباع؟!

أبو شلاّخ – يا ريت! اشترطت عليّ أن أتحوّل من نظم الشعر النبطي إلى نظم الشعر الفصيح .

توفيق – لماذا؟

أبو شلاّخ – لأن حضرتها عروبية حتّى النخاع ، وحدوية حتّى المصارين ، قومية حتى الغدة الدرقية ، وترفض أن تربط مصيرها بمصير شاعر قطري انعزالي انكفائي نبطي .

توفيق – وهل تحوّلت إلى الشعر الفصيح؟
أبو شلاّخ – حاولت ، يا أخي أبو لمياء ، حاولت . كان حُبّ أحلام أهم شيء في حياتي ، أهم من الشعر بكل أنواعه وأصنافه . ولكن موضوع الشعر ليس بيد الشعراء . موضوع الشعر بيد شياطين الشعراء . رجوت نبيطان أن يتركني ويحيلني إلى شيطان من زملائه شياطين الشعر الفصيح . إلاّ أنه رفض بشدّة وعناد . تستطيع أن تقول ، يا أخي أبو لمياء ، إنه أقنعني . قدّم لي مجموعة من الأسباب الوجيهة . أولاً ، معظم شعراء النبط من الطبقات العليا ، وبعضهم من رؤساء الدول أو من في حكمهم وهم ، في أسوأ الأحوال ، من الميسورين بينما تجد أن شعراء الفصحى من المسحوقين والمنتوفين والمعتّرين ، مع استثناءات نادرة . ثانياً ، لا يحب المطربون سوى شعر النبط ، وعدد قصائد الفصحى المغنّاة هذه الأيام لا يتجاوز واحد في المليون . ثالثاً ، أمسيات الشعر النبطي تغصّ بالآلاف ، أما أمسيات الشعر الفصيح فلا يحضرها سوى الشاعر وعريف الحفلة والفرّاش المسؤول عن تنظيف القاعة . رابعاً ، الشعر النبطي يفهمه العامة والخاصة ، المتعلمون والأميون ، أما شعر هذه الأيام الفصيح فلا يفهمه سوى أدونيس وقاسم حداد وكمال أبو ديب . خامساً ، الشعر النبطي أقصر طريق إلى قلوب الحسان إذا استثنينا أحلام المعقدة . سادساً . . . .
توفيق – يكفي! أسباب مقنعة .
أبو شلاّخ – صدقت! ولهذا قررت أن أبقى مع شعر النبط .

عقدت اجتماعاً عاجلاً لمجلس إدارة شركة «أم سبعة» لبحث الموضوع . قال طبيبان : «وش سالفتك اليوم؟ مواخيذها وإلاّ مواخيذك؟» قلت : «المشكلة ، اليوم ، شعرية . أحلام تبيني أكتب شعر فصيح» . قال دليلان : «أفا! نترك تقاليد أجدادنا وآبائنا من أجل مَرَه؟ «قلت : «صح لسانك!» . قال برشوتم : «في هِند شعر سمّي غَزل غنيّ مطرب» . قلت : «أفادك اللّه!» . قال طريبان : «أنا ويلي على خل . . .» . قاطعته : «يا طريبان! ليس هذا وقت طرب» . قال ضحيكان : «واحد تزوج أحلام لقي كوابيس!» قلت : «بايخة!» قال طبيبان : «ورَا ما تستأجر شاعر يكتب شعر فصيح وتنسبه لنفسك مثل سالفة الشجرة؟» . قلت : «أحسنت! هذا هو الراي» . قال ركيضان : «نسوّي مناقصة» . قلت : «توكلنا على اللّه» . أعلنّا في «الإنترنت» عن مناقصة لتأمين ديوان شعر فصيح غزلي لا تقل قصائده عن ٤٠ قصيدة . بطبيعة الحال لم أعلن عن اسمي الحقيقي . في غمار قصة الحب الشعرية الملتهبة هذه قطع عليّ حبل أفكاري سنترال البيت الأبيض الذي قال : «معك السيد الرئيس!» . قلت : «أهلاً بالسيد الرئيس!» . قال ليندون جونسون : «عثرت ، هذا الصباح فقط ، على وديعة روزفلت في درج من أدراج المكتب . أودّ التعرّف عليك والتشاور معك» . قلت : «أبرك ساعة!» . قال : «غداً سوف تحطّ طائرة شبح على الدور السابع من مبنى الشركة وتحضرك» . قلت : «عفيه على الاستخبارات الأمريكية! سوف أكون في الانتظار» . لا أطيل

عليك ، يا أخي ابو لميــاء ، دخلت على جــونســون المكتب البيضاوي فوجدته يتريّض على درّاجة ثابتة . رحب بي الرجل ترحيباً حاراً وأمر لي بتي بون ستيك . بعد الوجبة الدسمة جلس وراء مكتبه ، وسدّد حذائه إلى وجهي ، وقال : «يا أبو شلاّخ! ماذا نفعل مع صاحبك؟» . قلت : «طبيبان»؟! . ضحك جونسون وقال : «لا! لا! أقصد الريّس» . قلت : «أنا متزاعل مع ـّس لا يكلمني ولا اكلمّــه . ولكن شــالقـصــة؟» . قــال

زميلك في الشلخ» . قال : ««آه! بتاع السعودية! سِرداد مرداد! عاوز إيه تاني؟» . قلت : «عندي رساله من جونسون للريّس» . قال : «خلّي جونسون يكلّمني بنفسه» . قلت : «اسمع يا أستاذ أبو سيكل! أنا مو مكوّش على جونسون تكويشتك على رفيقك . هذا تكساني متوحّش ما عنده كبير إلا الجمل . تبيّ تسمع الرسالة وإلاّ ما تبيّ؟» . قال : «هات!» . قلت : «يقول جونسون ذبحتوه من كثر ما تشربونه ما البحر» . ضحك الأستاذ أبو سيكل ، وفوجئت بدخان سيجار يخرج من سمّاعة التيلفون . قلت : «سيجار كوبي؟!» قال : «هدية من كاسترو» . قلت : «تدخين العافية!» . قال : «والزبدة؟!» . قلت : «الزبدة أن جونسون ينصحكم بفتح صفحة جديدة في التعامل مع أمريكا لأنها وحدها القادرة على حمايتكم من إسرائيل» . قال : «قُلّوا يشرب ميّة البحر!» . قلت : «قُلّوا انت!» قال : «انت مش حتسمع الكلام ، يا واد أنت يا واد؟!» . قلت : «ألمثلي يقال هذا؟! اسمع :

يا حليلك يا ابو سيكلْ
يا حليلك راكب سيكلْ
مرة تكون المستر هايد
ومرة تكون دكتر جِيكلْ
وفي موسكو اسمك جوربي
وفي واشنطن صار «مِيكلْ»

قـال : «يعني إيه مـيكل؟» قلت : «مـيكلْ» تعني مـايكل وغيّرت لضرورة الشعر» .

وتقـــول أنـــك يســـاري

مـــا عنـــدك حـــتى «نيكـــلْ»

قـــال : «يعني إيه «نيكـل»؟ قلت : «نيكـل» تعني نكْله وغيّرت لضرورة الشعر» .

وتاكـــل فـــي باريـــس كـافيـــارْ

وتـاكـــل في العـــزبْـــه «ويكـــلْ»

قـــال : «يعني إيه «ويكلْ ؟» . قلت : «ويكـل تعني ويكه وغيّرت لضرورة الشعر» .

وتركب فـــي لنـــدن رولزرويـــس

غـــيـــــــــــر الفنـدق و«الميكـلْ»

قال : «يعني ايه «ميكل؟»» . قلت : «ميكـل» تعني الماكلة ، تعني الأكل . «وغيّـرت لضرورة الشعـر» . قـال : «كل حـاجه ضرورِه؟!» . قلت : «تستطيع أن تعتبـرني الشاعـر الضرورة» . قال : «بقى ، بالذّمة ، الكلام الهايف دا اسمه شِعر؟!» . قلت : «غصبن عليك!» قال : «طبْ خد عندك! يا أبو شلاّخ السعودية! يا إبره مصـدّية! على الكوم مـرميّـة!» . قلت : «يا أسـتـاذ ابو سـيكل! هذا لا يُسـمّى شِعـراً . هذا يُسـمّى ردحـاً . وهو ردح

مُقفّى ولكنه ليس موزوناً» . قال : «أمثلي يقال هذا وأنا أحفظ ٥٠٠,٠٠٠ بيت شعر من نظم النساء ، غير نظم الرجال؟!» . قلت : «تكفي عَطْن كم بيت منهن لأحلام» . قال : «أحلام مين؟» . قلت : «مش شغلك!» . قال : «ما أعطلكش بقى!» . قلت : «وماذا أقول لجونسون؟» . قال : «اشرب ميّة البحر!» قلت : «أي بحر؟!» . قال : «بحر القلزم» . قلت : «القلزم؟! وين هالبحر؟» . قال : «علمي علمك . قرأته في بيت شعر للبارودي باشا شاعر البورجوازية الصغيرة» . قلت : «وآخر كلام؟» . قال : «سبتك بعافية!» . عدت إلى الوطن ومن هناك أرسلت برقية لجونسون قلت فيها : «لا فائدة . أنصحك بشراء جهاز لتحلية مياه البحر» . استأنفت قصة حبي مع أحلام ، وألّفت لجنة برئاسة برشوتم للبتّ في العطاءات التي وصلتنا ، وكان عددها ٩٩ ديواناً . تقرر ترسية العطاء على شاعر رمز لنفسه باسم «الخزامى» بمبلغ ٢٥,٠٠٠ دولار . طبعتُ المخطوطة طبعة أنيقة جداً ، وسميتُ الديوان «قوافي الحب الفُصحى» ، وأهديته «إلى أحلام ، منبع الإلهام ، ومصدر الأنغام» . تأبطتُ الديوان ، وذهبت إلى أحلام ، وأبلغتها أنني طلّقت الشعر النبطي وجئت أحمل إليها باكورة إنتاجي بالفصحى . أعطيتها الديوان ، وأخذتْ تتصفحه وابتسامتها تتسع مع كل صفحة ، حتى بدأت تقهقه . اتّفقّتُ مع أحلام على موعد الخطبة . . .

توفيق – عفواً! كيف سمحت لنفسك بخداع الفتاة؟

أبو شلاّخ – تجيك السالفة ، يا أخي أبو لمياء ، تجيك

السالفة . قبل أن تتم مراسم الخطبة قلت لأحلام : «حبيبتي! ضـمـيـري يؤنّبني . هناك سـرّ لا بد أن أبوح به قـبل أن تتمّ الخطبة» . قالت : «حبيبي! ليس بيننا أسرار! »قلت : «الديوان الذي أهديتُه لك ليس من شعري . حصلت عليه عن طريق مناقـصـة في «الانتـرنت»» . بدأت أحـلام تضـحك . قلت : «خير؟!» . قالت : «حبيبي! وانا ، بدوري ، لديّ سرّ . قلت : «هاتي!» . قـالت : «أنا التي كـتـبتْ الديوان ، وأرسلتـه باسم الخـزامى ، وحـصلت على المبلغ» . بدأت أضـحك ، وقلت : «دجّالة ودجّال! وافق شَنٌ طبقه!» . قالت : «صدقت! فلنكملْ مراسم الخطبة» . في هذه الأثناء فُتح باب الصالون ودخل علينا هيكل عظمي في شكل فتـاة . أمعنت النظر ، فاتضح لي أنها لطيـفـة . نظرت لطيـفـة اليّ وقـالت لأحـلام : «خـدعني هذا الوغـد . أخـذني لحـماً ورمـاني عظمـاً . أنظري مـا حـدث لي بسـبـبـه» . قـالت أحـلام : «هل هذا صـحـيح يا أبو شـلاّخ؟» . قلت : «حبيبتي! إسمحي لي أن أروي لك القصة من بدايتها إلى نهايتها» . قالت : «القصّة؟ أنت ، إذن ، تعترف؟» . قلت : «إسـمـعي القـصـة!» . بدأت لطيـفـة تبكي ، وقـامت أحـلام تحتضنها وتبكي بدورها . عندما هدأت أحلام بعد وصلة البكاء نظرتْ إليّ شزراً وأنشدت :

قُبّحتَ يا شلاّخ . . .

قـاطعـتـهـا : «اسـمي أبو شـلاّخ» قـالت «إخـرسْ! للشـعـر ضروراته» ، واستأنفت الإنشاد :

قُبّحتَ يا شلاّخُ من زِفتِ
أهكذا تفعلُ بالبنت؟!
خطبتنا مفسوخةٌ .. فانصرفْ
في الحال ، يا ثورُ ، من البيتِ

خرجت والدموع تنهمر من عينيّ وأنا أردّد . . .
توفيق - «بلا الرجاجيل من النساوين» .
أبو شلاّخ - صدقت ، يا أخي أبو لمياء ، صدقت! .

الفصل السادس

رحلتي الغريبة حول العالم

أواناً في بيوت البدْو .. رحْلـــــــي
وآونةً علـــــى قـــتب البــعـــــــيرِ

المتنبي

توفيق – هل هناك المزيد من النساء في حياتك ؟

أبو شلاّخ – بكل تأكيد ، يا أخي أبو لمياء ، بكلّ تأكيد . وقد أعود إلى الحديث عن بعضهن وقد لا أعود . أودّ ، الآن ، أن أستأنف قصة حياتي . اقترح الدكتور هاري كرشنا برشوتم مشروع تربية الجراد كما سبق أن أخبرتك . ووافق مجلس الإدارة ، بالإجماع ، على الفكرة . وبدأنا نبحث عن الشريك المناسب . كان بحثنا في «الانترنت» ، وبالتحديد في «بزنس تو بزنس» . هل تعرف المقصود بالتعبير؟

توفيق – أعتقد أن المقصود الشركات التي تتعامل مع شركات أخرى وليس مع مستهلكين أفراد .

أبو شلاّخ – صدقت ! جاءتنا عروض كثيرة من كل مكان . وكان أفضلها العرض الذي جاء من أستراليا . شركة تملك مساحات شاسعة من الأراضي أكثر مئات المرّات من الأراضي التي أحيتها شركة «أم سبعة» . وكانت الشركة الأسترالية متحمّسة للفكرة أكثر من حماستنا . ذهبت إلى أستراليا ، وفوجئت أن الشركة يملكها «كروكاديل دندي» .

توفيق – ولكن «كروكاديل دندي» شخصية سينمائية خيالية .

أبو شلاّخ – قد يكون شخصية سينمائية ولكنه ، بلا شك ، شخصية حقيقية ، والدليل على ذلك أنه يملك الشركة التي تعاونت معنا في مشروع تربية الجراد . بدأتُ بالذهاب إلى منظمة الأغذية والزراعة في روما وقابلت المدير العام . قلت : «أريد بيض جراد من أكثر الأنواع قوة ومقاومة» . قال : «ليش ؟» . قلت : «تود شركتي إجراء تجارب علمية تستهدف استئصال شأفة الجراد إلى الأبد» . قال : «أنت تقدّم خدمة عظمى للإنسانية . سوف أعطيك أجود أنواع البيض مع شكري الجزيل» . قلت : «لا شكر على واجب» . بدأنا تربية الجراد الذي تكاثر بسرعة هائلة ، وأقمنا سوراً من الذبذبات الكهربائية حول المنطقة حتى لا يفلت الجراد ويأكل الأخضر واليابس في استراليا . بدأنا نبيع الجراد للبلاد العربية والإسلامية ، وسرعان ما اتضّح أن الطلب يفوق كلّ توقعاتنا . كنا نبيعه في مختلف العبوات : طازجاً ومثلجاً ومبرّداً ومخلّلاً ومشوياً ومقليّاً . إلا أنني أؤكد لك ، يا أخي أبو لمياء ، أنه لا صحة للتشنيعة التي ظهرت فيما بعد تزعم أننا كنا نكتب على كل عبوة : «مذبوح على الطريقة الإسلامية» . مالبث الجراد أن تحوّل إلى أكلة شعبية في مناطق كثيرة من العالم ، وجنينا أرباحاً لا تُصدّق . جانا الجح يدربي القرع ، كما يقول المثل . سُرّ «كروكاديل دندي» بالأرباح المتدفقة ، وطلب مني التفكير في مشاريع جديدة . ذات يوم ، كنت أتجوّل معه في صحاري أستراليا وفيافيها ، وإذا بي أمام ضبّ لا يختلف في شيء عن الضبّان

التي حفرت حقل الغوار . قلت : «هل لديكم الكثير من الضبّان في أستراليا؟» قال : «أكثر من الهمّ على القلب» . قلت مستغرباً : «ولديكم هذا المثل أيضاً ؟» قال : «أكثر أمثالنا مسروقة من الحضارة العربية» . بدأنا تصدير الضبان الاسترالية إلى الوطن ، وسرعان ما امتلأت الأسواق بالضبّان ، وكفّ العرب عن أكل الضبّان المحلية ، وإن كان البعض لم يكفّ عن قتلها ، كما سبق أن أخبرتك . ذات يوم ، جاء طبيبان بفكرة رائعة . قال لي : «هل تعرف كم تنجب أنثى الخروف النجدي؟» قلت : «راس أو راسين» . قال «هل تعرف كم تنجب أنثى الأرنب؟» . قلت : «كثير» . قال : «وش رايك نعمل ملاقحة بين الأرنب والخروف النجدي ؟» . قلت : «أنت صاج؟!» . قال : «هذا ممكن علمياً» . قلت : «توكلنا على اللّه» . تمكّنا بواسطة «كروكاديل دندي» من تهريب خراف نجدية إلى أستراليا . أجرى طبيبان تجاربه ، وبعد شهور قليلة بدأت الخراف النجدية تتكاثر بسرعة الأرانب .

توفيق – وشكل الخروف ؟

أبو شلاّخ – لا يختلف الخروف المطوَّر عن الخروف النجدي فيما عدا حُبّه الشديد للجزر . بِعنا الخروف الجديد بسعر يقل عن سعر الخروف النجدي وحققنا أرباحاً خيالية . ثم جاء طبيبان بفكرة رائدة أخرى : الملاقحة بين الكانجرو والجمل . في أستراليا تعيش جمال متوحشة منذ مئات السنين . اصطاد «كروكاديل دندي» عدداً منها ، وبدأت تجارب طبيبان . أنتج

طبيبان مخلوقاً يشبه الجمل، تماماً، إلاّ أنه يستطيع القفز كالكانجرو. خصصنا هذه الجمال لسباقات الهجن، وسرعان ما قفز سعر الواحد منها إلى ٥ ملايين دولار.

توفيق - ٥ ملايين دولار للجمل الواحد؟!

أبو شلاّخ - نعم، يا أخي أبو لمياء، نعم. لاحظْ أن الجمل المكنجر يقفز قفزات هائلة ويفوز في أي سباق هجن يدخله. جنينا قدراً لا يستهان به من الأرباح. بعد فترة اكتشفتْ لجان التحكيم في سباقات الهجن سرّ الجمل المكنجر وأصدرت قراراً بمنع دخوله في السباقات. في هذه الأثناء طَقّتْ نفسي من «كروكدايل دندي» ومبالغاته وأكاذيبه، وطَقّتْ نفسي من استراليا. قرّرت القيام برحلة حول العالم للترفيه عن النفس والفرفشة واكتساب ٥ فوائد والبحث عن مشاريع جديدة تنفع الناس ولا تضرّنا. تركت طبيبان مسؤولاً عن عمليات الشركة في أستراليا، ودليلان مسؤولاً عن المقرّ الرئيسي، وبرشوتم مسؤولاً عن قسم أسواق البترول المستقبلية.

توفيق - أسواق البترول المستقبلية؟! لم أفهم.

أبو شلاّخ - حسناً! سوف أفهمك. أشتري البترول اليوم بسعر السوق ولنفترض أنه ١٠ دولارات، وأطرحه للبيع بالسعر السائد في موعد معين في المستقبل، بعد ٣ شهور مثلاً. لا تخلو الدنيا من مضاربين يشترونه بأمل أن ينزل السعر عن سعره الحالي. قبل حلول موعد البيع بأيام آخذ معي بروشتم وأذهب لزيارة صديق من أصدقائي، وزير البترول في الدولة

الفلانية . يقوم برشوتم بتنويم الوزير مغناطيسياً ويأمره أن يفقع تصريحاً يقول فيه إن دولته تفكر ، جدّياً ، في خفض الإنتاج . بمجرد صدور التصريح تتضاعف الأسعار وأتمكن من تحقيق ربح لا بأس به . يجب أن تتذكر ، يا أخي أبو لمياء ، أن هذا كان في حقبة تاريخية مضتْ وانتهت .

توفيق - أفهمْ من هذا أن الكثير من الثروات تكوّنت بسبب . . .

أبو شلاّخ - افهم ما شئت! كان هذا في الماضي . الآن ، كما يعرف الجميع ، لا يوجد وزراء بترول ينوّمون مغناطيسياً ويفقعون تصريحات تزلزل السوق . حقيقة الأمر ، أن تصريحات وزراء البترول لا تؤثر في أسعار البترول إلاّ بمقدار ما تؤثر فيها تصريحات المذيعات الفضائيات «السيّدتي» . دعني أستأنف الحديث عن رحلتي الغريبة حول العالم ، هذه الرحلة التي استغرقت ٤ سنوات وشهدت من الأحداث العجيبة . . .

توفيق - ٤ سنوات ؟! أطول رحلة حول العالم لا تستغرق سوى بضعة أسابيع .

أبو شلاّخ - أنت تتحدث عن رحلة عادية يقوم بها إنسان عادي . أنا إنسان غير عادي كما تعرف جيداً ورحلتي ، بدورها ، رحلة غير عادية . حصلت لي أهوال ومغامرات خلال الرحلة لا أستطيع أن أحدثّك عنها كلّها ، وإلاّ تطلّب الأمر عدة مجلدات . سوف أكتفي بالكلام عن بعضها . خلال هذه الرحلة ، على سبيل المثال ، قمت بدور تاريخي في تطوير «الانترنت» .

توفـيق – «الانتـرنت»؟! ألـم تقـل إنك كنت تسـتـخـدم الانترنت قبل . . .

أبو شلاّخ – يا أبو لمياء! خِذْ وعبّر! خِذْ وعبّر ! حِطّ في الخرج ! اسـمع السـالفـه ، واحكم . سـبق أن قلت لك إن مـسـألة التـواريخ ، ومـا حـدث قـبل ومـا حـدث بعـد ، لا تهـمني على الإطلاق . أنا لست أرشـيفاً ؛ أنا مجرد فلتة من فلتات الزمن . هل تريد أن تسمع قصة «الانترنت» . أو لا تريد؟

توفيق – أريد ، بطبيعة الحال .

أبو شلاّخ – حسناً إذن ، استمع جيداً ولا تقاطعني . نحن لسنا في برنامج «أكثر من رأي» . لا يوجد ، هنا ، سوى رأي واحـد هو رأيي أنا . لعلّك تعـرف ، يا أخي أبو لميـاء ، أن «الانترنت» بدأ بداية متواضعة كمجرد ربط كومبيتري بين وزارة الدفـاع الأمـريكيـة وبعض المواقع العـسكرية الهـامـة . توسّعت الشبكة ، تدريجياً ، ولكنها ظلت محصورة في الإطار العسكري . حقيقة الأمر ، أن وجودها في تلك الأيام كان يعتبر من الأسرار العسكرية . سوف أروي لك ، الآن ، كيف تحوّلتْ «الانترنت» من الاستخدام العسكري إلى الاستخدام المدني . خلال رحلتي حول العالم توقفت في مدينة سان فرانسسكو . كنت أذهب ، يومياً ، إلى مرفأ الصيادين . كان هذا المرفأ ، في الماضي ، ميناءً يستخدمه صيادو السمك بالفعل إلاّ أنه تحول ، فيما بعد ، إلى منتجع جميل مليء بالمطاعم السمكية الفاخرة . ذات يوم ، دخلت مطعماً من هذه المطاعم ، وطلبت أكبر لوبستر

وجدته يلبط في الحوض . فجأة ، بدأت تصل إلى سمعي همسات من الطاولة المجاورة . التفت ، ببطءٍ وهدوء ، ودون أن يلاحظني أحد ، وكم كانت دهشتي عندما اكتشفت أن الزبائن الجالسين على الطاولة والذين يرتدون ملابس مهلهلة هم أساطين السياسة والاقتصاد والفكر والعسكرية في أمريكا . كان على الطاولة شولتز راعي «بكتل» ، وكيسنجر الرجل البومة ، وشوارزكورف راعي عاصفة الصحراء ، وفورد راعي السيارات ، وهنتنجتون راعي صراع الحضارات ، والياباني السخيف ، نسيت اسمه ، راعي نهاية التاريخ ، بالإضافة إلى آخرين لم أعرفهم . بدأت أصغي إلى الهمسات ، واكتشفت أن الجماعة يتحدثون عن اجتماع يعقده النادي البوهيمي ذلك المساء .

توفيق - النادي البوهيمي ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ - النادي البوهيمي ، أو البوهيميون إذا أردت الدقة ، هو ملتقى سرّي للغاية يضمّ أهل الحل والعقد في أمريكا ، الرجال الذين يديرون أمريكا ، من وراء الكواليس ، ويديرون العالم من خلال أمريكا . في النادر جداً يُدعى بعض الأجانب لحضور بعض الجلسات إلاّ أنهم أجانب درجة أولى ، من أوربا واليابان . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، أني كنت أسمع الكثير عن هذا النادي ولم يخطر ببالي أني سأحضر اجتماعاً من أخطر اجتماعاته . تبعت كيسنجر إلى الفندق الذي يسكنه ، ورابطت في اللوبي حتى المساء ، وعندما خرج تبعته . من محاسن المصادفات أني وجدت في جيبي طاقية الإخفاء

التي استعرتها من الاستديو خلال سفرتي التاريخية إلى الهفوف مع ريتا هيوارث . أصبحت الطاقية قديمة ، ولكنها لم تفقد قدرتها على الإخفاء . لبست الطاقية ، وتبعت كيسنجر إلى محل الاجتماع الذي كان منعقداً في فندق صغير متواضع . كان هناك قرابة ٥٠ بوهيمياً ، من رئيس جمهورية سابق إلى رئيس جمهورية ينتظر دوره ، غير الجنرالات والجواسيس والبروفسورات ورؤساء مجالس إدارة الشركات متعددة الجنسية وكبار منتجي هوليود . طُرِقَتْ ، خلال الاجتماع مشاريع خطيرة جداً بعضها تبلور ، فيما بعد ، وأصبح ظاهراً للعيان ، وبعضها لم يتبلور . لا أود أن أثقل عليك برواية الأشياء التي سمعتها . .

توفيق - لا! لا! أود أن أعرف ما دار .

أبو شلاّخ - أخشى أن تعتبر كلامي جزءاً من نظرية المؤامرة .

توفيق - أنا أول المؤمنين بنظرية المؤامرة .

أبو شلاّخ - حسناً! كان هناك نقاش مستفيض عن كيفية تحطيم الاتحاد السوفييتي . استقرّ الرأي على دفع ممثل سينمائي دبّوج إلى سدّة الرئاسة وإقناعه بالبدء في حرب نجوم باهظة التكاليف يضطر الاتحاد السوفييتي إلى مجاراتها فيفلس وينهار . كما قرّر المجتمعون اختيار بابا من دولة شيوعية ليُمكن ضرب الشيوعية من الداخل . وكان هناك قرار بأن تقوم حربان بين إسرائيل والعرب . في الحرب الأولى تنتصر إسرائيل انتصاراً

ساحقاً يجعل العرب يتخلّون ، نهائياً ، عن فكرة تحرير فلسطين . في الحرب الثانية يحقق العرب انتصارات واضحة ثم تنتكس ، وبانتكاسها يدركون أنه لا مفرّ من الصلح مع إسرائيل . كان هناك حديث طويل عن نظام دولي جديد لا داعي لتكراره لأنه أصبح حقائق يعرفها الجميع . مالا يعرفه الجميع أن كل التطورات المعاصرة التي نشهدها الآن خطط لها النادي البوهيمي قبل وقوعها بسنوات طويلة . هذا ، ونحن ، معشر العرب ، إذا خططنا لبرنامج شهر واحد اعتبرنا أنفسنا من عباقرة النفس الطويل . ما يهمّني ، يا أخي أبو لمياء ، الآن ، هو أن تعرف أن الاجتماع كرّس وقتاً طويلاً لموضوع «الانترنت» . أوضح الجنرالات استخدامات المشروع العسكرية ، وتحدثوا عن إمكانية استخدامه في أغراض مدنية . تحدّث كيسنجر ، مطوّلاً ، عن الآفاق التي سيفتحها «الانترنت» ، وكيف يمكن أن يجتاح العالم حاملاً معه الهيمنة الأمريكية . ذهلت وأنا أستمع . أيامها ، لم يكن معظم العالم الثالث يعرف الهاتف الآلي ، والبوهيميون يتحدّثون عن شبكة تربط الدنيا كلها بالكومبيتر . خرجت من الاجتماع وأنا أفكر في كيفية الاستفادة ، تجارياً ، من هذا الاكتشاف الغريب . اتصلت بمركز «أم سبعة» الرئيسي ، وكلفت الشركة بالاستعانة بعدد من المستشارين حتى وصلت إلى هدفي . كان هدفي العثور على شاب أمريكي نابغة طموح فلتة لديه خيال واسع ومعرفة أوسع بالكومبيتر . قاد البحث إلى موظف صغير مغمور يعمل في

شركة صغيرة مغمورة اسمه بيل جيتس . . .

توفيق - الذي يملك شركة . . .

أبو شلاّخ - هو بعينه ! أيامها ، لم يكن يملك شيئاً . اجتمعت به واقترحت عليه أن يستقيل ويؤسس شركة بتمويل مني ويديرها ويعدّها بحيث تكون جاهزة عندما تُفتح آفاق «الانترنت» الجديدة . لم يسمع بيل جيتس ، وقتها ، بالكلمة ولم أستخدمها أنا . اكتفيت بالتلميح والإيماء ، ولم أُطلع بيل على كل التفاصيل . إلاّ أن الولد كان ذكياً جداً ولقطها وهي طايره ورحّب بالفكرة . دفعت له ٥ ملايين دولار وأصبحت شريكاً بنسبة ٥٠٪ من الشركة على أن يمتلك بيل الباقي مقابل جهوده . وبقيّة القصة تاريخ ، كما يقولون .

توفيق - أنت تملك ٥٠٪ من شركة بيل جيتس . . .

أبو شلاّخ - بكل تأكيد . هل تريد أن ترى الوثائق ؟

توفيق - لا . أريد أن أعرف كم أصبحت قيمة استثمارك الآن .

أبو شلاّخ - بضعة بلايين ، تصعد وتهبط مع تقلّبات البورصة . هذا ليس مهمّاً . المهم أن تعرف أني كنت الأب الحقيقي «للإنترنت» . وإذا كنت تستكثر عليّ هذا الوصف فاعتبرني الأب الروحي . تصوّر ، يا أخي أبو لمياء ، كيف جعلتني المصادفة لاعباً رئيسياً في لعبة العولمة قبل أن يسمع أحد هذه الكلمة . غنيّ عن الذكر أني ، بعدها ، أصبحت أحرص على حضور اجتماعات النادي كلّها ، وأسمع أسرار

العالم قبل أن تصل إلى مسامع العالم بسنين . عجيب أمر هذه الدنيا ، يا أخي أبو لمياء . بعد الإنجاز التاريخي العظيم الذي حققته بإنشاء الشركة مع بيل جيتس أُختُطِفت وقُدّمت للمحاكمة وكدت . . .

توفيق – أُختطفت وحُوكمت ؟! كيف ؟!

أبو شلاّخ – كنت في سفينة سياحية فاخرة تجوب موانىء الشرق الأقصى عندما هاجم القراصنة السفينة .

توفيق – قراصنة ؟!

أبو شلاّخ – قراصنة ، ماركة ما بعد الحداثة . قراصنة مُجهّزون بقوارب سرعتها سرعة الصوت وأسلحة متنوعة فتّاكة . قفز القراصنة إلى ظهر السفينة وفوجئت أن زعيمهم هو كارلوس . .

توفيق – تقصد الإرهابي الشهير الذي . .

أبو شلاّخ – هو ، بعينه! حقيقة الأمر ، أنه كان يغطي عيناً من عينيه بقطعة سوداء حتى يصبح شكله قرصانياً . وقف كارلوس خطيباً على ظهر السفينة السياحية ، وقال : «يا معشر السوّاح الرأسماليين القذرين ! إني أرى رؤوساً قد أينعت وإني لصاحبها . وإني لأرى الدماء تترقرق بين القبّعات والصلعات . ولكنني لن أقطف رؤوسكم لأني من النباتيين . وفوق ذلك ، أنا مشغول بما هو أهم من قطف رؤوسكم المحشوّة بالدولارات . أنا أبحث عن رأسمالي كومبرادوري اسمه أبو شلاّخ البرمائي . سلّموه لي ، وهذا منديل الأمان» سلّمت نفسي ، بلا مقاومة ،

إلى كارلوس الذي وضعني في قارب بسرعة الصوت ، وغطّى عينيّ بخرقة سوداء ، وانطلق القارب يشق عباب البحر بحيزومه . قلت : «يا أخ كارلوس! وشْ مُسلّطك على السعوديين ، متوّجهم تولّج؟ مرّة تخطف وزير بترولنا ، ومرّة تخطفني ، وش بلاك ؟!» . قال : «انطمّ ، وإلاّ جعلت منك وليمة لأعشاب البحر» . قلت : «لأعشاب البحر ؟! واذلاّه يا بني خالد! إن كان ولا بدّ فاجعل مني وليمة للبراكودا» . قال : «انطمّ ، وإلاّ أفرغتُ هذا الرشاشُ في رأسك» . انطميت ، يا أخي أبو لمياء . مجنون ، ويطقّ برشاش! الغريب أنه تبسّط مع وزير بترولنا وأعطاه أدقّ الأسرار ، أمّا أنا فلم يتكرّم علي بكلمة واحدة . بعد ساعات ، رسا القارب في مكان مجهول . مشيت مع كارلوس قُرابة ساعة وعيناي معصوبتان . عندما أزيحت العصابة ، لم أر كارلوس ، ووجدت نفسي في غابة استوائية كثيفة . كانت هناك فُرجة بين الأشجار وهناك رأيت . . .

توفيق- كهرمان؟!

أبو شلاّخ - يا ريت ، يا أخي أبو لمياء ، يا ريت! رأيت المحكمة الثوريّة السرّية الشعبية للانتقام والعدالة .

توفيق - هل هذا اسمها الحقيقي ؟

أبو شلاّخ - هل تعتقد أن بوسعي اختراع اسم كهذا؟ كان هذا الاسم الحقيقي . كانت المحكمة مكوّنة من ٢٠ قاضياً من جنسيات وألوان مختلفة يرتدون أقنعة تخفي ملامحهم . كان الوقت ليلاً وكنت أرتعد من الخوف والتعب والبلل عندما بدأت المحاكمة .

توفيق – محاكمتك أنت ؟!

أبو شلاّخ – محاكمتي أنا .

توفيق – بأي تهمة ؟

أبو شلاّخ – تجيك السالفة ، يا أخي أبو لمياء ، تجيك السالفة . اتضح أن المحكمة الثورية السرّية الشعبية للانتقام والعدالة تختار كل سنة رمزاً من رموز الفساد والاستغلال والطغيان ، من وجهة نظرها بطبيعة الحال ، وتختطفه وتحاكمه . شاء سوء الطالع أن يقع الاختيار عليّ تلك السنة . بدأ رئيس المحكمة البداية المعتادة ، الاسم والعنوان والمهنة وبقية الشكليات . بعد ذلك بدأ ممثّل الادعاء يتكلّم . رفعت يدي بنقطة نظام وطالبت بمحام . قال رئيس المحكمة إن القضاة وُلدوا بعدالة فطرية تجعلهم في غنى عن المحامين . كانت قائمة الاتهامات طويلة وسأكتفي بالإشارة إلى أجزاء منها . قال ممثل الادعاء إن الزيتيين . .

توفيق – الزيتيين ؟! لم أفهم .

أبو شلاّخ – العربان الذين ظهر في بلادهم البترول . كان ممثل الادعاء يسميّهم الزيتيين ، ولا مشاحة في الاصطلاح . قال إننا ، معشر الزيتيين ، بمجرّد حصولنا على الثروة البترولية أصبحنا جبّارين في الأرض ، طُغاة ، فاسدين مفسدين ، نستعبد الناس بأموالنا ، ولا نقيم وزناً للآخرين . قلت : «أفسد الثراء بعضنا ، ولم يفسد الأغلبية الصامتة» . قال رئيس المحكمة : «إنطمّ !» . انطمّيت . ومضى ممثل الادعاء : «وأنتم الذين

أوجـــدتم الرقّ المعـــاصـــر عن طريق نظام الكـفــيل الذي اخترعتموه» . قلت : «لم نخترع نظام الكفيل ولكننا طوّرناه بما يتـمشّى مع خصّوصيـتنا» . قـال رئيس المحكمـة : «انطمّ !» . انطمّيت . ومضى ممثل الادعاء : «وابتدعتم نظام الفيزا المفتوحة التي تُعطى لمتنفذ من المحاسيب يجلب آلاف العمـال الشرفـاء الفقراء ويطلقهم في الشوارع يشحذون ثم يمصّ دماءهم ويأخذ معظم ما يحصلون عليه من مبالغ ضئيلة» . قلت : «سيـدي الرئيس! أنا لم أحصل في حيـاتي كلّها على فيـزا مفـتوحة واحدة . كل الفيز التي حصلت عليها كانت مصكوكة كأيّ بنت عذراء» . قال الرئيس : «انطمّ!» . انطمّيت . واستمر ممثل الادعاء : «وتستـقـدمون الخادمات والمربيات وتستعبدونهن ، وتغتصبونهن جنسياً ، أنتم وأولادكم ، وفور حملهن تقومون بتسـفـيرهن إلى بلادهنّ . قلت : «سـيّدي الرئيس ! أنا في حياتي كلّها لم أغتصب نملة ، فضلاً عن خادمة أو مربيّة» . قال الرئيس : «انطمّ !» . انطمّيت . وهنا تكلم قاضٍ ينتمي ، على مـايبـدو ، إلى عرب الثـورة . قـال : «يا عـفـونة الرجـعـيـة! يا عكاريت! يا أبناء ستين ألف غـانيـة ليليـة ! كنا نجيـئكم أيام فقركم فندرّسكم وندير مستشفياتكم ومتاجركم ونلقى منكم كل تقدير واحترام . أما الآن فأيّ زيتي صعلوك يعتبر نفسه شيخاً ، وعلينا ، نحن أسياده ، أن نعامله وكأننا عبيد» . قلت : «سيدي الرئيس! أنا أعامل العاملين والعاملات لديّ معاملة إنسانية رقيقة» . قال الرئيس : «كما عاملت إيميلدا ، مربيتك

الفلبينية ، يا وسخ؟!» . قلت : «سيدي الرئيس! كان هذا أيام مراهقتي الفكرية» . قال الرئيس : «انطمّ!» . انطمّيتْ . ومضى ممثل الادعاء : «وأنتم لا تعترفون بحقوق الإنسان ولا بالمواثيق الدولية التي تحميها» . قلت : «حقوق الإنسان؟ هل أنتم منظمة العفو الدولية ، أم المحكمة الثورية ام اسم طويل؟ ثم ، سيدي الرئيس! ، يجـــيب ألاّ يغـــيب عن الأذهان أن لنا خصوصيتنا . .» . هنا قاطعني أحد القضاة صارخاً :«ذبحتونا بخصوصيتكم! لا بارك اللّه فيكم ولا في خصوصيتكم!» . قلت :«يا أخوي لهجتك مو غريبة عليّ . من أنت؟» . قال : «أنا ابن أخت البدويّ الثائر . .» قاطعته : «بعير؟! صحيح أن العرق دسّاس» . استأنف ممثّل الادعاء مرافعته : «ولم تكتفوا بمعاملة العرب الشرفاء معاملة الحشرات والديدان بل عمدتم إلى فتح شقق مفروشة في الضمائر ، واستئجار عمائر في الذمم» . قلت : «سيّدي الرئيس! أنا رجّال شريطي متسبّب . أتاجر في الضبّان والجراد . وأقسم باللّه إنه لم يسبق لي استئجار شقّة مفروشة في ضمير ، فضلاً عن عمارة» . قال رئيس المحكمة : «انّطمْ!» انطمّيت . ومضى ممثل الادّعاء :«وبدلاً من أن تُشركوا العرب الشرفاء في البترول ، وتعيدوا الفرع إلى الأصل ، كوشتمّ على الثروة ولم تتركوا للعرب المتحضّرين سوى فُتات المائدة» . بعد هذه التُهم الموجهة إليّ ، بصفتي مُمثلاً للزيتيين عموماً وإجمالاً ، جاءت التُهم الموجّهة إليّ شخصيّاً ، وكانت تشمل الاستغلال ، والإثراء غير المشروع ، والانهزاميه ، والتواطؤ مع

القُوى الامبريالية ، وتهماً أخرى عديدة لا أتذكّرها الآن . إستمرّت المحاكمة طيلة الليل ، وعند الفجر أعلن الرئيس تعليق الجلسة للمداولة . بعد ٥ دقائق عاودتْ المحكمة انعقادها ، وأعلن الرئيس أن القضاة قرّروا ، بالإجماع ، توقيع عقوبة الإعدام الفوريّ عليّ . وهذا ما كان .

توفيق – هذا ما كان؟! أنت أمامي حيّ تُرزق .

أبو شلاّخ – تجيك السالفة ، يا أخي أبو لمياء ، تجيك السالفة . كانت المحكمة ثورية ، واختارت طريقة ثورية للإعدام : اللدغ بمعرفة الأفاعي السامة . أَخُذتْ إلى قفص مليء بهذه الأفاعي التي انقضّت عليّ تلدغني في كل موضع . انظر لطف العناية . المناعة التي اكتسبتها ضد السموم اثناء مدّ «التابلاين» أنقذت حياتي في أدغال آسيا . إلاّ أنني رغم المناعة دخلت في غيبوبة ، ويبدو أن القضاة قرّروا أنني فارقت الحياة . بعد فترة ، لا أدري طالت أو قصرت ، أفقت لأجد نفسي بقرب مياه الشاطىء ، وأجد بنتاً آسيوية مملوحة تغسل وجهي بمياه البحر . قلتُ : «أين أنا؟!» قالت : «في فيتنام» . قلت : «وأين المحكمة؟» . ضحكت الفتاة وقالت : «بمجرّد تنفيذ الحكم تنفضّ المحكمة ولا تعود إلاّ في السنة المقبلة» . قلت : «وهل تنعقد المحكمة هنا كلّ مرّه؟» قالت : «كل مرّه» . قلت : «وهل يُحكم على المُتّهم بالإعدام كلّ مرّه؟» . قالت : «كل مرّة . كيف نجوت أنت؟» قلت : «البركة في طبيبان» . قالت : «لم أفهم» . قلت : «يا بنت الحلال! هذي سالفة طويلة . قومي شوفي لي

لقمة آكلها ألحين» . ذهبت الفتاة ، وعادت برُزّ مسلوق فوق ورقة موز . بمجرّد انتهائي من الأكل شكرتها وسألتها عن اسمها ، قالت : «شنشن» . نظرت إليها ، وأطرقت مفكراً ، وسالت الدموع من عيّني ، وأنشدت :

يا بنت فتنام! . .يا عُفطيّة الشاطي
نسّيتي قلبي عذابي . . وفوقه إحباطي
ومَحكمَةٌ حاكمتْني . . وحُكمها ظالمْ . .
وين العدالة . . وما فيها سوى الواطي؟!
أنا الذي أخدم الإنسان بعيوني
يقال عنّي الكلام الكاذب الخاطي؟!
يا بنت فِتنام! شِيْ الدْبره . . وشِيْ الحيلة
حِنّي على غُربتي . . وصياحي . . وعياطي

قالت شنشن : «لا أستطيع أن أعمل شيئاً إلاّ بشوْر أبوي» . قلت : «شوْر أبوك؟ حتى في فيتنام! على فكرة ، إنتو فيتنام الجنوبية ولاّ الشمالية؟» . . ضحكت الفتاة ، وقالت :«هل يمكن أن تعقد المحكمة الثورية السرّية في فيتنام الجنوبية ، وكر الرجعية؟» قلت : «ولْ! أثري وسط الشيوعيين؟ عزّة اللّه اني رِحْت ملح!» . قالت :«أبي رجل عوز طيب وسوف يَحميك» . وقلت : «ومن يكون هذا الرجل العجوز الطيب الذي يستطيع حمايتي من قتلة الفيت كونج العتاة القُساة ؟!» . ابتسمت شنشن وقالت : «مشينا!» . قلت : «وين نِبي؟» قالت : «ننطح

أبوي!» . مشينا ، يا أخي أبو لمياء ، يومين وليلتين تحت المطر المنهمر كأفواه القرب حتى وصلنا إلى كوخ صغير متواضع يجلس على بابه رجل نحيف عجوز متواضع . قالت شنشن : «يُبْه! هذا خاطرنا اللي عضّته الحيايى ولا مات» . ابتسم الرجل ومد يداً معروقه ، وصافحني . بمجرد أن رأيت وجهه صرخت : «الرئيس هو شي مين؟! اليس كذلك؟!» . ضحك الرجل العجوز . . .

توفيق - تقصد هو شي مين الزعيم الشيوعي الفيتنامي . . . .

أبو شلاّخ- هو ، بعينه! . ضحك ، وقال : «سمّني العمّ هو» . قلت : «يا عمّ هو! هذه مفاجأة سارة جداً» . قال : «عجيب أنك أفلّت من الموت . لعلّ القدر يعدّك لشيء ما .» قلت : «وأنتم ، معشر الملاحدة الشيوعيين تؤمنون بالقدر؟!» قال : «كلّ نظريتنا قائمة على القدر» . قلت :«إشلون؟!» قال :«نحن نؤمن ان انتصار الطبقة الكادحة على الرأسماليين قدر محتوم . لماذا لا تنضم إلينا في نضالنا العادل؟» . قلت : «ياعم هو! أمس بغيتوا تذبحوني ، واليوم تبوني أشارك في نضالكم العادل؟!» ضحك هوشي مين ، وقال :«المحكمة مستقلة عنا تماماً . لا علاقة لنا بها . كلّ ما نفعله هو أن نُهيّئ لها مكاناً آمناً تعقد فيه اجتماعها» . قلت :«وقفص الحيايى؟!» قال :«وقفص الحيايى!» قلت : «ياعم هو! أنا رأسمالي خالص لا أصلح لكم ولا تصلحون لي . وكل ما أريده الآن هو العودة إلى وطني الذي لو

«شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي»» . قال : «هل هذا من أقوال الرفيق ستالين؟» قلت : «مالك لِوا : هذا من أقوال أمير الشعراء البورجوازيين شوقي بيه» . قال :«اسمع يا بُنّي! إجلس معنا شهرين ثلاثة تكون فيها ضيفي ، وتتعرّف على آرائنا التقدميّة ، ونتعرف على آرائك المتخلّفة» . قالت : «ماهي بشينة! ولكن ماذا عن السائل الأصفر البرتقالي الكيماوي المزدوج المنهمر عليكم كأفواه القرب من طائرات أصدقائي الأمريكان؟» ضحك هوشي مين وقال : «لا تخف . سوف تكون تحت حمايتي الشخصية» . وهكذا ، يا أخي أبو لمياء ، عشت في الأدغال الفيتنامية أحظى بعطف العم هو ورعايته ، وكان يعاملني معاملة الأب لابنه . . .

توفيق- ألم تخطب شنشن؟

أبو شلاّخ - لا أخفي عليك أن نفسي زيّنت لي مسألة الخطبة ولكني قاومتها بكل عنف . الفيت كوْنج ما عندهم غشمرة ، وخفت أن يكون لشنشن خطيب منهم ، وأروح في خرخر . . .

توفيق - خِرخِرْ؟!

أبو شلاّخ - انتهى . أموت . أصير كادوك ، كما قال كبير الشجعان المسالمين . بقيتُ أشهد ملاحم النضال الخالدة . أرى انتصار الحفاة العراة على أعظم قوة في العالم . ذات يوم ، رأيت استعدادات غير طبيعية في كوخ العم هو . قلت لشنشن : «وش السالفة؟» . قلت : «الليلة سوف يزورنا حبيبي ومثلي الأعلى» .

قلت :«توم كروز ؟!» . قالت : «وع! سوف ترى حبيبي بنفسك» . أعُد عشاء خاص مكوّن من أفاعي مشوية منزوعة السّم كاملة الدسم ، ورز مسلوق ، وبامبو بالسكرين . فوجئت أن الضيف ، حبيب شنشن ومثلها الأعلى ، لم يكن سوى شي جيفارا . . .

توفيق – شي جيفارا الذي . . . .

أبو شلاّخ– هو بعينه! كانت شنشن تلتهمه بعينيها ، وهو يلتهم الأفاعي المشويّة . قلت : «ياشي! هل تسمح لي أن أحدّثك بصراحة؟» . قال : «تفضّل أيها الرفيق» . ضحك العم هو ، وقال : «هذا ليس رفيقاً . هذا عدّو مبين . من أصدقاء الأمريكان» . قال شي : «وماذا يفعل هنا معكم؟» قال العم هو : «لدينا في فيتنام مثل يقول «خذ علومهم من سفهاهم»» . ضحك شي ، وقال : «حسناً ، أيها العدّو تكلم بصراحة .» قلت : «يا أخ شي! أنت شاب مزيون حليوة تهيم النساء بك عشقاً . لماذا لا تترك معاداة الأمريكان وتستمتع بشبابك؟» قال : «مقاومة الأمريكان قدري» . قالت شنشن : «عيناك قدري!» قال العم هو : «إنطمّي!» انطمّت . وقلتُ : «يا أخ شي! الأمريكان انت ما تِعرفَهم . أنا اللي عاجنهم وخابزهم . ما تِقْدر عليهم . هؤلاء شذاذ آفاق هربوا من العنف والاضطهاد ، وأقاموا دولة تحترف الإبادة الجماعية . أبادوا الجواميس البريّة ، وأبادوا الهنود الحمر ، وكادوا يبيدون الزنوج ، وقذفوا القنابل الذرية على اليابانيين . هؤلاء قوم متوحشون . سوف يقتلونك» . قال : «يخسون ويعقبون!» . قلت : «اسمعَ . إذا كان ولا بدّ من

النضـال ، فناضل تحت حمـاية أبو لحـيـة» . قـال : «من هو أبو لحيـة؟!» قلت : «كـاسـترو .» قـال : «الثـورة في كـوبا استـقـرّت وانتـهى الأمـر . واجـبي ، الآن ، نشـر الثـورة في كل مكـان من أمــريكا اللاتينيــة» . قلت : «يا شـِي! طعْ شــورى! ربْعك في جمهوريات الموز تبيعهم بموزة وتشتريهم بموزة . بكرة السي . آي . إيه «تبـخـشـشـهم ويسلمـونك وتذبح ذبح الشـاة» . قـال : «لابُدّ للثورة من شـهـداء» . قلت : «ناصـحكم ، يا البـدو ، في النار!» . بعـدها ، بشـهـور قليلة ، يا أخي أبو لميـاء ، قُـتل شـيٍ جـيـفـارا وبالطريقة التي توقعتها وبكل تفاصيلها . كان شاباً متحمساً مندفعاً ذكر العم هو بشبابه . مرّت الأيام ، وانا مع العم هو لا أفارقه نتبادل الآراء والسباحين والسواليف والنكت . ذات يوم ، لاحظت حركة غير طبيعية حول كوخ العم هو . البط يجمع من كل مكان ويُذبح . الرز يُسلق بكميـات هائلة . السـمك يُجلب من الأنهار . براميل من بيرة الرّز تُدَحرج وتَصف بقرب الكوخ . قلت : «شنشن! مين خطّاركم الليلة؟» قالت : «اصبر وتشوف» . كـانت مفـاجـأة لا تُصدّق ، يا أخي أبو لميـاء ، ولولا أني مـتعـوّد على تصـديق نفسي لما صـدّقـتـهـا . هل تعـرف من هو الضـيف الذي طبّ علينا تلك الليلة؟

توفيق – توم كروز؟!

أبو شـلاّخ – لا ! ولا جين فوندا . طبّ علينا مـاوتسي تونج . ولا تســألني ، رحم اللّه والديك ، هل كـان الزعـيم الصـيني التـاريخي بعـينه لأنه كـان هو بعـينه . بعـد العـشـاء ، انصرف

الضـيـوف وبقـينا نحن الثـلاثة ، العم هو ، والعم مـاو ، وأنا يا محاجيك . قلت : «يا عم ماو! أودّ الدخول في جدل عقائدي عقيم معك» . أخرج العم ماو البايب ، واشعله ، ونفث دخاناً عفناً في وجهي ، وقال : «لاشيء يسعدني كالجدل العقائدي العقيم» . قلت : «يا عم ماو! الشيوعية لا تنجح إلاّ في البلاد الفقيرة . هل تريد أن تظلّ الصين فقيرة إلى الأبد؟» . قال : «أوضح المقصود» . قلت : «في البلاد الفقيرة لا يعرف أحد الغنى ، والناس يعتبرون الفقر أمراً طبيعياً ، ويتعايشون بسهولة مع الفقر الذي تجلبه الشيوعية . بمجرد أن يذوق الناس طعم الغنى يهجرون الشيوعية ويتجهون إلى الرأسمالية» . قال العم ماو : «إشلونْ يعني؟!» . قلت : «الشيوعية تستميل صفات فكرية في الإنسان مثل المساواة والعدالة وما أدري وِش بعد ، أمّا الرأسمالية الكلكجية فتستميل غرائز الإنسان ، وفي مقدمتها غريزة الطمع وحبّ التملك . والغرائز ، يا عم ماو ، دائماً وأبداً تنتصر على المبادئ» . أطرق ماوتسي تونج مفكراً ، ثم قال : «يا لك من رأسمالي وغد ذهين!» . قلت : «أنا ، ولافخر ، أحمل درجة الدكتوراه في ادارة الأعمال من جامعة جورج تاون العريقة» . قال ماوتسي تونج : «حمير واجد يحملون الدكتوراه من أمريكا» . قلت : «يا عم ماو! عن الغلط! ثمّن كلامك!» . ضحك العم ماو وقال : «أتغشمر معك! انت ذِهين رغم الدكتوراه لا بسببها . إعلم ، يا أخ أبو شلاّخ ، اني موافق على كلامك ١٠٠٪ . الشيوعية لم تنجح إلا في أفقر دولة أوروبية ،

روسيا ، وأفقر دولتين في آسيا ، الصين وذي الديرة ، وأفقر دولة في أمريكا اللاتينية ، كوبا . أما في شرق أوروبا فَفُرضت الشيوعية فرضاً بقوة السلاح» . قلت : «أثَرْك تعرف ذا كله؟!» . قال : «بالتأكيد» . قلت : «وهل تنوي الإبقاء على الصين فقيرة للإبقاء على الشيوعية؟» . قال : «عفَاك! هذا ، بإختصار ، هو مبدأي . كلّما تحركتّ الصين نحو الغنى لعنت والديها بهزّة تعيدها إلى الفقر» . قلت : «ولكن الصين غنيّة بالطاقات والإمكانيات . كيف تستطيع أن تبقيها فقيرة إلى الأبد؟» . قال : «عن طريق الثورة الثقافية» . قلت : «وما الثورة الثقافية؟» . قال : «ذبح كل من يبدي أي نزعة رأسماليه ، أو يظهر عليه أي مظهر من مظاهر الغنى» . قلت : «ستذبح الملايين إذن؟» . قال : «لا . عشرات الملايين» . قلت : «يا عم ماو! ذبح الناس ليس حلّاً» . قال : «القوة تنبع من فوهة البندقية» . قلت :«على العين والرأس! نبعتْ من فوهة البندقية واستقرت في يدك . ولكن التاريخ يتحرّك . لماذا تعاكس حركة التاريخ؟ .» قال ماوتسي تونج : «إعلم ، يا أبو شلاّخ ، إن البطل هو الذي يسبح ضد التيار . أيّ ضفدعة حقيرة أو سمكة تافهة تستطيع أن تسبح مع التيّار» . قلت : «إعلم ، يا عمّ ماو ، إنني من الضفادع والأسماك التي لا تكتفي بالسباحة مع التيار ، بل تحاول مسابقته» . قال العم ماو : «ولهذا ازدهرت ماليّاَ ، وستزدهر أكثر» . قلت : «اللّه يبشّرك بالخير! الا يوجد أمل في تغيير مبادئك الفقرية الدموية هذه؟» . ضحك ماوتسي تونج وقال : «كان غيرك أشطر» . قلت :

«سأرسل لك رئيس الولايات المتحدة لعلّه يستطيع إقناعك» . قال : «أنت ، يا كمبرادوري ، تستطيع أن ترسل لنا رئيس العالم الإمبريالي الرأسمالي المخنز؟» . قلت : «أستطيع أن أحاول . هل ستعطونه فيزا؟» . قال : «إذا طلب المجيء فسوف نرحّب به» . قلت : «كلام شرف؟!» . قال : «كلام شرف» . قلت : «يا عم ماو! سمعت أنك أثناء الزحف العظيم كنت تنظم الشعر . هل هذا صحيح؟» . قال : «نعم . وطُبع شعر الكفاح هذا في كتيبات حمراء صغيرة» . قلت : «لا أريد شعر الكفاح . عندنا وعندك خير . لو كان شعر الكفاح ينفع لكانت فلسطين ، الآن ، أرضاً مُحرّرة كهذه الأدغال الفيتنامية الشعبية الديمقراطية الاشتراكية . أريد شعر غزل» . قال ماوتسي تونج لهوشي مين : «يا رفيق هو ! نادي شنشن لكي تجلس معنا وأتغزّل بها» . قال هوشي مين : «والكوبة! تتغزل ببنتي قدّامي؟ واذلاّه يا بني كونج!» . قال ماو : «يا رفيق! أخطأتُ التعبير . أريد أن أستلهم» . نادى العم هو شنشن ، وجاءت مبتسمة وجلست تنقل نظرها بيننا . تأملها العم ماو برهة وأخرج البايب واشعله ، ونفث في وجهها دخاناً عفناً ، ثم انشد : الطيور تسبح في أعالي الجبال . . .

وأعالي الجبال تحلم بالسهول . . . .

وحبّات المطر تتساقط على البامبو . . .

وضفائر شنشن مرآة . .

تعكس أحلام القمر . .

قلت :«يا عم ماو! هذا يسمى عندنا قصيدة النثر . والأستاذ يوسف الشيراوي لا يحبه . أما جريدة «الحياة» فتستعذبه وتستظرفه وتستكثر منه» . قال العم ماو :«جاء دورك الآن» . قلت :«يا عم هوّ هل تسمح لي أن أستلهم بعض الأفكار من بنتك؟» . قال :«أعذب الشعر أكذبه» . تأملتُ شنشن برهة ، وأطرقت مفكراً ، ثم أنشدت :

يا شنشنْ . بنت الغاباتْ
بنت البندقْ . . . والثَوراتْ
عينك يا شنشن تذبحني
يا مَحْلَى ذَبح الحِلواتْ
مَحْلَى الدنيا يا شنشن
لولا صراع الحَضاراتْ
لولا حروب ما تخلصْ
من باردات ومن حارّاتْ
مَحْلى الدنيا يا شنشن
لو يموتوا . . الجنرالاتْ!

طربت شنشن ، وقامت ترقص الدبكة . وطرب العم ماو وقام يعرض بعصاه ، ويردّد : «لو يموتوا الجنرالات!» . طرب العم هو وقام يزفن بالبايب ، ويهزج : «لو يموتوا الجنرالات!» . شرب العم ماو برميلاً كاملاً من بيرة الرّز وبين كل رشفة ورشفة كان يتوقف ويغني : «لو يموتوا الجنرالات!» . الحقيقة ، يا أخي أبو

لمياء ، أن السهرة التي بدأت بداية لطيفة كادت تنتهي بمأساة .

توفيق - ماذا حدث؟

أبو شلاّخ - بدأ ماوتسي تونج يسكر ويتحرّش بشنشن أمام أبيها . انتهى به الأمر إلى أن طلب من العم هو أن يسمح له بأخذها معه إلى بكين حيث تنضمّ إلى بقية المحظيات الكادحات البروليتاريات في منزله المتواضع . غضب العم هو غضباً شديداً ، ودعا العم ماو إلى مبارزة بالسلاح الأبيض . كادت المبارزة تتمّ ، ولو تمّت لتغيّر مجرى التاريخ بانتصار الأمريكان في فيتنام . قمتُ من مكاني وفرقت بين العم ماو والعم هو ، ثم وقفت بينهما خطيباً ، وقلت : «أيها العمّان الجليلان السكرانان! «إلام الخلفُ بينكم الاما»؟ . شنشن فتحتْ قلبها لشي غيفارا ولن تقبّل رجلاً غيره حتّى أنا وهو أنا . لا تتعب نفسَك يا عم ماو . ولا تغضب يا عم هو . «القلب يحب مرّة ما يحبّش مرتيّن» . اجلسا الآن ، وتباوْسا على الطريقة الختيارية وتكتكاْ لصالح القضيّة المشتركة» . انسحبنا ، شنشن وأنا ، وتركنا الرجلين يتكتكان . تأمل ، يا أخي أبو لمياء ، دهاء هذين العجوزين . قررّا في تلك الليلة إرسال مخدرات مجانية بكميّات هائلة إلى القوات الأمريكية المحاربة في جنوب فيتنام ، وقاد شيء إلى شيء . تعوّد الجنود الأمريكيون على المخدرات ، ومع رجوع القوات إلى أمريكا تفشّت المخدرات في المجتمع الأمريكي . مع انتشار المخدرات انتشر التحلّل الأخلاقي وانفجرت الثورة الجنسية . أنتجت

الثورة الجنسية مرض الإيدز . حصد الإيدز من الضحايا في أمريكا ما يعادل عدد الفيتناميين الشماليين والجنوبيين الذين ماتوا في الحرب . العدد نفسه تماماً . الإحصائيات موجودة ، وقارن إذا لم تصدقني .

توفيق - أصدقك! أصدقك!

أبو شلاّخ - شكراً! في اليوم التالي سافر ماوتسي تونغ مُودّعاً بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم . عادت الحياة إلى وتيرتها الهادئة في الأدغال : قنابل وغارات جويّة وكمائن وسائل برتقالي . لم يقطع علي روتيني المريح إلاّ الأستاذ ولعة أبو سيكل ، صديقي القديم .

توفيق - أبو سيكل؟! جاء إلى الأدغال؟!

أبو شلاّخ - تجيك السالفة! رنّ التيلفون الميداني ماركة ما قبل الحداثة ، وتناول العم هو السمّاعة وأصغى قليلاً ثم سأل : «نقول له مين؟!» . أصغى من جديد ثم ناولني السمّاعة وهو يقول :«المكالمة لك . من القاهرة» . قلت «القاهرة؟ أكيد هذا المطرب الهاوي البزْر عبد الحليم حافظ يطلب قصيدة من قصائدي» . أخذت السمّاعة ورغم الخشخشة والخرخشة جاء صوت أبو سيكل يلعلع : «أستاذ أبو شلاّخ؟! أزيّك؟ وحشتنا» . قلت : «اشِعْدا ما بدا؟! كيف عرفت أني هنا؟» . قال : «من القمر الصناعي السوفييتي» . قلت : «ومن أعطاك الحق في الاطلاع على أسرار القمر الصناعي السوفييتي؟» . قال : «وديعة بريجنيف» . قلت : «وما وَديعة بريجنيف؟» . قال : «إعلم ، يا

أستـاذ أبو شـلاّخ ، أني كنت في الكرمْلين مع الريّس . في منتصف الليل أصابني عطش شديد بسبب الكافيار الذي أكلته والذي يكرهه الريّس ويفضل عليه الجبنة البلدي والفطير المشلتت . .» قلت : «الزبدة!» . قال : «الزبدة أني عطشت وذهبت أبحث عن المطبخ . فتحت أولّ باب أراه فإذا بي في مخدع بريجنيف ، وإذا به أمامي يحتسي الفودكا . سُرّ الرجل سروراً عظيماً برؤيتي ، وجلست معه ١٢ ساعة أعلّمه مبادئ السياسة الدولية . لم أخرج من المخدع إلاّ بوديعة بريجنيف في جيبي . مفيش حد أحسن من حدْ ، يا بتاع البترول!» . قلت : «صحّتين على قلبك! مَطرحْ ما يسري يمري! ماذا تريد مني الآن؟» . قال : «بدأتْ عملية صيد الديك الروميّ» . قلت : «صيد الديك الرومي؟! عندك في العِزبة؟» . قال : «يا أخي! يا أخي! يا أخي! هذه شفرة تعنى عملية اصطياد الريّس» . قلت :«اصطياد الريّس؟ هو الريسّ حمامة؟!» . قال : «ألم تسمع بالأخبار؟» . قلت : «من أين تأتيني الأخبار وأنا وسط الأدغال الفيتنامية الشعبية الديمقراطية الاشتراكية؟» . قال : «تطوراتٌ خطيرة . حشدت إسرائيل قواتها على حدود سوريا» . قلت : «قبّحها اللّه!» . قال : «وتحدّاها الريّس . وأرسل القوات المصرية الى سيناء . وطرد القوات الدولية شر طردة» . قلت : «بيّض اللّه وجهه! يمدّها ، واللّه ، أبو خالد!» . قال :«وجمع الريّس القادة العسكريين وقال لهم بوضوح وصراحة إن إسرائيل سوف تقوم بغارة جوّية مفاجئة وحدّد الموعد بالضبط : صباح الاثنين» .

قلت : «ورا ما يهجدهمْ قبل ما يهجدونه؟!» قال : «يا جدعْ! إتكلّمْ عربي» . قلت : «لماذا لا يباغت إسرائيل بمهاجمتها في ظلام الليل قبل أن تباغته؟» . قال : «المشير مَعْصي» . قلت : «معْصي! ليش؟!» . قال :«المشير يفضّل أن نمتصّ الضربة ، ونقاوم» . قلت : «يمتصّ الضربة؟! هي الضربة آيسكريم؟!» . . قال : «وليته اكتفى بذلك» . قلت : «وِش سوّى بعد؟! .» قال : «أصّر على التحليق بطائرته صباح الاثنين ، وما دامت طائرته في الأجواء فلن يستطيع دفاعنا الجوّى إطلاق طلقة واحدة» . قلت : «يا أستاذ أبو سيكلّ! ورا الريّس ما يقلْع ها الخِبْل؟!» . قال : «يعني أيه خِبْل؟» . قلت : «الخِبْل مرتبه وسطى بين المجنون والأحمق» . قال : «الخوف ان الخِبْل يقلع الريّس» . قلت : «يقلع الريّس؟ أفا يا العلم! أثرْ كلامك في «الفهّام» كله خِرطي؟! أثْر الريّس ما عنده سالفة؟!» قال : «المهم ، يا أخ ابو شلاّخ ، الآن ان تقنع أسيادك الامريكان الامبرياليين بفرملة لقيطتهم دويلة العصابات المزعومة» . قلت : «خلّ الريّس يكلمني بنفسه» . قال : «يا جَدعْ! هذا ليس وقت تصفية الحسابات . الريّس مشغول جداً . يحاول مقابلة المشير ، والمشير يرفض المقابلة ، وأنا أتوسط بين الرجلين» . قلت : «يا أستاذ ابوسيكل! أنا في قلب الأدغال الفيتنامية الشعبية الديمقراطية الاشتراكية . كيف يمكن أن أصل إلى أمريكا قبل إقلاع طائرةالمشير .» . قال : «انظرْ فوق رأسك» . نظرت إلى أعلى ، فإذا بالقمر الصناعي السوفييتي ، يقترب تدريجياً من الأرض .

قلت :«سيْ يو ليتـرا!» . حط «سـبوتنيك» أمـام الكوخ ، وودّعت العم هو وداعاً حارّاً ، وقبلت جبين شنشن وأنشدت . . .

توفيق - هل من الضروري . . .

أبو شـلاّخ - لا ، يا أخي أبو لمياء ، لا! قبّلت جبين شنشن وامتطيت القمر الصناعي السوفييتي . أخذني الكابتن إلى قاعة كبار الشخصيات داخل القمر ، وهناك وجدت الكلبه«لايكا» في انتظاري . رحّبت بي «لايكا» ترحيباً حاراً ، ولحست وجهي ويديّ . قال الكابتن : «يا رفيق! وين تبيْ؟» . قلت :«فندق الماي فلور» المقابل للبيت الأبيض لو سَمحت» . خلال ساعة كنت داخل الفندق . اتصلت بجـونسـون وأخـبـرته أن هناك حـالة طوارىء ولا بدّ من مقابلته في أسرع فرصة . طلب مني المجيء فوراً إلى البيت الأبيض . كنتُ مندفعاً في طريقي إلى الباب عندما سمعت صوتاً أنثوياً ناعماً مُغرياً يهمس :«آبوو! هاي!» . التفت ، يا أخي أبو لمياء ، فإذا بي وجهـاً لوجه أمام اليـزابيث تايلور التي كانت ترتدي فستاناً ماركة شِوالْ قصـيراً جداً ، ومفتوحاً جداً من ناحية الصدر . قلت : «هاي لِيـز! لونجْ تايمْ نوسي!» . قالت : «إشلونَك ، يا بَعد روحي؟ وإشلوّن طبيبان؟» . قلت : «ياليـز! المعذرة! لا وقت لدّي ، الآن ، للدردشة . الرئيس جونسون ينتظرني في المكتب البيضاوي» . نظرتْ إليّ ليز نظرة تفيض بالإغواء ، ونظرت أنا إلى صدرها ، وبدأت مقاومتي تذوب . الحق أقـول لك ، يا أخي أبو لميـاء ، نسـيت العـروبة والقومية العربية وفلسطين والريّس والبيت الأبيض ولم أستطع

التفكير في شيء سوى النهدْين العظيمين الصهيونيّيْن المترجرجيْن أمامي . قالت ليز :«تعالْ إلى جناحي . نسولْف ونتذكر «الامباسدور» وأيام زمان» . ذهبتْ معها إلى جناحها . لا تسألني عمّا حدث بعد ذلك ، لأني لا أعرف ما حدث . ما أذكره أنني أفقتُ ووجدت نفسي بكامل ثيابي في سرير ليز ، ووجدت بالقرب من السرير وردة حمراء ، وتحت الوردة ورقة ليس فيها سوى جملة واحدة :«اضطررتُ للسفر فجأة» . كان بودّي ، يا أخي أبو ليماء ، ان أقول لك إنني قضيت مع ليز أجمل ساعات حياتي . الحقيقة المرّة هي أنني أعتقد أنني بمجرد دخولي الجناح شربت مخدراً وفقدت الوعي دون ان أمدّ يدي نحوها . اتصلتُ فور إفاقتي بالبيت الأبيض ، وقلت للرئيس : «ليندون ! آسف! تأخرّت قليلاً» . ضحك جونسون ضحكة تكسانية مجلجلة ، وقال : «قليلاً؟! أنا في انتظارك منذ ٣ أيام» . قلت : «٣ أيام؟! يا دا الكسوف! يا دي النيلة! متى أستطيع ان أراك؟» . قال : «تعال الآن . ولكن لا تتأخرّ قليلاً!» . رحّب بي جونسون في المكتب البيضاوي وأمر لي بدايت بيبسى ، ثم جلس وراء طاولته ، وسدّد حذاءه في اتجاه وجهي ، وقال : «قوة الأقوياء . . .» قاطعته : «سببها ضعف الضعفاء» . قالِ : «أنتم لا تستحقون الانتصار» . قلت : «ماذا حدث؟» . قال : «انتهت المعركة .» قلت مذهولاً : «في ٣ أيام؟! .» قال : «في ٣ ساعات!» . قلت : «كيف؟!» . قال : «إذا كنت أنت وهو أنت وقعتَ في فخ إليزابيث تايلور فهل تستغرب

أن يقع غيرك؟!» قلت :«وأنت تدري عن إليزابيث تايلور؟! وَرْا ما حذّرتني؟» . ضحك ، وقال : «تريدون أن أحميكم من إسرائيل ومن إليزابيث تايلور؟!» همهمت : «ومن المشير بعد!» . قال : «وِش تقول؟» قلت : «إذن نجحت عملية صيد الديك الرومي؟» . قال :«نجحت» . بدأت الدموع تنهمر من عينيّ ، وأصابتني رعشة ، وقلت : «والآن؟» . قال : «أنت لست في وضع يسمح بالحوار العقلاني . إذهب والعقْ جراحك بهدوء ، وسوف ألتقي بك في الرانش في الشهر القادم . سوف تكون هناك مفاجأة» . قلت : «مفاجأة؟! ما كفانا الهجوم الجوي المفاجئ الذي تنبّأ به الريّس؟» . قال «مفاجأة سارة» . قلت : «عسى!» . اتّبعتُ نصيحة جونسون ، ودخلت مصحّاً في ضواحي واشنطن . هناك قضيت معظم الوقت في لعق جراحي حتى خشيت أن أتحوّل إلى دراكولا . بعد شهر كلمني جونسون تيلفونياً وقال : «سوف أرسل هيلوكبتر تأخذك إلى المطار» . بعد دقائق حطّت طائرة الهيلوكبتر الرئاسية وأخذتني إلى قاعدة أندروز الجوّية .امتطيت الطائرة الرئاسية ، سلاح الجّو رقم ١ ، واستقبلني جونسون بحرارة في صالون الطائرة . بعد الإقلاع ، استأذن جونسون وبدأ يقرأ معاملاته ، وبدأت أتغزّل في المضيفات . حطّت الطائرة في مطار هيوستن ، ومن هناك أخذنا هيلوكبتر إلى رانش الرئيس . ما إن نزلت من الهيلوكبتر حتى وجدت تميرين أبو الحش في انتظاري . صرخت :«تميرين! ماذا تفعل هنا؟» . قال جونسون : «هذه هي المفاجأة» . بعد أن دخلنا

المنزل قلت لجونسون : «ليندون! وش عرّفك بتميرين؟» . قال جونسون : «عرفتُه منذ كان طالباً يدرس البترول مبتعثاً من «وكمارا» . كان جاري في أستن ، وكان يعزمني على كبسة كل جمعة في شقته» . ضحك تميرين ، وقال :«تخبْر يا ليندون يوم تطبخ الكبسة وتحرقها؟» . ضحك جونسون ، وقال : «تخبر يا تميرين يوم أطيح في البركة ولا أنقذني الاّ أبو بنطلون» . قلت : «من هو أبو بنطلون؟!» . قال الاثنان بصوت واحد :«مالك شغل!» . قلت : «ما شاء اللّه! أشوف الأمور بينكم خوش بوش!» . قال تميرين : «توطّدت أكثر وأكثر عندما بدأت أتجسّس على كينيدي لصالح ليندون يوم كان كينيدي رئيس «وكماراً»» . أمَر جونسون بإحضار الطعام . عند انتهائنا التفت إلى تميرين ، وقال «تميرين! أودّ أن أختلي بأبو شلاّخ لمناقشة بعض المواضيع السياسية الهامة . هل من الممكن أن تخرج؟» : قال تميرين : «عجيب! جاسوس حكومة يَطرد؟! قاعد على كبودكم!» . التفت جونسون إليّ ، وقال : «ما هي أخبار فيتنام؟ .» قلت : «ستخسرون الحربْ» . قال : «سنخسرها ؟! خسرناها بالفعل .» قلت : «أثرْك تدري؟!» . قال : «بطبيعة الحال» . قلت : «ولماذا ، إذن ، تدخّلتْ» . قال جونسون : «المؤسسة العسكرية / الصناعية هي التي قرّرت التدخل . فرضت القرار على كينيدي . وفرضت القرار عليّ «أنا مجرد موظف عند المؤسسة العسكرية / الصناعية بمرتبة رئيس جمهورية» . قلت : «ولماذا قررت المؤسسة الموّقرة التدخّل؟» .

قال : «لإنعاش الاقتصاد . الاقتصاد الأمريكي يموت دون حروب . لم يخرج من الركود الأول إلاّ بالحرب العالمية الثانية . ولم يخرج من الركود الثاني الاّ بحرب كوريا . وحرب فيتنام ، الآن ، ضرورية لتحريك الاقتصاد والقضاء على البطالة» .
قلت : «وبنبتل من حرب لحرب حتى ننعش اقتصادكم؟!» .
قال : «لا . في المستقبل ، في ظل العولمة ، سوف تكون جميع أسواق العالم ملكاً لنا ولن نحتاج إلى حروب» . قلت : «وماذا عن الشرق الأوسط؟» . قال : «ماذا تنتظرون؟ هزمتكم إسرائيل ، هل تتوقعون أن تستسلم لكم بلا قيد أو شرط بعد انتصارها؟» . قلت : «هزمتنا بمعدّاتكم» . قال : «معداتكم أكثر من معدّات إسرائيل» . قلت : «عملية صيد الديك الرومي طُبختْ في مطابخ السي . آي . أيه ، كما أثبت الأستاذ أبو سيكل» . قال جونسون : «اسمع! لا تبك على الحليب المسكوب» . فجأة ، قاطعنا تميرين : «وين الحليب؟! ما شِفت حليب!» . قال جونسون : «يا تميرين! كِلمةْ تنقال!» . ثم التفت إليّ ، وقال : «الوقت ليس ناضجاً للتسوية . سوف تبقى حالة اللاحرب واللاسلم بعض الوقت» . قلت : «حتى تقوم حرب ثانية نحقق فيها بعض المكاسب التي تنتكس» . نظر إليّ جونسون مذهولاً ، وقال : «وشْ درْاك؟!» . قلت : «عرّافة سان فرانسيسكو» . قال : «كل شيء في وقته زين» . قلت : «وماذا تنوي أن تفعل في فيتنام؟» . قال : «لن أكون أول رئيس أمريكي ينهزم في حرب . سوف أتقاعد وأدبّس ابن الحرام

نيكسـون بالانسـحـاب» . قلت : «ريتـشـارد قلب الأسـد نيكسون؟!» قال : «ما غيره!» . قلت : «عجيب!» . قال : «الدنيا مليئة بالعجائب» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لمياء ، قضينا الويك إندْ في ضيافة جونسون نصطاد الغزلان ونشويها ونشرب بيرة بدون كحول ونحش في خلق اللّه . في نهاية الويك إندْ شكرنا ليندون على كرم ضيـافتـه وودّعناه . قال تميرين : «مـشـينا!» . قلت : «وين نِبي؟!» . قـال : «إنديو» . قلت : «إنديو؟! . ديّتناها من زمـان!» . قـال : «إنديو ، يا دبْشـة ، مدينة» . قلت : «وِشْ نسوي في مدينة إنديو؟» . قال تميرين : «نحضر مهرجان التمور السنوي .» قضينا في أنديو أسبوعاً قضى خلاله تميرين على قرابة ٥ أطنان من التمور المتنوّعة . قلت : «والآن سننطلق إلى لوس انجلس» . قـال : «ليش؟» . قلت : «اسمع! هناك ممثّل سوف يصبح ، ذات يوم ، رئيساً للولايات المتحدة» . قال : «خير يا طير؟!» . قلت :«العرب لا يتقرّبون من الزعماء إلاّ في فترة حكمهم وعزّهم بخلاف الصهاينة الذين يبدأون التعرّف عليهم واستمالتهم في فترة مبكرة ؛ حتى إذا وصل الزعيم إلى الحكم وصل وهو مدين لهم . أودّ اتباع الأسلوب الصهيوني في تطبيق الرّجال» . لا أطيل عليك ، يا أخي أبو لميـاء ، أقنعت تميـرين أبو الحش بمرافقتي وانطلقنا إلى بيفرلي هيلز . في الطريق قلت لتميرين : «نبي نودّي له هديّة تسوى . وِشْ رأيك؟» . قال تميرين : «تمرْ خلاص» . قلت : «وانت خليّت في انديو تمر خلاص؟!» . قال

تميرين : «هو جمهوري وإلاّ ديمقراطي؟» . قلت : «جمهوري متطرّف» . قال : «نشتري له فيل . شعار الحزب الجمهوري» . قلت : «فيل؟! هذي سالفة الفيل الأبيض! وشْ يسوّي بالفيل؟ اكله اليومي مدخولْ شهرْ» . قال تميرين : «اجل سيارة كدلك» . قلت : «هذا الكلام!» . طلبنا موعداً مع رونالد ريجان واصطحبنا معنا الكدلك . قال تميرين : «يا مستر ريجان . . .» قاطعه : «سمّني رون» . قال : «يا رون! جئنّا مندوبين عن الحزب الجمهوري الأمريكي في المبرّز» . قال ريجان : «ما شاء اللّه! عندكم فرع للحزب في المبرّز؟» . قال تميرين : «فرع نشط» . قال ريجان : «وماذا عن الديمقراطيين؟» . قال تميرين : «لا يؤيدهم سوى نفرين أو ثلاثة من الشيعة» . قال ريجان : «من الشيعة؟ عساكم تضطهدونهم؟» . قال تميرين : «إضطهاد ما في . نحن لا نؤاكلهم ولا نجالسهم ولا نصافحهم ولا نصاهرهم ولا نوظّفهم ولا نردّ عليهم السلام . فيما عدا ذلك ، هم إخواننا في الوطن والدين» . قال ريجان : «هذا هو التسامح بعينه» . قلت : «يا رُونْ ! أحضرنا لك هدية من المبرّز» قال : «مقبولة! عسى ما جبتم فيل؟ في الحديقة ٥٠ فيل ماتوا من الجوع ودفنّاهمْ» . نظرت إلى تميرين وابتسمت ، وقلت لريجان : «جبنا لك كدلك» . قال : «مقبولة!» . استدعى ريجان زوجته نانسي وطلب منها إعداد العشاء . طبخت لنا نانسي سباجتي مع صلصة البولينيز . بعد العشاء ، ونحن نودّع ريجان قال : «نسيت أسألكم . المُبرّز في أي منطقة من تكساس؟» قال تميرين : «المُبرّز

في الميسيسبي» . قال ريجان : «آه! بالتأكيد! الذاكرة تخونني أحياناً» . قلت : «يا رون! حضّر نفسك! دُورك جاي!» . نظر إليّ مذهولاً ، ثم ابتسم ، وقال : «النادي البوهيمي؟!» قلت : «النادي البوهيمي» . بمجرد خروجنا قال تميرين : «هذا اللي ما يعرف كوعه من بوعه بيصير رئيس الولايات المتحدة؟!» . قلت : «بيصير!» . قال : «راحت الكدلك خسارة!» . قلت : «الكدلك إستثمار مضمون» . قال تميرين : «إلاّ وش قصّة النادي البوهيمي؟» قلت : «لا أعرف» . قال : «تكفىْ ، يا أبو شلاّخ ، شِف لنا عضوية . ما سمّوه البوهيمي إلاّ من كثرة الأناسة اللي فيه» . قلت : «يا ابن الحلال! لا أعرف شيئاً عن النادي البوهيمي» . قال : «تكفى شوف المدير نبخششه ونأخذ عضوية» . قلت : «يا تميرين! نحن الزيتيين مُتهّمون باستخدام الرشوة لفرْش شقق مفروشة في الضمائر» . قال تميرين مستغرباً : «عجيب! هو البخشيش رِشْوة؟!» . قلت : «أجل وِشْو؟» قال : «البخشيش إكرامية» . قلت : «والرشوة؟!» قال : «الرشوة برطيل» . قلت : «العلم بحرا!» . ذكر تميرين لي أنه ذاهب إلى كوبا ، واقترح أن أرافقه . قلت : «وِشْ تسوي في كوبا؟» قال : «عندي شركة فنادق هندية اسمها «أوه بوي!» بتفتح فندق في هافانا وأنا معزوم» . قلت : «الهنود ما خلّوا شيء! بس اعذرني من ها السفرة» . قال : «ليش؟» . قلت : «ليش؟ أنا واياك من الرأسماليين عفونة الرجعية . أخاف يصيدنا أبو لحية جريئة ويلعن أبو صيرنا» . قال : «يارجّال تعال

ولا تخاف» . للأسف الشديد ، يا أخي أبو لمياء ، وافقت على الذهاب معه . وصلنا قبل افتتاح الفندق بيومين وخصصت لنا الإدارة جناحيْن فخمين . بعد وصولنا ذهبت أزور تميرين في جناحه ، فإذا به يقول : «عندك خبر أن كاسترو عنده بنت غير شرعية؟» . قلت : «هُس! إسكتْ!» . قال : «وعندك خبر ان كاسترو كل يوم مع مرَه جديدة؟» . قلت : «يا تميرين! انتبه! الجدران لها آذان» . قال : «وعندك خبر أن كاسترو مدمن يشرب ٤ قزايز رَمْ كل يوم؟» . ما إن أكمل تميرين أبو الحشّ حشّته هذه حتى فوجئنا بباب الجناح يفتح وبقرابة ٣٠ رجلاً من المباحث الكوبية يدخلون ويسحبوننا إلى سجن أرضي رهيب . قضينا في السجن أكثر من ٣ شهور . قلت لتميرين : «مالنا إلاّ طريقة واحدة . نضرب عن الطعام ونطلب مقابلة كاسترو» . قال : «اضربْ بلحالك . انت متين ولا يضرّك الجوع . أنا وِش كاري؟!» . قلت : «وِش كارك؟! لولا لسانك الطويل ما ذَبّونا في ها الدّباب» . أقنعت تميرين بالإضراب عن الأكل معي ، وبعد ٤ أيام سُمح لنا بمقابلة كاسترو . ما إن دخلنا عليه قاعة الشعب الصغرى حتى وقفتُ أمامه وأنشدت :

يا الشيوعي . . يا الرفيق الإشتراكي
يا أبو لحية إشْ زينها . . والبدلة كاكي
يا زعيم المُفلسين . . الكادحين
يا البطلْ . . يا مَنْ تحدّيت الهلاكي

الخنازير هِجمتْ . . وانتَ انتصرتْ

وعيّطتْ ليلتها من حَسرتها جاكي

إعذرْ تميرين تَرىْ طبعه خسيس

يمضغْ الحشّ بَثْمَه مضغ السُواكي

يا الرفيق ارفق بنا . . يا الأجْودي

يا حبيبَ الشعب . . يا أطهر ملاكي

طرب الرفيق كاسترو للأبيات ، وأمر بإطلاق سراحنا على أن يكتب تميرين تعهداً خطيّاً يلتزم فيه بعدم العودة إلى حَش الحركة الشيوعية العالمية ورموزها . كتب تميرين التعهد وانطلقنا في زورق إلى فلوريدا . بمجرد نزولنا من الزورق قال تميرين : «لاحظت أن كاسترو كان سكران يوم قابلناه؟» . قلت : «يا ابو الحش! خاف ربك! حبر التعهد ما نشف» . قال تميرين : «تخاويني؟» قلت : «وين ها المرّة؟» . قال : «بنما» . قلت : «بنما؟! وش تسوّي؟» . قال : «فندق من فنادق أوه بويّ»! «بيفتتح» . قلت : «هوى ناقتي خلفي . . وقدامي الهوى» . قال : «لم أفهم» . قلت : «رَحْ في طريقك . وأنا في طريقي . ولا تحش الجنرال هناك» . ودّعت تميرين واستأنفت رحلتي حول العالم . شَهِدتْ هذه المرحلة من الرحلة أحداثاً جساماً منها إنشاء مكتبة الأمازون الإنترنتيه ، وتطوير الموبايل ، وتأسيس نادي لبن العصفور ، ومحاولة الموساد اغتيالي عن طريق الأسماك المفترسة ، وإقامتي العجيبة في الهند .

توفيق - هل من الممكن أن نستعرض هذه التطورات باختصار؟

أبو شلاّخ - باختصار؟! منذ أن بدأت الحديث معك ، يا أخي أبو لمياء ، وأنا أروي لك كل شيء ، وأنا أعني كل شيء ، باختصار . خير الكلام ما قل ودلّ . هذا مبدأ من مبادئي الراسخة . حسناً! فلنبدأ بالتسلسل .أدت إقامتي في دبّاب كاسترو إلى إصابتي بحساسية وربو وصعوبة في التنفس . قضيت أسبوعين في «مايو كلينيك» ولم أشعر بأي تحسّن . قبل مغادرتي المستشفى قال لي كبير الأطباء إن علاجي الوحيد هو لبن العصفور . وهكذا ، يا أخي أبو لمياء ، عدتُ إلى أعماق الأمازون أبحث عن صاحبنا المتاجر بالعصافير التي تدرّ لبنا . وجدته ، ووجدت عنده عصفوراً يحلب إلاّ أنه رفض أن يبيع الحليب بالفنجان ، وأصرّ على أن أشتري العصفور الذي ارتفع سعره بفعل التضخم إلى مليونيْ دولار . جلست أفكّر في كيفية التعامل مع جشع الرجل . وإذا بأربعة أشخاص يقبلون عليّ ويقدّمون أنفسهم . بدأنا الحديث ، واتضح أنهم جميعاً جاءوا للاستشفاء بلبن العصفور . اتفقنا على إنشاء شركة يساهم كل منا بجزء من رأسمالها ، وتقوم الشركة بشراء العصفور . وهذا ما كان . تأسست شركة لبن العصفور ، وبمجرّد شراء العصفور قرّرنا تحويلها إلى نادي لبن العصفور . كان هناك الأعضاء الأربعة بالإضافة إلى شخصي الضعيف . أرجو ، يا أخي أبو لمياء ، أن تقدّر أن نادي لبن العصفور مؤسسة سريّة

خفية تفكيرية تطويرية تآمرية ، ولا أستطيع أن أعطيك أسماء الأعضاء ، ولكني أستطيع إعطاءك بعض المعلومات غير السريّة . كان هناك مواطن أمريكي متخصّص في الكمبيوتر . وكان هناك مواطن ياباني يملك شركة اتصالات . وكان هناك مواطن فرنسي يتعاطى الفلسفة . وكان هناك جورو هندي متعمّق في الروحانيات . بدأنا نشرب لبن العصفور حتى شفينا من أمراضنا المختلفة ، واتخذنا قراراً بإطلاق العصفور . بدأ نادي لبن العصفور يعقد اجتماعات ليلية في أدغال الأمازون . قال الفيلسوف الفرنسي ذات ليلة : «آه لو كان عندي ، الآن ، تيلفون نقال أستطيع مخاطبة عشيقتي في باريس بواسطته» . ما إن أكمل الفيلسوف عبارته حتى أدرك الأعضاء أهميّة الفكرة ، وتناولها العضو الياباني بالشرح التفصيلي . وهكذا ، يا أخي أبو لمياء ، ولد الموبايل الذي انتشر ، بعد سنوات ، بشكل وبائي . في ليلة أخرى قال الروحاني الهندي :«لو كانت هناك مكتبة يستطيع الإنسان أن يطلب منها كتباً بالانترنت لطلبت ، الآن ، بعض الكتب الروحية» . وهكذا ، يا أخي أبو لمياء ، وُلدت فكرة مكتبة الأمازون وهكذا حصلت على أسمها . قررّنا قبل أن نفترق عقد اجتماعات دورية لنادي لبن العصفور نبحث خلالها التطورات المقبلة وكيفية استثمارها تجارياً . طلب مني الجورو الهندي زيارته في الهند للتعمق في الروحانيات ، وقبلت الدعوة شاكراً على أن يتم تحديد موعدها ، فيما بعد ، بالطرق الانترنتية . قُبيل سفري من الأمازون ، يا أخي أبو لمياء فوجئت

بفتاة جميلة شقراء متختخة تتقدم مني وتبتسم ، وتقول : «أبو شلاّخ؟! أليس كذلك؟!»

توفيق - فتاة جميلة شقراء في أعماق الأمازون؟

أبو شلاّخ - نعم ، يا أخي ابو لمياء ، نعم . قالت إنها تمثل في فيلم يُصوّر في الأدغال ، وإنها ضلّت الطريق ، وإنها بمجرد رؤيتي عرفتني لأنها سمعت عني من إليزابيث تايلور . كان شعوري ، وقتها ، شعور أيّ مواطن عربي نِسونْجي خِبْل ، وصدّقتها . إقترحَتْ أن نسبح معاً ، عاريين ، في مياه الأمازون الدافئة الحالمة تحت أشعة القمر الناعسة . قلت : «خوشْ راي!» . قالت : «إسبقني ياالحبيب!» . بمجرد نزولي في الماء انقضّت عليّ ملايين الأسماك المفترسة من فصيلة «البيرانا» وبدأت تُعمل أسنانها الصغيرة الحادة في جسمي . صرختُ في الفتاة الشقراء :«ما هذا؟!» . ضحكت اللبوة ، وقالت : «هديّة من السمك! مع تحيات الموساد!» بدأت الدماء تنزف مني بغزارة . وفقدت الوعي . بعد فترة لا أدري طالت أو قصرت ، فتحت عيوني فإذا بطبيبان أمامي ، وإذا بي في غرفة في مستشفى الشميسي بالرياض . قال طبيبان : «الحمد لله على السلامة» . قلت : «اللّه يسَلمك . ماذا حدث؟» . قال طبيبان : «التهمتك الأسماك التهاماً وقطّعت جسمك وَصْلة وَصْلة» . تأملت جسدي فوجدته صاغاً سليماً قطعة واحدة . قلت : «ولكني بخير» . قال طبيبان : «رقّعت جلدك ولحمك بجلود تماسيح وحيايى بعد أن أجريت عليها تجارب فأصبحت لا

تخـــتلف عن اللحم الآدمي» . قلت : «وأين أجـــريت التـجـارب؟!» . قـال : «في ذا . في الشـمـيـسي» . قلت :«في الشميسي؟! يجعل سرّه في أضعف خلقه!» . أطرقت مفكّراً ، ثم قلت : «يا طبيبان! هل أنا ، الآن ، من فصيلة الزواحف؟» . قال طبيبان : «تخسى وتعقب! لا تزال من فصيلة الخضيرية» . الواقع ، يا أخي أبو لمياء ، أن تحولّي من كـائن بشري إلى كـائن شبـه زواحـفي أدّى إلى إصـابتي بصـدمـة عـصبـيـة أدّت إلى اكتئاب نفسي عميق . قررت أن أقبل دعوة صديقي الروحاني . سافرت إلى الهند ، وقضيت سنتين في قمم الهملايا الشاهقة؟

توفيق – قمم الهملايا؟! ماذا فَعلت هنَاك؟

أبو شـلاّخ – كل شيء تقـريبـاً . تعلمت اليـوجـا . وتعلّمت وقف التنفّس بحـيث أسـتطيع أن أقـضي مـدة ٦ أسـابيع في تابوت تحت الأرض . وتعلّمت المشي على الجـمـر الملتـهب . وتعلّمت النوم على فـراش من مـسـامـيـر . وتعلمت ابتـلاع السكاكين والخناجر ، وتعلّمت . . . .

توفـيق– أعـتقـد أني أخذت فكرة كافـيـة . بالمناسـبة ، متى سينتهي حديثك عن رحلتك حول العالم؟

أبو شلاّخ – أوشك على الانتهاء ، يا أخي أبو لمياء ، أوشك على الانتـهاء . كنت ذات فجر مع صديقي الروحـاني الهندي عندما رأيت طائرة شبح أمريكية تقـترب من القـمم الشـاهقـة التي كنا نمارس تمارين اليـوجـا عليـهـا . حطت الطائرة ، ونزل الكابتن وقال : «الرئيس نيكسون يدعوك إلى تناول فنجان قهوة

معه في المكتب البيضاوي» . ودّعت صديقي الروحاني ، وامتطيتُ طائرة الشبح ، وفي خلال ساعات كنت في فندق «الماي فلور» . تكلمت مع الرئيس فطلب مني الحضور فوراً .كنت في الدهليز المؤدي إلى المكتب البيضاوي عندما فتح باب في الدهليز وانطلق منه رجل كالقذيفة وتعلّق بكرافتتي حتى قطّعها وهو يصرخ : «هيّه وكالة من غير بوابّ؟! ولا هيّة وكالة من غير بواب؟!» . قلت : «آه! أهلاً عزيزي هنري! الرجل البومة! المفكر الاستراتيجي!» . قال : «إعلم ، يا أبو شلاّخ ، أني مكوّش على الرئيس تكويشة إلى درجة أن زوجته لا تستطيع مقابلته بغير إذني» . قلت : «عزيزي هنري! هذي مو حالة! أبو سيكل مكوّش على الريّس هناك . وأنت مكوّش على الريّس هنا . كيف أستطيع إذن أن أقوم بواجباتي الدولية؟» . بدأ هنري يصرخ ، وبدأت أصرخ . سمع نيكسون الصراخ فخرج من مكتبه وقال :«هنري! دعه يدخل! هذه المرة فقط! أرجوك رجا!» . استقبلني الرئيس بحفاوة وأمر لي بكوتج جيز مع الكتشب ، وقال : «قرأت وديعة روزفلت ، وسمعت الكثير عنك» . قلت : «أنا تحت تصرفك» . قال : «الصراحة راحة! أنا الآن مشغول بقضية فيتنام ولا توجد لدي دقيقة واحدة للشرق الأوسط . حقيقة الأمر ، يا عزيزي يا أبو شلاّخ ، اني أوعزت لهنري بوأد كل مبادرة تتعلق بالشرق الأوسط ، خصوصاً مبادرات هالملقوف وزير الخارجية روجرز» . قلت : «للّه درك! تدير الصراع بين مراكز القوى ببراعة ، مو مثل بعض ربعنا» . ابتسم ولم يُعلّق . قلت :

«وبعد الانسحاب من فيتنام سيتم ترتيب الحرب المحدودة بين العرب وإسرائيل» . قال : «يعجبني ذكاء البدو الفطري» . قلت : «والزبدة أنك ستركز على الشرق الأوسط بعد حل مشكلة فيتنام؟» . قال : «أحسنت!» قلت : «بالمناسبة ، ماوتسي تونج يدعوك لزيارة الصين» تهلّل وجه نيكسون وقال : «إحلف!» قلت :«واللّه!» قال : «وسوف يعطيني فيزا مفتوحة؟» قلت : «مفتوحة لا . فيزا مصكوكة» . قال : «بعد خروج آخر جندي أمريكي من فيتنام سوف أزور الصين . وِش عندك بعد؟» قلت : «احذر التسجيلات ، يا دِكْ . سوف تكون نهايتك بسبب التسجيلات» . قال : «لابدّ أن أسجل كل كلمة تقال هنا حتى لا يشوه أعدائي صورتي في التاريخ .» قلت : «جاك العِلمْ!» . قال : «من وين جا؟» . قلت :«من صديقي الروحاني الهندي» . قال : «أنا منحاز إلى الباكستانيين ضد الهنود» . قلت : «بُصرك!» . بمجرد خروجي من مكتب الرئيس قفز هنري كيسنجر من مكان ما في الدهليز وسحبني سحباً إلى مكتبه . قال : «ماذا قال لك السيد الرئيس؟» قلت : «حدثني عن تجربته مع شركة بيبسي كولا» . قال : «وغير ذلك؟» . قلت : «وعن كتابه الذي روى فيه قصص أزماته الست» . قال : «وغير ذلك؟» قلت : «ذكر أنه يشتهي رؤية سور الصين العظيم» . قال : «هل أنت متأكد أن الرئيس قال هذا؟» قلت : «مليون في المليون» . قال : «سوف أتبنّى الفكرة وأقنعه أنها فكرتي» ، قلت : «جود فور يو!» . أطرق هنري كيسنجر مفكراً ، ثم قال :

«بالمناسبة ، هل تعرف الأستاذ أبو سيكل؟» . قلت : «ما أعرف غيره! صديقي منذ كان صحفياً شاباً طموحاً مغموراً مغروراً» . قال : «منذ تعييني وأنا أحاول لقاءه وهو يرفض . حقيقة الأمر أنه كتب عن محاولاتي الفاشلة مقالاً كبيراً في «الفهّام» . هل تستطيع إقناعه بمقابلتي؟» . قلت : «لا تتعب نفسك . أبو سيكل لا يقابل سوى رؤساء الدول ، ولا هوب كلّهم» . قال : «هل يرضى أن يقابلني إذا أصبحت وزير خارجية؟» قلت : «لن يقابلك ولو أصبحت السيّدة الأولى» . قال : «أرجو أن تبلغه إعجابي الشديد» . قلت : «يوصل!» بمجرد عودتي إلى الوطن استأنفت نشاطاتي التجارية بمشروع الفقع التجاري . . .

توفيق - يا أبو شلاّخ! أرجو أن تسمح لي بإبداء وجهة نظر قبل أن تبدأ الحديث عن مشاريعك التجارية .

أبو شلاّخ - تفضل!

توفيق- عرفت الكثير عن نشاطاتك التجارية والنسائية والسياسية ولكني لا أكاد أعرف شيئاً عنك كإنسان .

أبو شلاّخ - ماذا تريد أن تعرف؟

توفيق - أريد أن أعرف الجوانب المختلفة التي تكوّن في مجملها شخصيتك . فلسفتك . هواياتك . الأشياء التي تجلب لك السعادة . الأشياء التي تسبب لك الشقاء . عطرك المفضل . التفاصيل الصغيرة التي تجعل القارىء يتعاطف معك بصفتك إنساناً مثله .

أبو شلاّخ - اسأل ما شئت . أنا تحت تصرفَك .

الفصل السابع

الجوانب العديدة للقمر

أيها الباهر العقول . . . فما يُدرَكُ
وصفاً . . . أتعبت فِكري . . فمهلا!

المتنبي

توفيق – لنبدأ بهواياتك .

أبو شلاّخ – أحبّ هواياتي إلى نفسي مصارعة أسماك القرش .

توفيق – أسماك القرش؟!

أبو شلاّخ – القرش بالمعنى العلمي الحرفي ، ليس سمكة ، ولكن هذا لا يهمّ . القرش معروف ، ويُسمّى في منطقتنا الجرجور ، أو ، إذا أردت الدّقة ، اليريور . وأنا لا أصارع إلاّ قرشاً يزيد طوله على ١٥ متراً ، ومن النوع الأبيض الشرس الذي اشتهر بعد فيلم «الفك المفترس» .

توفيق – وكيف تتمّ مصارعة القرش؟

أبو شلاّخ – تأخذ معك جهاز غوص وتذهب إلى منطقة يوجد فيها هذا النوع من القرش . حين ترى قِرشاً تتوافر فيه المواصفات تبدأ في مصارعته . إذا نَجحت في قلبه على ظهره تكون أنت الفائز ، وإذا نجح في تمزيقك والتهامك يكون هو الفائز .

توفيق – أليست هذه هواية خطرة؟!

أبو شلاّخ – جداً ! جداً ! وسامح اللّه «كروكاديل دندى»

الذي دلّني عليها . ولكن لا تقلق . هذه الأيام لا أمارس الهواية إلاّ فيما ندر . يقوم اليابانيون بعملية إبادة عرقية منهجية لأسماك القرش حتى أصبح من المتعذّر الحصول على قرش تتوافر فيه المواصفات .

توفيق - هل لديك هوايات أخرى؟

أبو شلاّخ - نعم . الجوائز .

توفيق - الجوائز؟! تقصد الحصول عليها؟

أبو شلاّخ - لا .! لا! أقصد تقديمها .

توفيق - هل من الممكن أن تحدثني عن بعض الجوائز التي تقدّمها؟

أبو شلاّخ - بكل سرور . هناك جائزة المُبرّز لأفضل ديوان شعر نبط كلاسيكي . وجائزة القطيف لأفضل ديوان شعر نبط حداثي . وهناك جائزة محيسن الهزّاني لأحسن قصيدة شعر نبط غزلية . وهناك جائزة أبو شلاّخ التقديرية الكبرى التي تقدّم للعجائز من شعراء النبط . وهناك جائزة أبو شلاّخ التقديرية الوسطى التي تقدّم لكهول شعراء النبط . وهناك جائزة أبو شلاّخ التقديرية الصغرى التي تخصص للناشئين من شعراء النبط . وهناك جائزة وضحا لأفضل ديوان شعري نبطي نسائي . وهناك جائزة صبحا . . .

توفيق- كم مجموع الجوائز؟

أبو شلاّخ - ٥٠ جائزة تقدم سنوياً .

توفيق - كم مبلغ الجائزة الواحدة؟

أبو شـلاّخ – تبـدأ بـ ١٠,٠٠٠ دولار وتنتـهي بـ ١٠٠,٠٠٠ دولار .

توفيق – ولماذ التركيز على شعر النبط؟

أبو شلاّخ– السبب الحقيقي أني أريد أن أزعج عرب الثورة ، عرب المركز . هؤلاء العرب أهملونا أيام فقرنا ، وحسدونا أيام غنانا . ومع الإهمال والحسد كان هناك ، دوماً ، الاحتقار . هؤلاء الأشاوس لا يعترفون إلا بما يدور في ٣ أو ٤ عواصم عربيّة ، أما بقية العرب فصفر على الشمال . كان الأمر مقبولاً عندما كانوا يخاطبوننا باللغة العربية الفصحى ، أو ما يشابهها ، ولكنهم ، هذه الأيام ، لا يتحدثون إلا بلغة عاميّة مفرطة في عاميتها إلى حد البذاءة . تصوّر ، يا أخي أبو لمياء ، أستاذاً جامعياً محترماً يدرّس الأدب العربي المحترم في جامعة عربية محترمة يتحدث من قناة فضائية عربية محترمة على هذا النحو :«الوائع إنو المتنبي نزر للموضوع نزري وجودي ومن ها المنطلأ كان فيه يئول إشيا ما بيطلع بإيد حدا غيّرو إنّو يئولا» . أفهم أن يتكلم زعران البسطة بهذه الطريقة ولكن لا أفهم أن يتكلم أساتذة الجامعة في برنامج عن الكتب بهذه الطريقة . لا يفلّ الحديد إلا الحديد ، ولا اللهجة العاميّة إلاّ اللهجة العامية . الهدف من جوائزي فرض لغتنا المحليّة على الجميع . حتى سعيد عقل أصبح ، الآن ، يفهم بعض الكلمات في لهجتنا .

توفيق– كنت أظن أنك ذو نزعة عروبية قومية .

أبو شلاّخ – حدّث ولا حرج عن نزعتي العروبية . ولكن

قبل أن يقوم أي تقارب حقيقي بين العرب يجب أن نكون عرباً من درجة واحدة ، لاعرباً من الدرجة الأولى ماركة مدن ، وعرباً من الدرجة العاشرة ، ماركة صحاري . عرب المدن ، يا أخي أبو لمياء ، اعترفوا بإسرائيل ، ولم يعترفوا بنا . حضاريون يصالحون حضاريين وما دخل القبليين البدائيين في المسألة؟ هؤلاء العرب ، أصحاب حضارة سبعة آلاف سنة فما فوق ، لم يسمعوا عن أديب بعد جبران ولا عن مفكّر بعد لطفي السيد ، ولا عن صحيفة غير «الفهّام» . هؤلاء . . . .

توفيق- كنا نتحدث عن هواياتك .

أبو شلاّخ - نعم . وكنت أشرح لك السبب وراء حرصي على نشر شعر النبط .

توفيق - هل من الممكن أن ننتقل إلى موضوع آخر؟

أبو شلاّخ - بكل سرور .

توفيق - هل أنت إنسان سعيد؟

أبو شلاّخ - نعم ، عموماً وإجمالاً ، وأحمد اللّه حمداً كثيراً كل دقيقة . حقيقة الأمر ، يا أخي أبو لمياء ، أنني أعتقد أن القدر وزّع السعادة والشقاء بين البشر بنسب تكاد تكون متساوية . كل غنيّ رأيته كان جشعاً و يمنعه جشعه ، رغم ثرائه ، من الإحساس بالسعادة . كل قويّ رأيته كان يتحرّق إلى المزيد من القوة ، ولا يعرف طعم السعادة . كثير من الفقراء قنوعون وسعداء .

توفيق - هذه نظرة تبريرية اعتذارية .

أبو شـلاّخ - ربّمـا ! أتحـدّث عن مـلاحظاتي الشـخـصـيـة . أنصـحك أن تمعن النظر في ما وراء السطح الخـارجي . سـوف تكتشف أن الذين كنت تعتقد أنهم سعداء هم أقل سعادة مما كنت تتصوّر ، وأن الذين كنت تعتقد أنهم بؤساء هم أقل بؤساً مما كنت تتوهم .

توفيق - هل أنت سعيد طيلة الوقت؟

أبو شـلاّخ - لا! لا! لا يوجـد إنسـان سـعـيـد طيلة الوقت . هناك لحظات نادرة في حـيـاة كل إنسـان ، سـواء كـان غنيّـاً أو فقيراً ، مشهوراً أو مغموراً ، لحظات تطفح بالسعادة الغامرة على نحو يجعل الإنسان متفجّراً بالسرور . هذه اللحظة تعادل ١٠٠ يوم من الأيام العادية .

توفـيق - هل من الممكـن أن تحـدثـني عن بعض هذه اللحظات في حياتك؟

أبو شـلاّخ - بكل سرور . خـذ ، على سبيل المثال ، اللحظة التي ضـبطتُ فـيـها الأسـتاذ ولعة أبو سـيكل مـتلبّساً بحضـور جلسـة من جلسـات النادي البـوهـيـمي . كنت أرتدي طاقـيـة الإخـفـاء ، وعندما رأيتـه تسللتُ وجلستُ إلى جانبه وهمست في أذنه : «أسـتـاذ أبو سـيكل!» . لاحت على وجـهـه عـلامـات الرعب وصـرخ : «نقـول له مين؟» . قلت : «ولو! أبو شـلاّخ» . فـيـمـا بعد أخـبرني بقصـة حضـوره إلى النادي . عندما أصـبح السـادات رئيـسـاً حـاول أبو سـيكل التكـويش عليـه ، ولكـنه اكـتشف أن عـثمـان أحـمـد عثـمـان سـبقـه إلى مكتب الرئيس

ورفض أن يتزحزح . فيما بعد ، فنّش السادات أبو سيكل من «الفهام» ولم يعد صاحبي مشغولاً كما كان . استغلّ كيسنجر هذه الفرصة ونجح في مقابلة أبو سيكل . إلاّ أن أبو سيكل فرض عليه ثمناً باهظاً مقابل اللقاء ، وهو أن يدعوه إلى اجتماع من اجتماعات النادي البوهيمي . كتب أبو سيكل حتى الآن ١١ كتاباً عن الاجتماع اليتيم ، والبقية تأتي . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، أن السادات طقت نفسه من أبو سيكل . . .

توفيق - هل بالإمكان أن ننتقل إلى لحظة أخرى من لحظات السعادة؟

أبو شلاّخ - بكل سعادة . كنت مع الرئيس نيكسون خلال أزمة الطاقة وقال لي : «يا أبو شلاّخ! هل من الممكن أن تتوسط مع جماعتك لخفض أسعار البترول؟» . قلت : «يا تِرْكي دِكي! اطلعْ من دول !أنتم الذين خطّطتم لارتفاع الأسعار» . اصفرّ وجه نيكسون ، وكانت مشاهدة وجهه المصفرّ لحظة من أسعد لحظات حياتي . قال : «وكيف عرفت؟» . قلت : «من النادي البوهيمي» . كاد يُغمى على نيكسون من الغضب ، وكاد يُغمى عليّ من السعادة . قال : «أصبحت أسرار أمريكا طوفة هبيطة أمام الخضيرية» . قلت : «احذر التعليقات العنصرية» . حقيقة الأمر ، يا أخي أبو لمياء ، انّي عرفت سرّ الموقف الأمريكي من الأستاذ أبو سيكل الذي عرفه من الشاهنشاه خلال مقابلة صحفية . في بداية المقابلة قال أبو سيكل للأمبراطور : «اسمع يا ولهْ أنت يا محمد رضا! ما تفتكرش أني فاضي أقول لك

صاحب الجلالة الامبراطورية وَمشْ صاحب الجلالة! اسمع! أنا أسمّيك سي محمد رضا ، وأنت تسمّيني سيادة الأستاذ الكبير أبو سيكل» . احمرّ وجه الشاهنشاه ، أو ربّما امتقع ، وهم أن يطلب من السافاك اعتقال أبو سيكل وقلع أظافره . إلاّ أن أبو سيكل عاجله صارخاً : «إنت حتسمع الكلام والاّ أسلّط عليك مدافع آية اللّه وأضع إيران على كف شيطان؟!» . ذُعر الشاهنشاه وأفضى بكل أسراره إلى أبو سيكل . من ضمن هذه الأسرار أن كيسنجر هو الذي فرض على الشاهنشاه رفع الأسعار . في أعقاب المقابلة أصيب الشاهنشاه بالسرطان ولم . . . .

توفيق - هل بالإمكان الانتقال إلى لحظة أخرى من لحظات السعادة؟

أبو شلاّخ - من أسعد لحظات حياتي تلك اللحظة التي شهدت مولد الصفقة التاريخية بيني وبين الرئيس جورج بوش .

توفيق - أيّ صفقة؟

أبو شلاّخ - أن يقوم بإرسال سفيرة اسمها إبريل إلى البلد اللي في بالي وبالك مقابل أن أقوم باستنساخ طبعة جديدة من بن شادن .

توفيق - تستنسخ بن شادن؟! لماذا ؟!

أبو شلاّخ - اعلم ، يا أخي أبو لمياء ، أن بن شادن كان يحارب السوفييت في أفغانستان بالتعاون الوثيق مع السي . آي . ايه . تستطيع أن تعتبره عميلاً من عملاء السي . آي .

ايه . في نهاية الحرب الأفغانية حاول أن يلعب بديله ، كما يفعل كثير من عملاء السي . آي . ايه . السابقين . قتله الأمريكان ، على طريقة شي جيفارا ، ولم يعلنوا عمّا حدث . بعد فترة وجيزة ، أدرك الأمريكان أنهم ارتكبوا خطأً كبيراً بقتله . مع تفكك الاتحاد السوفييتي كان لا بد من عدو بديل يركّز عليه الساسة الأمريكيون . لجأ إليّ بوش يطلب المساعدة . من حسن الحظ أن السي . آي . إيه احتفظت بأظافر بن شادن على سبيل التذكار . باستخدام هذه الأظافر تمكن طبيبان من استنساخ بن شادن ، وحصل الأمريكان على البعبع المطلوب . وفى بوشّ بوعده ، وأرسل السفيرة ، وكان ما كان مما يعرفه الجميع .

توفيق - كنت أعتقد أنّي من أعظم المتحمسين لنظرية المؤامرة . ولكنني اكتشفت الآن أنّي مجرد تلميذ في الابتدائية .

أبو شلاّخ - هذا صحيح . والسبب أنك لا تعرف الأشياء التي أعرفها أنا ، وتجهل الأمور التي لا أجهلها أنا . أنت لا تعرف القوى الحقيقية المحرّكة للمؤسسة الصناعية/ العسكرية في أمريكا ، وأنا أعرفها . أنت لا تعرف أعضاء النادي البوهيمي ، وأنا أعرفهم فرداً فرداً . أنت لا تعرف الوسائل التي تلجأ إليها الموساد لاستمالة العرب ، وأنا أعرفها . وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً ، قلت لك إنك لا تعرف كيف يصبح زعماء العالم الثالث الفقراء من أصحاب البلايين ، وأنا أعرف . خذ ، على سبيل المثال ، الزعيم الثوري المناضل الذي قضى معظم

حياته في السجن وخرج من السجن وهو على الحديدة ، وفجأة تحوّل إلى ثريّ لأن معجباً مجهولاً . . .

توفيق - هل من الممكن أن نغيّر الموضوع؟

أبو شلاّخ - هذا أفضل . لنحتفظْ ، جميعاً ، بالصورة المثالية الموجودة في أذهاننا عن بشر أبعد ما يكونون عن المثالية . عمّاذا تريد أن نتحدّث؟

توفيق - عن العولمة .

أبو شلاّخ - على الخبير سقطت! مع انتشار العولمة سوف تتركّز القوة والثروة في يد ١٥٪ من الجنس البشري . سوف يصبح المجتمع الدولي شبيهاً بمجتمع الريّس أبو ٢٪ . كل صناعة تراها الآن في العالم الثالث سوف تفلس . كل بقالة ستقفل . كل بنك سينهار . كل . . .

توفيق - أعوذ باللّه! لماذا ؟

أبو شلاّخ - اقتصاديات المشروع الكبير . الأسماك الكبيرة تلتهم الأسماك الصغيرة ، والمشروع الكبير يبتلع المشروع الصغير . المصنع الواقع في دولة ما من دول العالم الثالث وينتج ٥٠٠ حذاء في اليوم ، كيف يستطيع أن ينافس مصنعاً في دولة صناعية ينتج ٣٠٠٠ حذاء في اليوم؟ المتجر الذي يبيع ٢٠٠ قميص في اليوم كيف يستطيع أن يصمد أمام متجر يبيع ١٠٠٠٠ قميص؟ البنك الذي لا يتجاوز رأسماله بليون دولار كيف ينافس بنكاً رأسماله ترليون دولار؟ فوق ذلك هناك حقوق الملكية .

توفيق - حقوق الملكية ؟!

أبو شلاّخ - في المستقبل لن يكون هناك شيء ، أي شيء يا أخي أبو لمياء ، إلاّ وهو محاط بحقوق ملكية . خذ ، مثلاً ، موضوع البذور . كل البذور ، مستقبلاً ، سوف تكون خاضعة لحقوق الملكية . بوسع الشركة التي تملك حق الملكية أن ترفع سعر البذرة الواحدة إلى دولار واحد أو دولارين . أضفْ إلى هذا كلّه قضيّة الجينات ، وسوف تكون صورة المستقبل أمامك واضحة كل الوضوح .

توفيق - الجينات ؟!

أبو شلاّخ - المورثّات . لا بُدّ أنّك سمعت عنها . هناك من يعتبر اكتشافها أعظم اكتشاف علمي في التاريخ كله . قد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون . هذا لا يهمّني . ما يهمّني أن الجينات سوف تهيمن على الحياة اليومية لكل إنسان . طعامنا ، بدون استثناء ، سوف يكون من نباتات أو حيوانات مُطوّرة جينياً . علاجنا ، بدون استثناء ، سوف يكون مبنياً على الجينات . وحول الجينات سور حديدي .حقوق الملكية جميعها في يد شركات من العالم الصناعي . ولك أن تتصور الثمن الذي سيفرض على الفقراء . المجاعات التي شهدها هذا القرن لن تكون شيئاً بالنسبة لمجاعات المستقبل . حقيقة الأمر ، يا أخي ابو لمياء ، أن غالبية البشر سوف تكون في حالة مجاعة شبه دائمة . عندها سوف تنفجر الحروب البيولوجية بين الفقراء والأغنياء .

توفيق – حروب بيولوجية ؟!

أبو شلاّخ – بكل تأكيد . حروب يخوضها الفقراء بأسلحة الفقراء . القنابل النووية مكلفة ، وتحتاج إلى تقنية معقدة وتجهيزات أساسية كثيرة . الحروب البيولوجية ، من ناحية أخرى ، لا تكلّف شيئاً . رجل واحد في غرفة صغيرة يستطيع إنتاج مواد جرثومية تسبب أوبئة قاتلة تبيد سكان أعظم العواصم . هذا يا أخي أبو لمياء ، هو السبب الحقيقي وراء الحصار المضروب على العراق . يريد أصدقائي الأمريكان أن تتعلم الدول النامية درساً نافعاً وهو أنه لن يُسمح لها بتطوير أسلحة دمار شامل ، وعلى وجه الخصوص أسلحة بيولوجية . هذه سياسة قد تنجح في المدى القصير ، أما في المدى البعيد فسوف يكون لدى كل دولة جائعة مخزون من الأسلحة البيولوجية يكفي لنشر الموت في كل مكان من الأرض .

توفيق – بدأت أشعر بالكآبة . هل من الممكن أن ننتقل إلى موضوع آخر؟

أبو شلاّخ – انتقل إلى أيّ موضوع يعجبك ، ولكن تذكّر : عندما تسأل سؤالاً يجب أن تسمع الجواب !

توفيق – هل من الممكن أن تحدثني عن أعمالك الخيرية ؟

أبو شلاّخ – بكل سرور . كل أعمالي الخيرية نابعة من تأنيب الضمير .

توفيق – ماذا تقصد ؟

أبو شلاّخ – هل تذكر الحمل البريء الذي سملتُ عينيه ؟

أول عمل خيري قمتُ به هو إنشاء مركز لرعاية الحملان . بعد ذلك أنشأت جمعيات تعنى بالخراف الصغيرة المريضة . بعد ذلك أنشأت جمعيات رعاية الحمام ، تكفيراً عن نزعاتي الساديّة نحو الحمام أيام طفولتي . ثم أقمت مؤسسات لرعاية الحمير ، أعني الحمير الحيوانية ، ثم أسستُ جمعيات تتولّى تعليم القطط السباحة كي لا تغرق كما غرق القط الجنّي الصغير .

توفيق – تعليم القطط السباحة ؟!

أبو شلاّخ – خلافاً للرأي الشائع ، يمكن للقطط أن تسبح ، ومع شيء من التدريب أن تسبح بمهارة مثل معظم الحيوانات . تخرّج من هذه الجمعيات قرابة ١٠,٠٠٠ قط . لو أمعنت نظرك في الأنهار الكبرى في العالم لوجدت الكثير من هذه القطط تسبح ، سعيدة ، في مياهها . ثم أقمت عشرات الجمعيات الخيرية التي تُعنى بشؤون الأطفال اللقطاء والمشردين تكفيراً عن معاملتي السيئة للعبد الصغير . أهم من ذلك كله نشاطي الخيري في مقاومة الرقيق ، وهذا نشاط منبعث من ندمي عما حدث لأميلدا ، مربيتي الفلبينية .

توفيق – أيّ رقيق؟ لم يعد هناك رقيق .

أبو شلاّخ – الرقيق القديم انتهى ولكن حلّ محلّه رقيق جديد أخطر منه ألف مرّة . الإحصائيات ، يا أخي أبو لمياء ، تتكلم . في كل سنة تقوم عصابات إجرامية باختطاف نصف مليون طفلة من مختلف أنحاء العالم وإحضارهن إلى أوربا

لممارسة البغاء . نصف مليون فتاة بين الثانية عشرة والثامنة عشرة يجبرن ، سنوياً ، على ممارسة البغاء . عدد مماثل من الأطفال الذكور يجبر على أعمال السخرة في المصانع وعلى بيع المخدرات وعلى الدعارة . عشرات الآلاف من السواح الغربيين يذهبون إلى الشرق ، يومياً ، لممارسة الجنس مع أطفال من العاشرة فما دون . تصوّر! أولاد الحرام الذين يحاضروننا عن حقوق الإنسان لا ينبسون بحرف واحد وآلاف الأطفال الشرقيين يغتصبون ، يومياً ، بمعرفة سواح الجنس الشاذّين . الكلاب أولاد الكلاب! ولماذا نلوم الغربيين؟ أصحابنا أوائل الطلبة في أفغانستان ينكّلون بالرجل الحليق ويقفلون مدارس البنات ويصدّرون ، سنوياً ، ما قيمته ١٠ بلايين دولار من المخدرات . لعلّ بن شادن المستنسخ أفتاهم ، بعد أن أصبح شيخاً بالعافية ، إن الضرورات تبيح تصدير المخدارت وتتطلب قفل مدارس البنات .

توفيق - هل من الممكن تغيير الموضوع؟

أبو شلاّخ - بكل سرور . هل تود أن نتحدّث عن الإيدز؟ الغرب في طريقه إلى القضاء على الإيدز ، أمّا في أفريقيا السوداء فقرابة خمس السكان مصابون بالفيروس . ٢٠٪ بعد ٥٠ سنة سوف يكون الإيدز قضى على نصف سكان أفريقيا بالتمام والكمال . وماذا يفعل زعماء أفريقيا؟ يرتدون القمصان الزاهية المشجّرة ويرقصون مع نجوم الغناء الغربيات . يرقصون ومواطن من مواطنيهم يموت كل دقيقة . مؤخراً ، خرج علينا

رئيس عبقري من هؤلاء بإعلان تاريخي قال فيه إن الإيدز لا علاقة له بالعدوى ولا بالجنس . يا زينه ساكت ! كيف إذن ينتقل المرض يا فخامة الرئيس العبقري؟! الأرجح أنه ينتقل بواسطة الدنبوشي .

توفيق - هل من الممكن أن نغيّر الموضوع ؟

أبو شلاّخ - غيّر الموصوع .

توفيق - هل تسمح لي بأن أسألك سؤالاً شخصياً ؟

أبو شلاّخ - تفضّل !

توفيق - لماذا لم تتزوج ؟

أبو شلاّخ - تزوجت برنيس . رويت لك القصّة . ألا تتذكر؟

توفيق - لماذا لم تتزوج بعدها ؟

أبو شلاّخ - حاولت ، مراراً ، ولم أوّفق ، كما سبق أن حكيت لك .

توفيق - أريد السبب الحقيقي .

أبو شلاّخ - هناك عدة أسباب . السبب الأول هو سرير المسامير .

توفيق - سرير المسامير ؟!

أبو شلاّخ - منذ عودتي من الهند وأنا لا أستطيع النوم إلاّعلى سرير من المسامير .

توفيق - من المسامير؟! ألا تؤلمك ؟

أبو شلاّخ - في الشهور الستة الأولى كانت العملية مؤلمة جداً . في الشهور الستة التالية كانت مؤلمة بعض الشيء . ثم

أصبحت محتملة . الآن ، لا أستطيع النوم إلاّ على سرير من المسامير .

توفيق - عجيب !

أبو شلاّخ - ما وجه العجب ؟ المسامير مصممة على نحو علمي هندسي بحيث أنه بمجرد انطراحك على السرير يتّصل كل مسمار بطرف عصب من أعصاب الجسم . تلامس المسمار والعصب يؤدّي إلى تولّد موجات كهربائية مغناطيسية تقود الجسم إلى الاسترخاء التام . عندما تفيق في الصباح تشعر أنك صغرت ٢٠ سنة وتكون مستعداً لممارسة تمرين الصباح ، الوقوف ساعتين على رأسك .

توفيقي - تقف على رأسك؟! لماذ؟! .

أبو شلاّخ - فكّر قليلاً ، يا أخي أبو لمياء ، من فضلك . كيف يصل الدم إلى المخ بكميات كافية إذا كان المرء واقفاً أو جالساً أو ممدّداً؟ عندما تنام على رأسك تنساب الدماء إلى المخ بكل يسر وسهولة . كثير من أفكاري النيّرة وُلِدت وأنا واقف على رأسي . هل تتصور أن بوسع امرأة أن تعيش سعيدة مع زوج ينام على مسامير ثم يصحو ليقف على رأسه؟ .

توفيق - إذا أحبت المرأة رجلاً يمكن أن تقبل أي شيء .

أبو شلاّخ - المرأة التي تقبل أي شئ امرأة مريضة نفسياً . هناك ، أيضاً ، سبب فلسفي نفسي . الإشكالية الهيكلية في العلاقة بين الرجل والمرأة .

توفيق - هل من الممكن أن توضحها لي؟

أبو شلاّخ - عندما تخمد رغبة الرجل تبدأ رغبة المرأة في التوهج . عندما يطول عمر العلاقة يزيد تعلّق المرأة بالرجل ويقل تعلق الرجل بالمرأة . مرور الزمن يؤديّ إلى مضاعفة اعتماد المرأة على الرجل وإلى تقليص اعتماد الرجل على المرأة . الزمن ، يا أخي أبو لمياء ، لا يعمل لصالح الحياة الزوجية . يستغرب الناس كثرة الطلاق ، أما أنا فأستغرب وجود زواج واحد بعد ١٠ سنين من ليلة الدخله .

توفيق - ألا تفتقد الأولاد؟

أبو شلاّخ - مشاعر الأطفال الذين تنقذهم مؤسساتي من براثن السواح الغربيين تجعلني أحسّ إحساساً كاملاً بالأبوة .

توفيق - وماذا تفعل بداوفعك وغرائزك؟

أبو شلاّخ - تقصد الجنس ، أليس كذلك؟

توفيق - نعم .

أبو شلاّخ - عندي أكبر مجموعة من المحظيّات في التاريخ . أكبر من مجموعة الرشيد ، وأضخم من مجموعة المتوّكل . البارحة ، على سبيل المثال ، قضيت وقتاً مثيراً مع كليوباترا . في الليلة التي سبقتها ، كنت مع الإمبراطورية جوزفين التي يزعم أبو سيكل أنها كانت السبب في معظم حروب نابليون . قبلها كنت . . .

توفيق - تقصد أنك كنت تحلم بهن؟

أبو شلاّخ - لا ، يا أخي أبو لمياء ، لا . ماذا تعرف عن «الفرشوْل ريالتيْ»؟

توفيق – لا أعرف سوى القليل .

أبو شلاّخ – لا توجد ، حسب علمي ، ترجمة عربية دقيقة تعبّر عن المطلوب . «الحقيقة . . . تقريباً» أو «الحقيقة إلاّ شيئاً بسيطاً» . لا يهمّ . سوف أستعمل التعبير الإنجليزي . طورّ نادي لبن العصفور جهازاً مبتكراً يقوم على فكرة الـ «فرشوْل ريالتي» . تدخل الجهاز ، المعمول على هيئة سرير ، وتربط عصابة كهربائية حول رأسك ، وتتخيّل أي امرأة تشتهيها ، حقيقية كانت أو وهمية . بمجرد اكتمال الصورة في مخّك ، تجد المرأة بجانبك . تقضي مع هذه المرأة وقتاً لا يختلف عن الوقت الذي تمضيْه مع أي امرأة من بنات آدم . الحقيقة ، يا أخي أبو لمياء ، أن المتعة التي تحسّ بها مع نساء الـ «فِرشوْل ريالتي» تفوق ، بكثير ، المتعة التي تحس بها مع النساء العاديات . هنا لا يوجد وجع دماغ ولا غيرة ولا صداع ولا عادة شهرية .

توفيق – وأين يوجد هذا الجهاز؟

أبو شلاّخ – لا يوجد في أي مكان . طوّر نادى لبن العصفور ٥ أجهزة فقط لإستخدام أعضاء النادي . هذه فترة تجارب . بعد مدة ، سوف يكون الجهاز متوفّراً في الأسواق .

توفيق – متى؟

أبو شلاّخ – ٥ سنوات تقريباً . الفترة المعتادة بين الاكتشاف والتسويق التجاري .

توفيق – هل أفهم من كلامك أنك ، الآن ، لست بحاجة إلى نساء حقيقيات؟

أبو شلاّخ - لا ، يا أخي أبو لمياء ، لا . كنت أحدّثك عن الجانب الجنسي وحده . كيف يمكن الاستغناء ، نهائياً ، عن المرأة الحقيقية؟ شركاتي وجمعياتي مليئة بالنساء . لديّ صديقات كثيرات من النساء . وأنا لا أحلق إلاّ عند نساء . ولا أخيط ملابسي إلا عند نساء . ولا آكل إلاّ من طبخ نساء . هل أخبرتك أني من النباتيين؟

توفيق - لا .

أبو شلاّخ - أقنعني صديقي الروحاني الهندي بالفلسفة النباتية .

توفيق - ماذا تأكل بالضبط؟

أبو شلاّخ - سبحان اللّه! آكل النباتات! كل ما ينمو في المملكة النباتية . إذا وفُقتّ ، يا أخي أبو لمياء ، في العثور على طباخة نباتية ماهرة تستطيع أن تستمتع بآلاف الأطباق الشهيّة .

توفيق - الآف الطباق النباتية ؟! .

أبو شلاّخ - بكل تأكيد . من البرسيم ، وحده ، يمكن صنع عشرات الطبخات اللذيذة .

توفيق - من البرسيم؟!

أبو شلاّخ - البرسيم! سبقتنا الحمير إلى اكتشافه ، ومعرفة فوائده ولكن هذا لا يعنى أننا يجب أن نتركه للحمير . اعلم ، يا أخي أبو لمياء ، ان حاكماً عربياً دموياً عاش في القرن التاسع عشر اشتهى ، ذات ليلة ، ملوخية طازجة وأمر طبّاخة

بإعدادها ، على الفور ، وإلاّ طبخ رأسه . لم يكن الموسم موسم ملوخية ، ولم يكن الطبّاخ مستعداً لفقد رأسه . ما كان منه الا أن قام بطبخ برسيم طازج وأكثر من البهارات والتوابل . أُعجب الحاكم بالبرسيم الذي حسب أنه ملوخية وطلب من طبّاخه أن يعدّه له بصفة منتظمة . تقول الرواية إن نزعات الحاكم الدموية خفّت كثيراً بعد إدمانه البرسيم . أنا لا أستغرب هذه الظاهرة . هل رأيت حماراً دموياً في حياتك؟

توفيق - الحق أن جميع الحمير التي رأيتها كانت مسالمة . هل يمكن أن تحدّثنا عن لونك المفضّل؟

أبو شلاّخ - ثبت علمياً ، يا أخي أبو لمياء ، أن الألوان لها علاقة مباشرة بحالة الشخص النفسية . وهذه حقيقة اكتشفها البشر ، تلقائياً ، قبل أن تثبت عِلمياً . خذ اللون الأسود . الشخص الحزين يشعر بانجذاب تلقائي إلى هذا اللون ، ولهذا أصبح لون الحداد في كل الحضارات . على خلاف ذلك ، يشعر الشخص السعيد بانجذاب تلقائي إلى الألوان الزاهية . بعض اللغات تربط بين الألوان والمشاعر . في اللغة الإنجليزية ، مثلاً ، يعبر اللون الأصفر عن الخوف ، واللون الأحمر عن الشهوة .

توفيق - وماذا عن لونك المُفضّل؟

أبو شلاّخ - كان لا بدّ من هذه المقدمة لكي تعرف أن لوني المُفضّل يتغيّر مع تغير حالاتي النفسية . الألوان في بيوتي ومكاتبي قابلة للتغيير بمجرّد الضغط على زر .

توفيق - كل الألوان؟!

أبو شلاّخ – كلّها . ألوان الجدران وألوان السقف وألوان السجاد وألوان الأثاث . عندما أكون في مزاج حزين أحوّل كل شيء إلى أسود . عندما أكون في مزاج شهواني أحول كل شيء إلى قرمزي . في الظروف العادية ، أفضل اللون الأخضر الباهت .

توفيق – وماذا عن ألوان ثيابك؟

أبو شلاّخ – ينطبق عليها المبدأ نفسه . بالمناسبة ، بعض النساء يُصبن بانهيار عصبي إذا لبسن فساتين لا تتمشىّ مع حالتهن النفسية .

توفيق – انهيار عصبي؟!

أبو شلاّخ – بكل تأكيد . لماذا تعتقد أن فساتين الزفافِ في كل مكان في العالم بيضاء؟

توفيق – لا أعرف .

أبو شلاّخ – ألم تسأل نفسك هذا السؤال؟

توفيق – لا . ولكني أسألك الآن .

أبو شلاّخ – حسناً! إعلم ، يا أخي أبو لمياء ، إن اللون الأبيض هو اللون الوحيد ، أكرّر الوحيد ، المحايد . أللون الوحيد الذي لا يتعارض مع أيّ مزاج . تصوّر عروساً ترتدي فستان زفاف لونه قرمزي . هناك خطر حقيقي أن تفقد العروس سيطرتها على نفسها وتهاجم عريسها جنسياً على الملأ . وهناك خطر حقيقي أن يقوم العريس بالشيء نفسه . اللون الأبيض يساعد الطرفين على الاحتفاظ بهدوء الأعصاب . تصوّر نفسك ، يا أخي أبو لمياء ، تُزفّ إلى عروس ترتدي فستان زفاف

بنيّاً غامقاً . كيف سيكون شعورك؟

توفيق - لا أدري .

أبو شلاّخ - ولا أنا . ولكنه ، بالتأكيد ، لن يكون شعوراً بالارتياح . جزء كبير من الشقاء البشري يرجع إلى جهل البشر بتأثير الألوان . لو اتُخذَ قرار دولي بجعل الأثاث في جميع المكاتب الحكومية في كل مكان أبيض لوجدت معاملة الموظفين للمراجعين وقد تحسنت بشكل ملحوظ . نسبة لا يستهان بها من وقاحة الموظفين سببها اللون الرمادي الذي ينتشر في المكاتب الحكومية .

توفيق - هل يمكن أن ننتقل ، الآن ، إلى قراءاتك؟

أبو شلاّخ - آه! هذه ، يا أخي أبو لمياء ، مشكلة كبرى . لا أكاد الآن أقرأ كتاباً . كل شيء يتم «بالأنترنت» . في الماضي كنت عندما أسمع بكتاب جديد قيّم أسرع إلى اقتنائه وشرائه . الآن أطلب من «الأمازون» إعداد مُلخّص بأهم النقاط التي تضمنّتها الكتب ، وأهم النقاط التي أثارها النقاد والأثر الذي تركه الكتاب . خلال دقائق معدودة أكون قد عرفت كل هذه الأشياء . مستقبل الكتاب ، يا أخي أبو لمياء ، في خطر ، في خطر عظيم مُحقّق .

توفيق - تقصد أن المؤلفين سيكفّون عن تأليف الكتب؟

أبو شلاّخ - قد يكفون وقد لا يكفوّن . هذا ليس مهماً . المهم أن كتاب المستقبل سوف يكون ، عموماً وإجمالاً ، من صنع الكومبيتر .

توفيق- ماذا تقصد؟

أبو شلاّخ - بدأت الأمور تتغيّر بالفعل . الكاتب ، الآن ، لا يحتاج إلاّ إلى دقائق ليرى أمام عينية المراجع التي كان الكاتب القديم يقضي أسابيع في البحث عنها . والكاتب ، الآن ، لا يحتاج إلاّ إلى ساعات لكي يأخذ من هذه المراجع المعلومات التي كان الحصول عليها في الماضي يتطلب شهوراً . منذ فترة نشر كاتب قصة وجعل الحصول عليها محصوراً على «الانترنت» . خلال يومين ، بيع نصف مليون نسخة . خلال يومين! ولن تقف الأمور عند هذا الحدّ . نادي لبن العصفور يطوّر ، الآن ، جهاز كومبيتر مهمّته تأليف الكتب .

توفيق- كيف ؟

أبو شلاّخ - هناك حقيقة رئيسية ، يا أخي أبو لمياء ، يجب أن تدركها وهي أن ٩٠٪ من الكتب متشابهة .لا أقول متماثلة ولكن أقول متشابهة . خذ ، على سبيل المثال ، الروايات البوليسية . المحور واحد لا يتغير . من الذي ارتكب الجريمة؟ والاحتمالات محدودة : إمّا الزوج أو العشيق أو الطبّاخ أو رجل الشرطة . باستطاعة أي كومبيتر ذكيّ أن ينتج ٥٠ قصة بوليسية في الساعة . أو خذ قصص الرعب . العقدة تدور حول شبح يرفض مغادرة المنزل ، أو شيطان يتقمّص فتاة مراهقة ، أو كائنات تطبّ من الفضاء الخارجي . باستطاعة الكومبيتر الذكي أن ينتج ١٠٠ قصة رعب في الساعة . بعد فترة من الزمن سوف ينقرض الكتاب وينقرض القارئ . لن يبقى سوى

الكومبيتر وزبون الكومبيتر .

توفيق - ألا تشعر بالأسى لهذا المصير وأنت شاعر؟

أبو شلاّخ - مشاعري الخاصة لا علاقة لها بمسيرة التاريخ . أشعر بكثير من الأسى وأنا أرى التطورات القادمة المرعبة ولكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ بعد خمسين سنة سوف يتحول عرب الشرق الأوسط والخليج إلى مستعمرات للاتحاد الإسرائيلي/ التركي . وسوف يتحول عرب البحر الأبيض المتوسط إلى مستعمرات للاتحاد الأوروبي .

توفيق - هذا مستقبل مرعب . ماذا سيحدث للهويةّ؟

أبو شلاّخ - بعد قرن واحد لن تكون هناك سوى هويتين لا ثالث لهما هما المربوطون وغير المربوطين .

توفيق - ماذا تقصد بالمربوطين؟

أبو شلاّخ - أقصد بالمربوطين المتصلين بشبكة العولمة . وشبكة العولمة ، يا أخي أبو لمياء ، عبارة عن منظومات متداخلة متراكبة مفتاحها «الانترنت» . من هذه المنظومات منظومة الجميعات الأهلية ، ومنظومة حقوق الإنسان ، ومنظومة الشركات الكبرى ، ومنظومة التجارة الدولية ، ومنظومة بنوك التفكير والتخطيط . المربوطون بهذه الشكبة سوف تكون لهم هوية متميزة بصرف النظر عن ألوانهم وجنسياتهم وأجناسهم . افتح عينيك ، يا أخي أبو لمياء ، وراقب ما يدور حولك . المربوطون ، الآن ، يتحدثون عن طريق «الانترنت» أكثر مما يتحدثون بألسنتهم . في المستقبل سوف يقتصر حديث

المربوطين على المربوطين زملائهم . سيبقى غير المربوطين في العراء . لا تصدّق الكلام الكثير السخيف عن الفرص التي سوف تفتحها العولمة للجميع . لن تفتح العولمة أي فرصة إلا للأغنياء والأقوياء . جهاز الكومبيتر يكلف المواطن الأمريكي العادي دخل أسبوعين ، بنيما يكلف مواطن بنجلادش دخل عدة سنوات . كيف يستطيع هذا المواطن المعتر أن يكون من المربوطين؟ .

توفيق - هوية واحدة تخترق القوميات؟! هذا شيء يصعب تصديقه .

أبو شلاّخ - ألا تقرأ الصحف ، يا أخي أبو لمياء؟ ألا ترى بعينيك أن هويّة المربوطين بدأت تظهر للعيان؟ الزيجات التي تتم عن طريق «الانترنت» تفوق الزيجات التي تتم عن طريق الخطّابة . حجم البضائع التي تشترى بواسطة «الانترنت» سوف يفوق ، عن قريب ، حجم البضائع المتداولة بالطرق القديمة . مع تغلغل العولمة ، سيزول الوطن التقليدي ، والسيادة التقليدية ، والعادات والتقاليد المحلية . لن يكون هناك سوى هويّتين : الأغنياء المربوطين والفقراء غير المربوطين . مع تزايد ثراء المربوطين وتزايد فقر غير المربوطين سوف تواجه البشرية حروباً بيولوجية مُدمّرة ، كما سبق أن أخبرتك . قد نعود إلى مرحلة ما قبل العصر الصناعي ، وقد نعود إلى مرحلة ما قبل العصر الحجري .

توفيق - ألا توجد طريقة لوقف هذا الطوفان؟

أبو شلاّخ – قد توجد طريقة ولكني ، شخصياً ، لا أعرفها . هل أفرض الرقابة على «الانترنت»؟ هل أطلب من وزارات الداخلية تفيتش الفضاء بحثاً عن أفكار هدّامة؟ هل أرجو وزارات الإعلام أن تسمّر عيون الناس بالقوة إلى برامجها التي لا تحمل سوى أخبار رئيس الدولة والسيّدة الأولى؟ هذا تيار جارف ، يا أخي أبو لمياء ، نرى بدايته ولا نعرف نهايته .

توفيق – اللّه يستر !

أبو شلاّخ – اللّه يستر !

توفيق – هل من الممكن أن ننتقل من المواضيع المرعبة هذه إلى موضوع خفيف؟

أبو شلاّخ – تفضل !

توفيق – ما هي الرياضات التي تمارسها؟

أبو شلاّخ – هل تقصد الرياضات النفسية أو الروحية أو البدنية ؟

توفيق – البدنية .

أبو شلاّخ – هوايتي البدنية المُفضّلة هي القفز من الأدوار العُليا إلى الشارع .

توفيق – عفواً ؟! أعني لم أسمع ما قلت جيداً .

أبو شلاّخ – قلت إن هوايتي القفز من الأدوار العُليا إلى الشارع . أسألك ، يا أخي أبو لمياء ، في أي دور من أدوار الفندق نحن الآن؟

توفيق – الدور العاشر .

أبو شلاّخ – صدقت! هذا الصباح قفزت من هذه النافذة إلى الرصيف .

توفيق – ولم يحدث لك شيء ؟!

أبو شلاّخ – ولم يحدث لي شيء . ألا تصدّقني؟

توفيق – الحقيقة . . . .

أبو شلاّخ – الحقيقة أنك لا تصدقني ، أليس كذلك ؟

توفيق – الحقيقة . . . .

أبو شلاّخ – تعال وانظر بنفسك !

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

مخرج

المجـــد أخسـرُ والمكـــارمُ صـفـقـةٌ
من أن يعـيش لهـا الكـريم الأروع

المتنبي

سعادة الأستاذ عثمان الخضيري
رئيس تحرير الشرق الأوحد

تحية طيبة وبعد :

أرفق لكم الفصول التي تم إعدادها من الكتاب ، ولا شكّ في أنكم عرفتم أن المشروع لم يكتمل بسبب النهاية الفاجعة غير المتوقعة للسيد يعقوب المُفصّح الشهير بأبو شلاّخ البرمائي . خلال حديثه عن القفز من الدور العاشر لاحظ سيادته أنني لم أصدّق كلامه فما كان منه إلاّ أن قال : «تعال وانظر بنفسك!» . فتح النافذة ، أمام عيني ، وقفز ، أمام عيني ، إلى الشارع . أسرعتُ بالنزول وفوجئت عندما وجدته جالساً على الرصيف يتحدث بكل هدوء مع المارة . نظر إليّ وابتسم ، وقال : «هل صدّقتني الآن ؟» . قلت : «نعم» . قال : « الحمد لله !» . بعد ذلك نطق الشهادتين وأسلم الروح ، رحمه اللّه تعالى .

أشكركم على ثقتكم ، وأعرب عن أسفي العميق لهذه النهاية الحزينة .

مع أطيب تمنياتي

توفيق خليل توفيق
المسؤول عن الصفحة الثقافية

المحتويات

من مؤلفات الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

* ورود على ضفائر سناء	شعر
* عقد من الحجارة	شعر
* سحيم	شعر
* قراءة في وجه لندن	شعر
* الأشج	شعر
* بيت	مختارات شعرية
* الإلمام بغزل الفقهاء الاعلام	مختارات شعرية
* أبو شلاخ البرمائي	رواية
* سلمى	رواية
* سعادة السفير	رواية
* مع ناجي ومعها	نقد
* الخليج يتحدث شعراً ونثراً	نقد
* الغزو الثقافي ومقالات أخرى	مقالات
* صوت من الخليج	مقالات
* الأسطورة (ديانا)	نص
* حياة في الإدارة	سيرة
* الوزير المرافق	سيرة
* التنمية الأسئلة الكبرى	بحث
* أمريكا والسعودية	فكر سياسي

ABU SHALLAKH THE AMPHIBIAN

رواية
NOVEL

أبو شلاّخ البرمائيّ

◆ يستعرض كلّ تاريخنا بين دفّتي كتاب ..

عرفان نظام الدين

◆ إنّها معاناة وهزائم المواطن العربيّ في العالم المحتشد بالجنّ والمجانين ..

خالد القشطيني

◆ إذا أراد القارئ أن يبتعد عن هموم السياسة وما ينغّص من أخبار اليوم ، وكلّها كذلك، فلا أفضل من ساعات يقضيها مع هذر أبو شلاّخ البرّمائيّ .

جهاد الخازن

◆ قدّم للأجيال العربيّة الجديدة صورة عن العقل العربيّ وتجلّياته ومواضعاته وممارساته في هذا الوقت الّذي نعيش فيه .

جهاد فاضل

◆ يتوسّل خطاب السخرية والتعرية الثقافيّة الساخرة ..

د. عبد الله الغذّامي

◆ تعرّض لمشاكلنا الاجتماعيّة والسياسيّة بأسلوب كاريكاتوريّ غاية في السخرية ..

د. تركي الحمد

◆ إهانات بالجملة .. ناهيك عن افتخاره بهضم حقوق الإنسان والمرأة وغيرها .. ويطنب في سخرية وإهانة للشخصيّات .. خروج عن اللياقة الأدبيّة .. بالإضافة إلى تعرّضه لصحافيّ عربيّ كبير ..

سيمون نصّار (الناقد)

◆ معظم التعبيرات الّتي استخدمها في منتهى السوء ، يضاف إلى ذلك « سوء » الأمثلة الّتي أوردها وأستحي أن أوردها هنا .. إلى جانب فجاجة التعبير ..

عبد الله عمر الخيّاط

علي مولا



ISBN 978-9953-36-935-6

